بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : [illegible] .... كلية : الشريعة والدراسات الإسلامية قسم : التاريخ الإسلامي الأطروحة المقدمة لنيل درجة : الدكتوراه .... في تخصص : [illegible]

عنوان الأطروحة : (([illegible]))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد ..

بناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه ، والتي تمت مناقشتها بتاريخ / / ١٤هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تمّ عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ... والله الموفق ،،،

أعضاء اللجنة :

المشرف	المناقش الأول	المناقش الثاني
الاسم: [illegible]	الاسم: [illegible]	الاسم: [illegible]
التوقيع: [illegible]	التوقيع: [illegible]	التوقيع: [illegible]

رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الاسم: [illegible]

التوقيع: [illegible]

* يوضع هذا النموذج أمام النسخة المقابلة لنسخة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



" البحرية الإسلامية في عهد المرابطين والموحدين "

(٤٤٧ ـ ٦٦٧ هـ / ١٠٥٥ ـ ١٢٦٨ م)

رسالة دكتوراه

إعـــداد
الطالبة : فوزية محمد عبد الحميد نوح

إشـــراف
الدكتورة
وفاء عبد الله بن سليمان المزروع

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

موضوع الرسالة هو (البحرية الإسلامية في عهد المرابطين والموحدين) (٤٧٧ ــ ٦٦٧ هـ / ١٠٥٥ ــ ١٢٦٨ م)

مما لاشك فيه أنه كان لدولة المرابطين والموحدين دور بارز في توطيد الحكم الإسلامي ببلاد المغرب والأندلس وحماية حدودها البحرية والبرية والوقوف في وجه حركة الاسترداد الصليبي في الأندلس والذي ساعدها في ذلك توفر جيش بري كبير وأسطول بحري قوي .

وقد لعبت البحرية دورا مؤثرا في تثبيت الحكم المرابطي ثم الموحدي من بعده وفي الجهاد ضد الممالك النصرانية في الأندلس كقشتالة والبرتغال وأرغونة وغيرها .

ونظرا لما سبق ذكره أقدمت على اختيار هذا الموضوع وقد قسمت الدراسة في هذا البحث إلى بابين يحوي كل منهما ثلاثة فصول مسبوقة بتمهيد ومقدمة .

وقد توصلت من خلال دراستي إلى عدة نتائج منها أهمية البحرية كدرع واق للمسلمين واتضح ذلك من اهتمام الخلفاء والأمراء المسلمين بالبحرية وانتصاراتهم الساحقة وفتحهم لجزر كريت وصقلية ومالطة وميورقة .

وأوضحت الدراسة أيضا مدى اهتمام المرابطين بالبحرية وأبرزت اهتمام مؤسس الدولة يوسف بن تاشفين بالأسطول البحري الذي كان في دور الإنماء وقد بلغت البحرية ذروتها وقوتها في عهد ابنه الأمير علي بن يوسف (محرم ٥٠٠ هجرية / سبتمبر ١١٠٦ م)

كما أشارت إلى أهم القواعد والمراسي ودور الصناعة في العصر المرابطي وإلى ظهور قواعد بحرية لعبت دورا هاما للأسطول المرابطي .

كما أوضحت الدراسة كيف كانت تدار المعركة البحرية في العصر المرابطي والموحدي من حيث الإعداد للمعركة وتعبئة الأسطول والاستطلاع البحري والأسلحة البحرية وأنواع السفن .

وبينت دور البحرية المرابطية في توحيد المغرب والأندلس وجهاد البحرية المرابطية ضد الممالك النصرانية وانتصاراتهم الساحقة في موقعة الزلاقة وإقليش وكتندة وجزر البليار .

ثم أظهرت أيضا مدى اهتمام الموحدين بالبحرية بدءا من عصر الخليفة عبد المؤمن بن علي وإنشاء الموحدين للقواعد البحرية ودور الصناعة ثم أوضحت كذلك ما بلغه الأسطول الموحدي من قوة أدت إلى توحيد المغرب والأندلس واتضح هذا جليا في صراعهم مع بني غانية في فتح إفريقية وضم الأندلس .

وفي النهاية نجد أنها ألقت الضوء على جهاد الموحدين البحري ضد الممالك النصرانية وخاصة مملكة قشتالة والبرتغال وأرغونة .

وأخيرا أسأل الله العلي القدير أن أكون قد أوفيت هذه الدراسة حقها فقد سعيت لإخراجها على أكمل وجه فإن وفقت فلله الحمد من قبل ومن بعد وإن كانت الأخرى فجل الذي لايخطيء وجزى الله الجميع عني خير الجزاء وأثابهم خير الثواب .

مع شكري وتقديري

إعداد الطالبة	إشراف	يعتمد :ـــ
		عميد كلية الشريعة
فوزية بنت محمد عبد الحميد نوح	د . وفاء بنت عبد الله المزروع	أ. د . محمد بن علي العقلا
التوقيع /	التوقيع /	التوقيع /

إهداء

إلى الشروق الوضاح والسند الملهم . . . .

إلى عبق الخزامى في مناحي حياتي ووهج القوة في مسيرتي العلمية ومعيني على المضي قدماً في كل أموري . . . .

إلى الروح التي ألهج للعلي القدير أن تكون في الفردوس الأعلى من الجنة

إلى والديّ الحبيبين .

وإلى كل من أشعل ضوءاً وأعانني في مشواري العلمي على إنجاز هذا العمل الذي أتمنى أن يكون خالصاً لوجهه تعالى .

الباحثة

فوزية بنت محمد عبد الحميد نوح



شكر وتقدير

يطيب لي أن أتقدم بوافر شكري وخالص تقديري وعظيم امتناني لسعادة الدكتورة الفاضلة / وفاء عبد الله المزروع

الذي كان لي الشرف الكبير أن تكون مشرفة على رسالتي ولما أبدته من نصح وإرشاد وما بذلته من وقت وجهد ولتوجيهاتها العلمية السديدة وملاحظاتها الدقيقة ومنهجها العلمي المتميز حتى بلغت تلك الدراسة مبلغها ، فلها مني كل آيات الشكر والتقدير والعرفان .

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساعدني ومد يد العون والمساعدة .

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في إتمام هذا العمل العلمي والدراسة الأكاديمية .

وعلى الله قصد السبيل

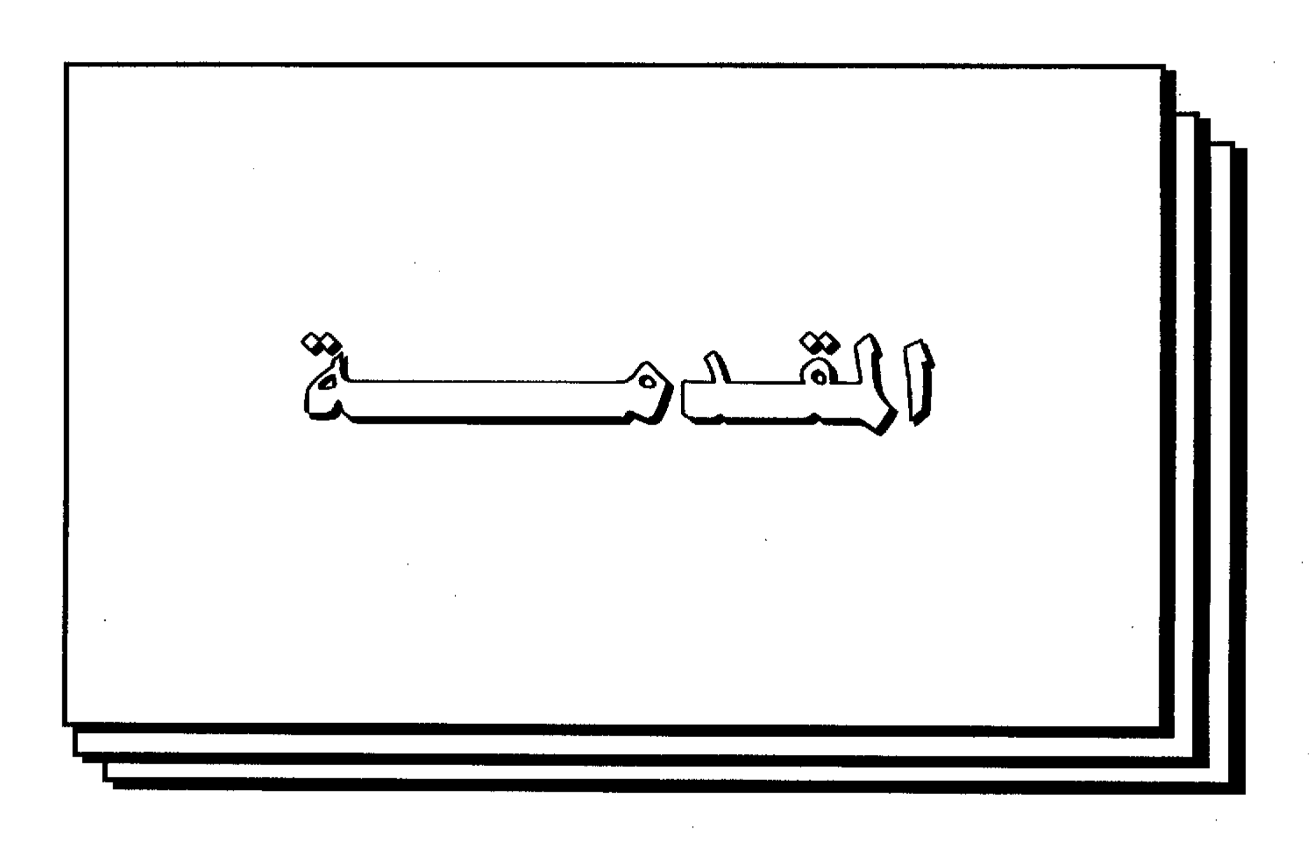
والله ولي التوفيق

مكة المكرمة ١٤١٩ هـ

الباحثة

فوزية محمد نوح

الفهـــــرس


المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علم الإنسان مالم يعلم . والصلاة والسلام على أشرف خلـق الله محمد بن عبد الله بعثه بالحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور .

فقد كان لدولة المرابطين ثم الموحدين دور بارز فى توطيد الحكـم الإسـلامى ببلاد المغرب والأندلس وحماية حدودها البرية والبحرية والوقوف فى وجه حركة الاسترداد الصليبى ساعدهما فى ذلك توفر جيش برى كبير وأسطول بحرى قوى.

وقد تناول بعض الباحثين هاتين الدولتين بالبحث والدراسة وخاصـة فيما يتعلـق بـالأحوال السياسـية والاقتصاديـة ، ولكـن لم يتطـرق أحدهـم إلى دراسـة البحرية فى عصريهما ، مما حدا بى إلى التفكير فى دراسة هذا الموضوع ، حيـث كان للبحرية دور هام وكبير فى تثبيت الحكم المرابطى ثم الموحدى من بعده وفـى الجهاد ضد الممالك النصرانية فى الأندلس .

وقد قابلتنى صعوبات بالغة أثناء دراسة هذا الموضوع لعل أهمها هو إحجام المؤرخين عن الإفاضة فى ذكر دور البحريـة أو المعـارك بـين الأسـطولين المرابطـى والموحدى ضد الممالك النصرانية ، اللهم شذرات بسيطة متناثرة هنـا وهنـاك بـين طيات المصادر ، وعلى الرغم من ذلك فقد أقدمت على تحدى ضآلة المادة العلميـة وندرتها فى محاولة جادة لَسبْر غور هذا الموضوع وإماطـة اللثـام عنـه ، مستعينة بالله وتوفيقه ، ثم بما عثرت عليه فـى المصـادر والمراجـع عسـى أن أقـدم دراسـة وافية عن دور البحرية البارز فى العصرين المرابطى والموحدى . فكـان لزامـاً علـى أن أقوم بجمع هذه الشذرات والربط بينها فى محاولة للوصـول إلى دراسـة أهميـة البحرية المرابطية والموحدية .

وقد قسمت البحث إلى بابين يحوى كل منهما ثلاثة فصول مسبوقة بمقدمة عن أهمية هذا الموضوع وأهم المصادر والمراجع التى استفدت منها فى البحث ، ثم تمهيد عن دور البحرية قبل دولة المرابطين ، وختمت البحث بخاتمة أبرزت فيها النتائج التى توصلت إليها فى دراستى . ثم تلاها قائمة بمصادر ومراجع البحث .

أما التمهيد فقد عرضت فيه لدور البحرية الإسلامية قبل دولة المرابطين ومدى ماوصلت إليه من قوة ، وكيف استطاع المسلمون فتح جزر إقريطش (كريت) وصقلية ومالطة موضحة أبرز المعارك البحرية فى تلك الفترة ثم ما آلت إليه من ضعف فى عهد دول الطوائف .

وخصصت الباب الأول لدراسة البحرية الإسلامية فى بلاد المغرب والأندلس فى عصر المرابطين ، ويقع هذا الباب فى ثلاثة فصول ، الأول منها تحدثت فيه عن التنظيمات البحرية فى عصر المرابطين ، ومدى اهتمامهم بالأسطول ، وأبرزت القواعد والمراسى ودور الصناعة وأنواع السفن وكيف كانت تُدار المعركة البحرية فى عصرهم ، ثم قدمت دراسة عن قواد الأسطول البحرى المرابطى .

وقد خصصت الفصل الثانى لدور البحرية فى تكوين دولة المرابطين فى المغرب والأندلس ، وأوضحت فيه دور البحرية البارز فى ضم كل من سبتة وطنجة وإشبيلية والجزيرة الخضراء والمرية وجزر البليار وقصرت الفصل الثالث على جهاد المرابطين ضد الممالك النصرانية فى الأندلس ، وأبرزت فيه دور الأسطول المرابطى فى هذا الجهاد ، وتتويجه بالانتصارات الساحقة التى أحرزها

علـى النصـارى فـى موقعـة الزلاقـة ، المريـة ، جـزر البليـار والثغـر الأعلـى فـى الأندلس.

وعقدت الباب الثانى لدور البحرية الإسلامية فـى بـلاد المغـرب والأندلـس فـى عـهد الموحديـن ، وينقسـم هـذا البـاب إلى ثلاثــة فصــول ، .الأول خــاص بالتنظيمات البحرية الموحدية ومدى تفوقها البارز ، وأوضحت مدى عناية خلفـاء الدولة الموحدية واهتماماتــهم بالأسـطول بـدءاً مـن الخليفـة عبـد المؤمـن بـن علـى (أواخر سنة ٤٨٧-٥٥٨هـ/١٠٩٤-١١٦٣م).الـذى يعتـبر بحـق المؤسـس الحقيقـى للأسطول البحرى الموحدى ، كما اشـتمل الفصـل علـى دراسـة للقواعـد والمراسـى البحرية التى أنشأها الموحدون ، والقواعـد البحريـة التـى ورثوهـا عـن المرابطـين وأضافوا عليها .

أما الفصل الثانى فقد خصصته لدور البحرية فى تكوين دولة.الموحدين فـى المغرب والأندلس ، وتناولت فيه كيف سـاهم الأسطول فـى السـيطرة علـى بـلاد المغرب ومعارك الموحدين فى إفريقيه وخاصة ضد بنــى غانيـة ، ومـدى مسـاهمة الأسطول فى بسط سيطرتهم على الأندلس وخاصة فى معاركهم مـع ابـن مردنيـش أمير شرق الأندلس، وبنى غانية فى جزر البليار .

وتحدثت فى الفصل الثالث عن جهاد البحرية الموحدية ضد النصارى فــى الأندلس وخاصة ضد ممالك قشتالة وأرغونة والبرتغال ، وأبرزت فى هــذا الفصـل دور الأسـطول فـى المعـارك الحاسـمة وخاصـة فـى موقعـة الأرك وشـنترين وجـزر البليار.

وذيلت البحث بخاتمة حوت أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال

دراستى، وكذا خرائط توضح المواقع البحرية التى خاضها المرابطون والموحـــدون ضد الممالك النصرانية وثلاثه ملاحق للرسالة .

اما عن أهم المصادر والمراجع العربية والأجنبية التـى اعتمـدت عليـها فـى البحث فهى :

البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ت ٢٧٩٠هـ/٨٨٩م

كتاب فتوح البلدانن بيورت، ١٩٥٦.

هذا المؤلف غير معــروف الأصـل، وإن كـان الأسـتاذ سـوفاجيه يميـل لاى ارجاع أصلة الى الفرس.

ولد البلاذرى فى بغداد فى أواخر القرن الثانى الهجرى /الثامن الميلادى، ونشـأ فـى فـترة مــن أزهــى عصــور الحضــارة العباسـية فــى القــرن الثــالث الهجرى/التاسع الميلادى وتنقل بين مدن الشام آخذا على علمائها، ولازم الخليفة المتوكل وارتفعت مكانته عنده، وعندما تولى المعتز الحكـم ٢٥٢هـ/٨٦٢م عـهد إلى البلاذرى بتأديب ابنه، ومنذ مقتل المعتز أخذ البلاذرى يتوارى عن حيــاط البــلاط الخلافى، وقاسى شظف العيش فى خلافة المعتمد وتوفى فى آخر خلافــة المعتمـد سنة ٢٧٩هـ/٨٨٩م.

وقد استقى البلاذرى معظم أخباره فى كتابه "فتوح البلــدان" عـن الواقـدى والقاسم بن سلام والمدائنــى والعباسـى بـن هاشـم، كمـا أخـذ بعـض أخبـاره عـن أشخاص من أجناس مختلفة ذكر أسماء بعضهم وأغفلها أحياناً أخرى.

والقسم الخاص بفتح إفريقية هو قسم موجز اعتمد فيه أكثر ما اعتمـد علـى ما حدثه به محمد بن سعد عن الواقـدى، وتتمـيز أخبـاره بملاحظاتـه الشـخصية

التى يرجح فيها رواية على رواية، غير أنه أخطأ فى بعض أخباره التـى رواهـا، ولعل سبب وقوعه فى هذه الأخطاء يرجع إلى اعتماده على مصادر شرقيه لاتتضمن أخبار صحيحة عن إفريقية.

ابن الأثير (عز الدين على أبى الكرم محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٥م

الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء، دار صادر بيروت، ١٩٨٠.

يتناول تاريخ العالم الإسلامى بوجه خاص والعـالم عامـة، وقـد رتـب ابـن الأثير هذا التاريخ حسب السنين، وضمن المـؤرخ حولياتـه أحـداث المغـرب حتـى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م وهى السنة التى توفى فيها، وقـد اعتمـد المـؤرخ فيـها علـى مصادر أندلسية مغربية وكانت هذه المصادر متوفره عصر بن الأثير.

وقد قام المستشرق Fagnan من هـذا الكتـاب ما يتصل بـأحداث المـغرب ونشره بعنوان :

Annales du Maghreb et de l'Espagne du Tarikhd Ibn al- Athir, Alger, 1910.

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ/١٤٦٧م)

نهايـة الأرب فـى فنـون الأدب، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب ١٨١- ١٩٨٨.

ولد سنة ٦٧٧هـ /١٤١٢م بمدينة قوص، وقد قسـم النويـرى موسـوعته الى خمسة أقسام ، القسم الخاص فى التاريخ، ويتضمن هذا القسم الأخير جزئين هى الخامس والسادس أفردهما لتاريخ افريقية والاندلس.

وقد اعتمد النويرى فى هذين الجزئـين اعتمـادا كبيراً علـى مـؤرخ اندلـس اسمه الزهرى ولعله المسور بن مخرمه بن نوفل الزهرى

ابن عذارى المراكشى ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م

البيان المغرب فى أخبار المعرب، بيروت، ١٩٥٠م

مؤرخ مغربى عاش فى عصر الموحدين ، ويعتبر هذا المصدر أهم المصادر فى تاريخ بلاد المغرب والاندلس فى العصر الإسلامى، إذ يتمـيز بتضمـن لأخبـار عـن تاريخ الفتح إذ تناول تاريخ المغرب والاندلس منذ الفتح حتى أواخر القرن السادس الهجرى.

ويقسم ابن عذارى كتابه الى ثلاثة أجزاء، الأول يشتمل على أخبار إفريقية منذ الفتح الأول فى خلافة عثمان وذكـر أمـراء المغـرب فـى عصـر الدولـة الأمويـة والعباسية حتى انتقال الفاطميين الى مصر، وخصص الجزء الثانى لتاريخ الاندلـس منذ الفتح الإسلامى حتى دخل المرابطين الاندلس فى سنة ٤٧٨هـ /١٠٨٥م، وضم الجزء الثالث تاريخ دولتى المرابطين والموحدين حتى انقراض دولة الموحدين .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد سنة ٨٠٨هـ /١٤٠٥م

العبر فى ديوان المبتدأ ، بولاق، ١٨٦٧.

نشأ ابن خلدون بتونس فى بيئة علمية، وعكف منذ نشـأته علـى تحصيـل العلم ودرس النحو وعلوم اللغة، واتصل بالسلطان المرينى ابى عنان فاستخدمه فى كتابه سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٢م، ومنذ هذا التاريخ بدأ نجم ابن خلدون يلمع فى سماء السياسة ، وكانت لتجاربه الطويلة وخبرته الفائقة فى ميدان السياسة فى المغرب والأندلس أثر كبير فى تعرفه لطبيعة الظواهر الاجتماعية والسياسية وتطور التاريخ والمجتمع وقيام الأسر وسقوطها .

ويعتبر كتابة العبر أعظم ما صنفه فى تاريخ العرب والعجم والبربر،

ولاغناء لمن يبحث فى تاريخ المغرب عن دراسة هذا المصنف العظيم. وقام بتأليفه فى المغرب فيما بين عامى ٧٧٦هـ، ٧٨٠هـ/ ٧٥-١٣٧٨، ورفع أجزاء منه الى السلطان ابى العباسى بتونس سنة ٧٨٤هـ /١٣٨٣م أى فى السنة التى رحل فيها الى مصر.

وأهم أجزاء هذا الكتاب الجزء الثالث اذ يتضمن ثلاثة فصول هامة ، الأول فى ذكر مواطن البربر في المغرب ، والثانى فى ذكر فضائلهم، والثالث فى ذكر أخبارهم منذ الفتح العربى.

ابن الخطيب (لسان الدين ت ٧٧٦هـ /١٣٧٤م)

أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، القسم الثالث الخاص بالمغرب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤.

ولد فى لوشه من مدن مملكة غرناطة سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م، ونشأ بغرناطة فى بيئة يسودها العلم والأدب.

ويعتبر كتابة أعمال الإعلام من الكتب الكبرى التى تناولت تاريخ الدولة الإسلامية ، ويعتبر القسم الثالث الذى تناول فيه تاريخ المغرب منذ قيام دولة الأغالبة حتى قام دولة الموحدين، ونشره د. أحمد العبادى ، محمد إبراهيم الكتانى.

المراكشى (محيى الدين عبد الواحد ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، المجلس الأعلى للشئون الأسلامية ، ١٩٦٣ .

ولد المراكشى فى مراكش ت٥٨١ هـ/ ١١٨٦، فى عهد خليفة الموحدين

ابى يوسف يعقوب المنصور وتلقى العلوم الدينية فى مراكش وفاس.

وعنى المراكشى من كتابه المعجب بتلخيص تـاريخ الأندلـس والمغـرب منـذ الفتح العربى حتى عصر الخليفة ابى محمد عبد العزيـز بـن ابـى يعقـوب يوسـف وأهتم بوجه خاص بعصر الموحدين، ثم أضاف الى كتابة فصلاً آخر عــن جغرافيـة المغرب. وهذا الكتاب هام جداً فى الدراسة لأن المؤلف عاصر كثيراً مــن الأحـداث التى وقعت فى هذا العصر.

مجهول (الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية) الدار البيضاء ١٩٧٩

ذكر صاحب الحلل أنه فرغ من تـأليف هـذا الكتـاب فـى ١٢ ربيـع الأول سنة ٧٨٣هـ/ ٥ مارس ١٣٨٢ م أى فى عصر محمد الغنـى بـالله سـلطان غرناطـة وأبى زيد بن عبد الرحمن بن أبى الحسن المرينى سلطان المغرب .

ويتناول صاحب الحلل عصر المرابطـين والموحديـن . ويمتـاز هـذا الكتـاب بدقـة أخبـاره التاريخيـة وصحتـها خاصـة فيمـا يختـص بقيـام دولـة المرابطـين والموحدين وذكر أنواع الأسلحة المستخدمة فى عصريهما.

البكرى (ابو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ/ ١٠٨٦م)

المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب

هذا المؤلف من أهالى قرطبة ولـد بـها سنة ٤٣٢هــ /١٠٥١م، ونشـأ نشـأة علمية فى عصر ارتفعت فيه مكانه العلماء والأدباء، ولم يغادر البكرى فـى حياتـه ارض الأندلس

الإدريس (ابو عبد الله محمد بن محمد بــن عبـد الله ت ٥٦٤هــ /١١٦٩م) وصف المغرب وارض السودان ومصر والاندلس مأخوذه من كتاب نزهة المشتاق فى

أختراق الأفاق.

تلقى الإدريسى علومه الأول فى المغرب ثم انتقل الى الاندلس حيث أقام فترة من الوقت فى قرطبة اتم فيها دراساته ثم رحل الى الإندلس ومصر وأسيا الصغرى وزار صقلية واتصل بملكها رجار Roger II وقربه اليه، وكان رجار مولعاً بعلوم الفلك والجغرافية ، ووجد فى علم الإدريسى واتساع افقه الجغرافى مما جعله يتمسك به، وعهد إليه رجار بتصنيف كتاب فى صفة الأرض من واقع مشاهداته فعكف الإدريس على تصنيفه حتى اتمه فى سنة ٥٤٨هـ /١١٥٣م.

مجهول كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار:

يشتمل الكتاب على معلومات تاريخية وجغرافية واثرية وعمرانية دقيقة، وينقسم الكتاب الى ثلاثة أقسام ، القسم الثالث أفادنى فى دراستى لأن المؤلف ضمنه مساعداته وملاحظاته فى المغرب، كما ورد بهذا الجزء الثروات الزراعية والمعدنية والمائية فى كل مدينة من مدن المغرب.

ابن ابى زرع (على بن محمد من أحمد ت٧٤١هـ /١٣٤٠م)

الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. الرباط، ١٩٧٣.

كان كاتباً لابى سعيد عثمان المرينى (٧١٩-٧٣١هـ/١٩-١٣٣١م) وكتابه من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامى ، ويتضمن معلومات تاريخية هامة أفادتنى فى دراستى ، وأفادنى فى دراسة عوامل سقوط الدولة المرابطية وقيام دولة الموحدين ودراسة علاقات الموحدين بالممالك النصرانية

مجموعة الوثائق الموحدية التى نشرها الاستاذ ليفى بروفنسال، ١٩٤١

مجموعة هذه الرسائل الموحدية هي من إنشاء كتاب الدولة الموحدية المؤمنية ، تصل الى ٣٧ رسالة رسمية موحدية نشرها بالرباط سنة ١٩٤١.

وترجع أهمية هذه الرسائل فى إبراز الخطوط الرئيسية لسياسة الدولة تجاه التمرد عليها مثل ابن مردينش فى الإندلس ، وابن غانية فى جزر البليار ثم فى إفريقية ، كما يتضمن اشارات عن حملة قراقوش وكيفية القضاء على الغز.

البيذق (أبى بكر على الصنهاجي ت ٥٦١هـ/١١٦٥م)

اخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، باريس ، ١٩٢٨

من أهم المصادر التى اعتمدت عليها فى الرسالة ، ويرجع هذا أن البيذق كان صاحب المهدى وخادمه وتابعه ومن اشد المخلصين للدعوة الموحدية ومن أكثر المعجبين بخليفته عبد المؤمن بن على الكومى .

وترجع أهمية هذا الكتاب فى ذكر حملات عبد المؤمن منذ سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م فى المغرب ثم سيره الى الشرق مستهدفاً لسيطرته على المغرب الأوسط وسرد وقائع فتح فاس ومكناس حتى سقوط مراكش قاعدة الحكم المرابطى سنة ٥٤١هـ / ٤٦-١١٤٧م.

ابن صاحب الصلاة (عبد الملك ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م)

تاريخ المن بالامامه على المستضعفين ، دار الإندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤.

عاصر المؤلف قيام دولة الموحدين وفى سرد الحملات التى قام بها المهدى ابن تومرت وخلفاءه.

المقرى(أحمد بن محمد بن أحمد الكناسى ت ١٠٤١هـ /١٦٣١م)

نفح الطيب فى غصن الاندلس الطيب

يعتبر الكتاب موسوعة كبيرة عن الإندلس ومصدراً هاماً وأساسياً فى تـاريخ المغرب والاندلس.

واعتمدت فى هذا المصدر على تراجم لعلماء المغرب والاندلس

ابن القطان (ابو الحسن على بن محمد عبد الملك ت ٦٢٨هـ/١٢٣٢م

نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، الرباط

يعتبر الكتاب موسعة كبرى فى تاريخ المغرب منذ بدء الفتح الإسلامى حتى قبيل سقوط الدولة الموحدية سنة ٦٦٧هـ /١٢٦٩م.

وأفادنى هذا الكتاب فى ذكـره تفـاصيل هامـة وقيمـة عـن دولـة الموحديـن مدعمة بالوثائق للمهدى بن تومرت مكتوبة بخطة ورسـائل مـن عـهد عبـد المؤمـن وخلفائه.

ونشر الأستاذ الدكتور محمود على مكى قطعة من كتاب نظـم الجمـان فـى أخبار الزمان – الرباط ١٩٦٤.

ومن أهم المراجع العربية التى اعتمدت عليها فى هذا البحث :

كتاب "دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى" لمحمد بن عبـد الله عنان ، وقد استفدت منه عن أحوال الأندلس قبيل وبعـد سـقوط دول الطوائـف ، وقيام دولة المرابطين وانتصارهم الساحق على النصارى فى موقعة الزلاقة .

كتـاب "عصـر المرابطـين والموحديـن فـى المغـرب والأندلـس" القسـم الأول تحدث فيه عن عصر المرابطين وبداية دولـة الموحديـن وأفـادنى كثـيراً فـى ذكـره للمواقع البحرية فى عصر المرابطين ، وكيف استطاع الموحدون بسط نفوذهم فى

المغرب والأندلس .

أما القسم الثانى فهو "عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى" وأفادنى فى دراسة جهاد الموحدين ضد الممالك النصرانية وأهم المعارك البحرية التى دارت بينهم، كذلك فى علاقة الموحدين بابن مردنيش وبنى غانية وكيف سقطت دولة الموحدين .

ويعتبر كتاب المؤرخ الألمانى يوسف أشباخ "تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين" من المراجع التى أفادتنى كثيراً فى البحث وخاصة فيما ذكره عن المواقع البحرية التى دارت بين المرابطين والموحدين ضد الممالك النصرانية .

وتعتبر كتب د. عبد العزيز سالم من المراجع الهامة لكل باحث فى تاريخ المغرب والأندلس ومن أهمها "تاريخ البحرية المصرية" واستفدت من هذا الكتاب وخاصة فيما يدور عن اهتمام الفاطميين بالبحرية ، كذلك أنواع السفن والمواد اللازمة لصناعة السفن .

كتاب "المغرب الكبير" ويتعرض فيه للدولة المرابطية والموحدية وأهم المعارك التى دارت بينهم وبين النصارى وأثر ذلك فى غزو الأندلس .

ومن أهم المراجع الأجنبية كتاب Altemira : A history of Spain واستفدت منه فى تاريخ الممالك النصرانية وعلاقتها مع بعضها ، كذلك المعارك البحرية التى دارت بين الموحدين والنصارى .

كتاب Campaner: Bosqueio History de la Dominacion Islamita ensle Islas وقد استفدت من هذا الكتاب فى الحملات الصليبية على جزر

البليار ، وكيف استطاع المرابطون صد هذه الهجمات الصليبية .

كتاب Alfred Bell : Les Benou Ghanya واستفدت مـن هـذا الكتـاب في دراسة علاقة الموحدين وبنى غانية والمعارك البحرية التـى نشـبت بينـهم فـى المغرب الأدنى والأوسط وجزر البليار .

والجدير بالذكر أننى اعتمدت على كتاب "التوفيقات الإلهاميـة في مقارنـة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية "لمحمد مختار باشا" .

واستفدت منه في مقابلة التواريخ الهجرية وما يقابلها بالتواريخ الميلادية .

هـذا وأتقـدم بوافــر الشكـــر والتقـــدير وعظيـم الامتنــان إلى الأسـتاذ الدكتـور / محمد أحمد حسب الله على ما أسداه لي من نصائح وتوجيـهات بنـاءة لهذا العمل.

كما أسجل شكري وتقديري وعظيم امتنــاني لكـل مـن مـد لى يـد المسـاعدة والعون حتى خرج البحث إلى حيز الوجود .

وبعد هذا العرض السريع لمنهج الرسالة أسـال الله عـز وجـل أن أكـون قـد وفقت فى تلك الدراسة وأن تنال ثقة أساتذتى وزملائى ، فان وفقت فللــه الحمـد والشكر وإن جانبنى الصواب فحسبى أنى على طريق العلم والمعرفة باحثه محاولة الوصول إلى الحقيقة مثابرة ومجتهدة قدر استطاعتي .

وما توفيقي إلا بالله .... وعلى الله قصد السبيل والله ولى التوفيق

التمهيد

"البحرية المغربية والأندلسية قبل عصر المرابطين

كان فتح المسلمين للشام طعنة نافذة فى جسم الإمبراطورية البيزنطية شطرتها إلى شطرين، الإمبراطورية الأم فى آسيا الصغرى ، وما وراءها ، والولايات التابعة لها مثل مصر وإفريقية .

ولم يعد هناك ما يصل بين أجزاء هذه الإمبراطورية إلا البحر المتوسط الذى لعب دوراً هاماً فى محاولة إنقاذ الإمبراطورية على يد البيزنطيين ، ومحاولة تصفيتها على يد المسلمين [1] وقد أدرك المسلمون قيمة البحرية كسلاح متمم لفتوحاتهم البرية ، فأخذوا فى إنشاء دور الصناعة لبناء السفن الحربية وفى معظم الموانىء الممتدة على طول شواطىء الشام ومصر والمغرب ، مثل صور وعكا وطرابلس ودمياط ، ورشيد وتنيس والإسكندرية وبرقة ، وساعدتهم تلك القواعد والأساطيل على نقل جيوشهم ومعداتهم عند فتح الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا.

وحبت الطبيعة بلاد إفريقية والمغرب والأندلس بالمقومات الأساسية اللازمة للقيام بدور بحرى هام ، فشكل الساحل الإفريقى ، ووضع البلاد الجغرافى ، وامتداد سواحلها على مسافة تصل إلى نحو ١٤٠٠ كيلو متر ، متصلة فى الشرق بسواحل برقة وطرابلس ، وفى الغرب بسواحل المغربين : الأوسط والأقصى ، حتى المحيط فى شريط طويل لمسافة ١٦٠٠ كيلو متر ، وتميزت هذه السواحل الممتدة بكثرة خلجانها وجزرها البحرية الحامية، وموقعها فى حوض البحر المتوسط حتم عليها القيام بدور بحرى هام [2] .

أما الأندلس فشبه جزيرة ، سواحلها يدور بها البحر المتوسط من الجهتين

---

(١) شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٨٥٩، ص ٨٢.

(٢) د. مصطفى عبد الله بعيو: دراسات فى التاريخ اللوبى، الاسكندرية، ١٩٥٩، ص ١١٠-١١١.

الشرقية والجنوبية الشرقية ، والمحيط الأطلسى من الجهات الجنوبية الغربية والشمالية الغربية،فكانت الأندلس لذلك دار جهاد وموطن رباط وقد أحاط بشرقيها وشماليها وبعض غربيها أصناف أهل الكفر(١).

وكان أمتداد السواحل فى المغرب والأندلس على النحو السابق سبباً فى تعدد المراسى ، ونشأة القواعد البحرية ، ومن أهم مراسى إفريقيه مرسى تونس الذى يقع فى وسط خليج خارج عن البحر على نحر بحيرة محتفرة (٢) ، ومرسى سوسه الذى يقع على الساحل إلى الجنوب الشرقى من تونس ، ومن سوسه فتح المسلمون جزيرة صقلية (٣)،ومرسى صفاقس ، ويقع إلى الشرق عن المهدية ، وكان مرسى ميت المياه(٤) ومرسى قابس، وكان مرفئاً للسفن الصغيرة والمتوسطة التى كانت تدخل فى واديها(٥).

أما طرابلس الغرب فكان لها مرسى مأمون من الرياح (٦) .

ومن مراسى المغرب الأوسط مرسى بجاية ، التى كان لها جون عميق يحميها، ويعبر منه بالمراكب إليها (٧) ، ومرسى وهران (٨) .

---

(١) الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق د. إحسان عباس ، لبنان ، ص ٣٢-٣٣.

(٢) الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذ من كتاب نزهه المشتاق فى إختراق الآفاق ، نشره دوزى ودى غويه ، ليدن ، ١٩٨٣ ، ص ١١١ – ١١٢ .

(٣) أبو الفدا : تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانيه ، ١٨٤٠م ، ص ١١٦ ؛ فوزيه نوح : البحرية الإسلامية فى بلاد المغرب فى عهد دولة الأغالبه، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى، ١٩٨٥م، ص ١٢٠ ، ٢٤٢ .

(٤) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٥) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، تحقيق البارون دى سلان، الجزائر، ١٩١١، ص ٨٣.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٧ .

(٧) ابن فضل العمرى : وصف إفريقيه والمغرب والأندلس ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، ١٩٠٦م، ص ٦ .

(٨) البكرى : المصدر السابق ، ص ٦٥ ؛ الإدريسى : المصدر السابق ص ٨٩ .

ومن مراسى المغرب الأقصى مرسى سبته ، "مورد بر العدوه وبر الأندلس ، ومفتاح باب المشرقين ومجمع البحرين"[١] ، ومرسى فضاله الواقع بالقرب من سلا، وكانت ترده المراكب من الأندلس [٢] .

ومن مراسى الأندلس مرسى محملة من عمل المريه [٣]، ومرسى بزليانه من عمل مالقه[٤] ومرسى مرية بلش [٥] .

وسيطر المسلمون على الجزر الواقعة أمام الساحل الغربى والأندلس ، وكان لاستيلاء المسلمين على جزيرتى قبرص[٦] رودس [٧] ، أعظم الأثر فى تدعيم البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط، فقد اتخذهما المسلمون قاعدتين هامتين، وجهوا منهما الحملات على أملاك الدولة البيزنطية.

---

(١) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٧٣ – ٧٤ .

(٢) الإدريسى : المصدر نفسه ، ص ٧١-٧٣ .

(٣) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٢٨ .

(٤) الحميدى : جذوه المقتبس فى ذكر رجال الأندلس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة، ١٩٥٢، ق٢ ،ص ٤٢ .

(٥) الإدريسى : المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

(٦) قبرص : تستمد أهميتها من موقعها الجغرافى فى الزاوية الشمالية الشرقية من حوض البحر المتوسط ، وهو موقع يجعلها تتحكم فى سهولة فى مياه هذا القسم الشرقى من البحر بما يطل عليه من أقطار أوربيه وإفريقيه وأسيويه.

وظلت جزيرة قبرص من القرن الأول إلى بداية القرن الرابع الهجرى (السابع إلى العاشر الميلادى) تحت سيطرة المسلمين ، ولكن البيزنطيين تمكنوا من استعادة سيطرتهم التامة على الجزيرة فى عهد الإمبراطور نقفور فوكاس (٣٥٢-٣٥٨هـ/٩٦٣-٩٦٩م) سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م، وحلت الهزيمة بالأسطول الإسلامى.

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٥٤ ؛ المقريزى : المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق، ١٢٧٠هـ، جـ١ ، ص ٣١٤ ، د.إبراهيم العدوى ، الأساطيل العربيه فى البحر المتوسط، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢١-٢٢.

(٧) رودس : اكتسبت أهميتها من قربها الشديد من سواحل البيزنطيين واتخذها المسلمون قاعدة بحرية ثانية ، ونظراً لقربها من أراضى البيزنطيين زودها معاويه بن أبى سفيان بأسطول مقيم على اتصال بالأساطيل الإسلامية الأخرى ، بهدف شل حركات أساطيل العدو .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ د. إبراهيم العدوى الأساطيل العربيه ص ٢٢ – ٢٣ .

أما النصف الغربى من حوض البحر المتوسط ، فكانت تكثر به الجزر المتوزعه، بحيث تؤلف خطاً دفاعياً أمامياً ، يقيه من هجمات الأعداء،وفى نفس الوقت تعينه على توجيه الغارات على السواحل الجنوبيه لإيطاليا وفرنسا .

ومن أهم هذه الجزر صقلية [١] وسردانيه [٢] وميورقه [٣] ومنورقة [٤]، ويابسه [٥].

وتعرف ميورقه ومنورقه ويابسه (جزائر البليار) بالجزائر الشرقية ، لوقوعها شرق بلنسيه[٦] وكانت بمثابة واجهه تحمى ساحل شرق الأندلس ، وفى المحيط الأطلسى غربى مدينة سلا [٧] جزائر الخالدات وجزائر السعاده [١] .

---

(١) صقليه : تقع فى البحر المتوسط ، قاعدتها بالرمو ، وقد افتتحها القائد أسد بن الفرات سنة ٢١٢هـ/١٨٢٧م فى عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلبى أمير إفريقيه ، وهى جزيرة عظيمة وحصينه، كانت لها أهميتها العظمى فى الصراع البحرى بين المسلمين والنصارى فى حوض البحر المتوسط الغربى .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٦٦ – ٣٦٧ .

(٢) سردانيه : تقع فى النصف الغربى من البحر المتوسط ، وهى كثيرة الجبال قليلة المياه كبيرة المساحة ، وهى تقع بين شبه جزيرة إيبريا وشبه جزيرة إيطاليا .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧م، جـ٣، ص ٢٠٩؛ الحميرى: المصدر نفسه ، ص ٣١٤.

(٣) ميورقه : كبرى جزر البليار من حيث المساحة ، وأخصب الجزر أرضا وأعدلها هواء . ويفصلها البحر الزقاقى عن جزيرة منورقة . وهى غير منتظمة فى شكلها لكثرة الخلجان والفجوات فى سواحلها ، ومتجانسة إلى حد ما فى الجزء الشمالى الشرقى .

أبو القدا : تقويم البلدان ، ص ١٩١؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٦٧.

(٤) منورقة : ثانية جزر البليار من حيث المساحه ، وهى جزيرة عامره تقع شرقى الأندلس وقرب ميورقه ، وتقابل برشلونه وهى كثيرة الزرع والكروم .

ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢١٦ ؛ محمد الزهرى : كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق، دمشق،١٩٦٥، ص ٦٨؛ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، جـ٣،ص ١٣٢٥.

(٥) يابسه:ثالثه جزر البليار من حيث المساحة وتشكل مع جزيرة فومنتيره ما يسمى بجزر الصنوبر.

ويصفها الحميرى بأنها جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعناب بها مدينة حسنة صغيرة خضره ، وبها عشرة مراسى وأنهار جارية وقرى كثيرة وعمائر متصلة .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦١٦ .

(٦) بلنسيه : مدينة كبيره تقع فى شرق الأندلس وهى مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس ، وبينها وبين ساحل البحر المتوسط ثلاثة أميال ، وتمتاز بخصوبتها وحدائقها وجناتها ، ويرويها النهر الأبيض أحد فروع نهر توريا المسمى بالنهر الأحمر .

الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٩١ ؛ ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ٢ ، ص ٢٧٩ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٧) سلا : مدينة رومانية قديمة ، تقع على ساحل المحيط الأطلسى فى أقصى المغرب يفصلها عن مدينة الرباط وادى أبى الرقراق .

أما النصف الغربي من حوض البحر المتوسط ، فكانت تكثر به الجزر المتوزعه، بحيث تؤلف خطاً دفاعياً أمامياً ، يقيه من هجمات الأعداء،وفي نفس الوقت تعينه على توجيه الغارات على السواحل الجنوبيه لإيطاليا وفرنسا .

ومن أهم هذه الجزر صقلية [١] وسردانيه [٢] وميورقه [٣] ومنورقة [٤]، ويابسه [٥].

وتعرف ميورقه ومنورقه ويابسه (جزائر البليار) بالجزائر الشرقية ، لوقوعها شرق بلنسيه[٦] وكانت بمثابة واجهه تحمي ساحل شرق الأندلس ، وفي المحيط الأطلسي غربي مدينة سلا [٧] جزائر الخالدات وجزائر السعاده [١] .

---

(١) صقليه : تقع في البحر المتوسط ، قاعدتها بالرمو ، وقد افتتحها القائد أسد بن الفرات سنة ٢١٢هـ/١٨٢٧م في عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلبي أمير إفريقيه ، وهي جزيرة عظيمة وحصينه، كانت لها أهميتها الدائمي في الصراع البحرى بين المسلمين والنصارى في حوض البحر المتوسط الغربي .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٦٦ – ٣٦٧ .

(٢) سردانيه : تقع في النصف الغربي من البحر المتوسط ، وهي كثيرة الجبال قليلة المياه كبيرة المساحة ، وهي تقع بين شبه جزيرة إيبريا وشبه جزيرة إيطاليا .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧م، جـ٣، ص ٢٠٩؛
الحميرى: المصدر نفسه ، ص ٣١٤.

(٣) ميورقه : كبرى جزر البليار من حيث المساحة ، وأخصب الجزر أرضاً وأعدلها هواءً . ويفصلها البحر الزقاقي عن جزيرة منورقة . وهي غير منتظمة في شكلها لكثرة الخلجان والفجوات في سواحلها ، ومتجانسة إلى حد ما في الجزء الشمالي الشرقي .
أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٩١؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٦٧.

(٤) منورقة : ثانية جزر البليار من حيث المساحه ، وهي جزيرة عامره تقع شرقي الأندلس وقرب ميورقه ، وتقابل برشلونه وهي كثيرة الزرع والكروم .
ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢١٦ ؛ محمد الزهرى : كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق، دمشق،١٩٦٥، ص ٦٨؛ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، جـ٣،ص ١٣٢٥.

(٥) يابسه :ثالثه جزر البليار من حيث المساحة وتشكل مع جزيرة فومنتره ما يسمى بجزر الصنوبر.
ويصفها الحميرى بأنها جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعناب بها مدينة حسنة صغيرة خضره ، وبها عشرة مراسي وأنهار جارية وقرى كثيرة وعمائر متصلة .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦١٦ .

(٦) بلنسيه : مدينة كبيره تقع في شرق الأندلس وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس ، وبينها وبين ساحل البحر المتوسط ثلاثة أميال ، وتمتاز بخصوبتها وحدائقها وجناتها ، ويرويها النهر الأبيض أحد فروع نهر توريا المسمى بالنهر الأحمر .
الإدريسي : المصدر السابق ، ص ١٩١ ؛ ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ٢ ، ص ٢٧٩ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٧) سلا : مدينة رومانية قديمة ، تقع على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى المغرب يفصلها عن مدينة الرباط وادى أبي الرقراق .

الفتوحات الإسلامية لجزر البحر المتوسط (الأوسط والغربى) :

يعتبر القرن الثالث الهجرى /التاسع الميلادى عصر الفتوحات الإسلامية البحرية ، إذا أصبح المسلمون قوة لها حسابها بعد أن تمكن الأندلسيون من الاستيلاء على جزيرة إقريطش سنة ٢١٢هـ /٨٢٧م ، ونجاح الأغالبه فى ضم جزيرتى صقلية سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م ، ومالطه ٢٥٥هـ/٨٦٨م ، واستيلاء الأمير الأموى عبد الرحمن الأوسط على جزيرة ميورقه سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م،وهكذا أصبح المسلمون فى غرب العالم الإسلامى السادة الحقيقيين للبحر المتوسط، بل وورثة البيزنطيين فى السيطرة على الملاحة فيه .

ونلقى ضوءً سريعاً على فتح هذه الجزر .

إقريطش [(١)] :-

أستطاع الأندلسيون [(٢)] فتح جزيرة إقريطش (كريت) بقيادة أميرهم أبى

---

(١) إقريطش: هى جزيرة كريت، وهى من جزر البحر المتوسط وفتحها المسلمون سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م.

وتتمتع إقريطش بموقع استراتيجى ممتاز فى وسط حوض البحر المتوسط ، فهى تؤلف جسراً يربط بين شبه جزيرة البلوبونير ، وشبه جزيرة الأناضول ، وتتحكم فى الممرات المائية إلى بحر إيجه وسواحل آسيا الصغرى ومقدونيا ، وهى غنية بالأشجار التى استعملها المسلمون فى إنشاء الأساطيل .

د. ابراهيم العدوى : إقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى ،المجلة التاريخية المصرية، ١٩٥٠م ، المجلد الثالث ، العدد الثانى ، ص ٥٩ ؛ د. عبد العزيز سالم ، د. أحمد العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية (البحرية الإسلامية فى مصر والشام) ، مؤسسة شباب الجامعة ، جـ١ ، ص ٣٩ ، ٤٢ .

(٢) أبحر هؤلاء الأندلسيون من قرطبة إلى الإسكندرية سنة ١٩٩هـ /٨١٤م دون أن يصحبوا زوجاتهم واولادهم حيث استقروا فى ضواحيها ، وتحالفوا مع قبيلة من عرب إفريقية على حمايتهم إلى أن تركوا المدينة بعد أن قويت شوكتهم .

واختار المهاجرون من بينهم أبا حفص عمر البلوطى أميراً عليهم ، وعُرفوا بنشاطهم فى البحر المتوسط، وكانوا يذهبون بمراكبهم إلى كريت للإغارة وأحياناً للتجارة ، ونظراً للإضطرابات التى أحدثوها بالأسكندرية أرسل الخليفة المأمون العباسى جيشاً بقيادة عبد الله بن طاهر سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م واستطاع أن يحاصرهم بالاسكندرية واشترط عليهم الخروج منها وألا ينزلوا أرضاً للعباسيين فخرجوا بقيادة أبى حفص إلى كريت ففتحوها .

ابن الآبار : الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، جـ١ ، ص ٤٥ .

المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٠٢ – ٣٠٣ .

حفص عمر بن شعيب البلوطى[1] .

وأسس أبو حفص البلوطى مدينة جديدة فى جزيرة إقريطش وأحاطها بخندق، فسميت المدينة باسم "قندية" أو خندق ، واتخذها حاضرة له ، ولم يلبث المسلمون أن سيطروا على كثير من مدن هذه الجزيرة [2] ، فشعر أهل كريت بالأمن والاستقرار ، فى ظل الحكم الإسلامى [3] .

وشرع الأندلسيون فى إقريطش بحكم ممارستهم الغزو البحرى إستغلال الموارد الطبيعية فى الجزيرة ، خاصة الأخشاب لإنشاء قطع بحرية جديدة ، تدعم أسطولهم، وتعينهم على مواصلة الغزو ، وسرعان ما أصبح لديهم أسطول بحرى قوى يهاجمون به جزر الأرخبيل .

وأخذت السيادة والسيطرة فى البحر المتوسط تنتقل إلى المسلمين ، وأدركت الدولة البيزنطية مدى الخسارة الفادحة التى أصابتها بفقد إقريطش [4] .

وأصبحت إقريطش (كريت) منذ أن فتحها المسلمون قاعدة بحرية هامة ، ومصدر تهديد مستمر لجزر وسواحل الدولة البيزنطية ، إذ أخذ الأسطول الكريتى يشن الغارات على جزر بحر إيجة [5] ، وأستطاع أن يوجه ضربه قاسية سنة ٢٨٨هـ/٩٠٤م عندما هاجم مدينة سالونيك ، وهى المدينة الثانية فى الأمبراطورية

---

(١) أبو حفص عمر بن عيسى بن شعيب بن الوليد البلوطى البطروجى الإقريطشى ، وسمى البلوطى نسبة لعملية فحص البلوط بقرية بو طروج فى شمال قرطبه فى سيراموربنا .

ابن خلدون : العبر و ديوان المبتدأ والخبر ، بولاق ، القاهرة ، ٦٧/١م ، جـ٣ ، ص ٢٥٣؛ جـ٤ ، ص ٢١١؛ الحميدى : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

(٢) فاز يلييف : العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيره،دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٥٨.

يذكر البلاذرى أنهم افتتحوا من إقريطش حصناً واحداً ثم توسعوا بعد ذلك ففتحوا إقريطش حصناً حصناً حتى أتموا فتحها سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م .

البلاذرى : فتوح البلدان ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد؛ ١٩٥٦م ، ١٩٥٧م ، جـ١ ، ص ٢٧٩.

(٣) د. إبراهيم العدوى : إقريطش ، ص ٩٧ –٩٨ .

(٤) د. إبراهيم العدوى : إقريطش ، ص ٦١ .

(٥) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٨٢ .

البيزنطية وأسر آلافاً من سكانها [١] .

وظل المسلمون فى كريت يشكلون خطراً جدياً على الدول البيزنطية حتى استطاع الأمبراطور البيزنطى رومانس الثانى (٣٤٨-٣٥٢هـ/٩٥٩-٩٦٣م) أن يعد قوة بحرية هائلة بقيادة قائده "نقفور فوكاس" واستطاع بعد حصار لمدة تسعة أشهر متواليه الإستيلاء على الجزيرة سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م [٢] .

وكانت الحملة التى قادها "نقفور فوكاس" عظيمة العدد والعدة ، فتكونت من ألفى سفينة حربيه ، كما بعثت القسطنطينيه ببعض أساطيلها إلى شرق البحر المتوسط لتحول دون وصول أيه إمدادات يحتمل أن تصل إلى الجزيرة من الشام أو مصر [٣] .

ويشير ابن خلدون إلى ذلك قائلاً "إن نقفور قائد الحملة ابتدأ فى حصار الجزيرة من جمادى الآخرة ٣٤٩هـ حتى محرم ٣٥٠هـ وأن حاكم الجزيرة المسلم عبد العزيز بن شعيب أُسِر وأُخِذ إلى القسطنطينيه حيث ظل بها حتى مات [٤] .

وفى ربيع الثانى سنة ٣٥٠هـ/مارس ٩٦١م سقطت مدينة "فنديه" (الخندق) عاصمة الجزيرة ، واستولى الروم على ما فيها من مال ومتاع ورقيق ونساء ، وبعثوا بكل هذه الغنائم والأسلاب إلى القسطنطينية [٥] .

وأحدث سقوط إقريطش فى يد البيزنطيين دوياً هائلاً فى العالم الإسلامى، إذ بسقوط إقريطش تم للبيزنطيين السيطرة على النصف الشرقى من حوض البحر المتوسط[٦] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٨٠م ، جـ٦ ، ص٢٨١ ؛ أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(٢) النويرى : نهاية الأدب فى فنون الأرب ، دار الكتب المصرية ، ١٩٨٢ ، جـ٢٢ ، ص ٢٤١ .

(٣) أسد رستم : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب،دار المكشوف ، بيروت، ١٩٥٥م ، جـ٢ ، ص ٣٤ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢١١ .

(٥) ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ٤ ؛ ص ٢١١ ؛ زينب راشد : كريت تحت الحكم المصرى ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٢ ، ص ٢٥ .

(٦) شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزر البحر المتوسط ،دار مكتبة الحياة، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ١٩٥ .

صقليـــــــة :

يشبه فتح المسلمين لصقلية فتحهم للأندلس ، حيث يعتبر فتـح الأغالبـة لصقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م من الأحداث البارزة فى تاريخ البحرية الإسلامية ، إذ ترتب على فتحها على أيدى المسلمين إنتقال السيادة فى البحـر المتوسـط الغربـى إلى المغرب الإسلامى ، لأن صقلية تعد أكبر جزر البحر المتوسط مسـاحة وأفضلـها موقعا ، وأغناها من حيث الموارد الإقتصادية .

وترجع الأسباب التى دعت (زيادة الله)[١] إلى فتح صقلية إلى الأسباب الآتية :-

أولا : العامل الدينى ، وهو العامل الهام وهو الجهاد فى سبيل الله .

ثانيا : اتجاه الأغالبه منذ بدايـه دولتـهم إلى اصطنـاع سياسـه بحريـة ، وإنشـاء أسطول بحرى قوى مكنهم من فتـح جزيرتـى (صقليـة ومالطـه) ، وسـواحل إيطاليا الجنوبيه والجنوبيه الغربية، وجزيرة سـردانيه . وجـاء فتـح صقليـة تتميما لسيادة العرب فى النصف الغربى من البحر المتوسط [٢] .

ثالثا : أهمية صقلية من الناحيتين الإقتصادية والبحرية حيث أنها تعتبـر بلـدا خصبه كثيرة الخيرات ، غنية بمواردها الطبيعة وثرواتها المعدنية .

رابعا : قطع دابر القرصنة البيزنطية التى كانت تتخذ من صقلية قاعدة حربيـة تشن منها غاراتها على سواحل المغرب العربى ومراكب التجار العرب [٣] .

---

(١) زيادة الله : ثالث أمراء الأغالبه (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٦-٨٣٧م) قضى على الفتن وثورات البربر ، ونشر الاستقرار والأمن داخل دولته ، ثـم وجـه جـهوده إلى منطقة البحر المتوسط وأعد عدته لفتح صقليه.
ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٨٥-١٨٦ ؛ د. حامد زيدان : تاريخ الحضارة الإسلامية فى صقلية وأثرها على أوربا ، دار الثقافـة للطباعـة والنشر، القاهرة ،١٩٧٧، ص ١٩.

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٤٦٦-٤٦٧ ؛ د. عبد العزيز سالم : المغـرب الكبـير ، دراسـة تاريخيـة وعمرانية وأثرية ، دار النهضة العربيه للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٦م ، جـ٢ ، ص ٣٧٤ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٨٩ ، د. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٥م ، جـ٢ ، ص ٢١١ .

خامساً : رغبة الأمير الأغلبي في قطع دابر الفتن الداخلية والثورات التي كانت تجتاح البلاد،فأراد إشغال الناس من بربر وعرب بأمر الجهاد في سبيل الله(١).

خرج الأسطول الأغلبي من مدينة سوسه (٢) يوم الأحد ١٤ربيع الأول ٢١٢هـ/١٤ يونيو ٨٢٧م وكان قائد الحملة قاضي إفريقيه وفقيهها أسد بن الفرات(٣).

وتكون الأسطول من سبعمائه فارس بخيلهم وعشرة آلاف راجل ، عبروا البحر إلى صقلية في مراكب عددها حوالي ١٠٠٠ مركب (٤) ، ووصل الأسطول إلى الساحل الصقلي عند مدينة مازر (٥) وتقابل الجيش الإسلامي مع الروم وإستطاع المسلمون هزيمتهم ، وزحفوا إلى داخل صقلية وتحصنوا في ميناو (٦) ، فحاصرهم الروم وظلوا محاصرين حتى جاءتهم النجدة من إخوانهم في الأندلس ، إذ وصل إلى مياه صقليه سنة ٢١٤هـ/٨٢١م أسطول أندلسي يتكون من قطع كبيره العدد تحمل أعداداً كبيره من غزاة البحر الأندلسيين (٧) .

---

(١) أحمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقليه وجنوب إيطاليا ، مطبعة سيركوز ، ١٣٦٥هـ ، ص ٥٦-٥٧.

(٢) سوسه: مدينة ومرفأ في تونس أسسها الفينيقيون قديماً بمكان اسمه هدرميتوم،وهي مدينة حصينه.
البكري : المصدر السابق ، ص ٣٤-٣٦ ، مجهول : الإستبصار في عجائب الأمصار ، وصف مكه والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، تعليق د. سعد زغلول عبد الحميد،جامعة اسكندرية، ١٩٥٨م، ص ١١٩.

(٣) أسد بن الفرات : كان من كبار العلماء والقضاه بإفريقيه ، ولد بمدينة نيسابور سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م، وأخذ العلم في تونس وتولى القضاء سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م على القيروان . وكان بجانب فقهه وعلمه يعد من الشجعان وأشتهر بالشجاعة مع العلم والفقه ، توفي بصقلية في رجب ٢١٣هـ/٨٢٨م .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، حققه د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، جـ٣ ، ص ١٨١-١٨٢ .

(٤) ابن عذارى:"كتاب البيان" المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،دار الثقافة،بيروت،جـ١،ص ١٠٢.

(٥) مازر : مدينة مشهوره بجزيرة صقليه،تقع على الساحل الموازي لإفريقيه وتمتاز بأسوارها الحصينة الشاهقة، وبها واد ترسو السفن فيه ، وبها حمامات وخانات وبساتين .
الحميري : المصدر السابق ، ص ٥٢١ .

(٦) ميناو : مدينة ميناو أو مينيو بجزيرة صقليه ، وهي في داخل الجزيرة بعيده عن سواحلها مما يجعلها في مأمن إلى حد ما من غارات أساطيل الروم ، كذلك تحصن بها المسلمون في أول الأمر عند بداية فتح صقليه
د. صابر دياب : سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، عالم الكتاب ، ١٩٧٣،ص ٨١، هامش (١)

(٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٨٨ .

وقام الأسطول الأندلسى بالإستيلاء على ما يقابلهم من قلاع وحصون حتى وصلوا إلى ميناو سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م فهزموا الروم هزيمة قاسيه ، وفكوا الحصار عن المسلمين ثم زحفوا إلى مدينة بلرم [١] التى تقع على الساحل الشمالى بجزيرة صقليه وفتحوها .

وكان فتح مدينة بلرم خطوة كبيرة مهدت السبيل لفتح سائر مدن الجزيرة، فاتخذ المسلمون من بلرم قاعدة لهم وبنوا بها داراً لصناعة السفن ، كما أخذت السرايا تخرج منها كل يوم فتغير على أنحاء جزيرة صقليه ثم ترجع محملة بالغنائم والأسرى[٢] .

وفى شهر رمضان ٢٦٤هـ/٨٧٨م استطاع المسلمون بقيادة أحمد بن الأغلب بعد حصار طويل دام تسعة أشهر أن يستولوا على سرقوسه [٣] ، وقد حاول البيزنطيون استردادها ثانية فأرسلوا فى أواخر سنة ٢٦٦هـ/٨٨٠م اسطولاً لمهاجمة المسلمين فيها ولكن محاولتهم باءت بالفشل وأسر المسلمون نحو أربع قطع بحرية[٤]، وسيطر الأغالبة عليها وجعلوا منها قاعدة لأسطولهم بصقلية .

وقد كان لسقوطها أثر بالغ فى نفوس البيزنطيين وحاولوا استردادها ، ولكن محاولتهم باءت بالفشل ، وأسر المسلمون نحو أربع قطع بحريه من الأسطول البيزنطى[٥] مما أضطر البيزنطيين إلى التخلى عنها ليسيطر عليها

---

(١) بلرم : بلرمو او بالرمو : مدينة هامة وهى قصبة ولايه بجزيرة صقليه ، تقع فى الجانب الشرقى من الجزيرة وبها ميناء وحصون وقلعة لحمايتها،واتخذها المسلمون قاعدة لهم بعد فتحها سنة ٢١٦-٢١٧هـ/٨٣٠-٨٣١م
سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، بولاق ، المطبعة الأميرية ، جـ١ ، ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٢) د. حسن محمود : تاريخ المغرب الإسلامى "الأندلس والمغرب من الفتح العربى حتى سقوط الخلافه ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٣٩-٤٠ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ١ ، ص ١١٧، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦، ص ١٩، ابن خلدون : العبر ، جـ٤، ص ٢٠٤.
سرقوسه : من أكبر مدن صقليه ووصفها الإدريسى بأن البحر محدق بها دائر بجميع جهاتها ، وبها مرسيان أحدهما الأكبر يحتويها والآخر بشمالها وفيها توسق السفن .
الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٣٠ ؛ سرهنك : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٧، ص ٩٤.

(٥) زينى دحلان : الفتوحات الإسلامية ، جـ١ ، ص ٢٢١ .

الأغالبه ويجعلوا منها قاعده لأسطولهم بصقليه [١] .

ثم تابع الأغالبه إنتصاراتهم وفتوحاتهم فى الجزيرة حتى سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م ثم فتح مدينة طبرمين [٢] وبها تم الفتح الأغلبى للجزيرة واتخذها الأغالبه قاعدة لأسطولهم ، وكان لنبأ سقوطها أثر سيىء على نفس الامبراطور البيزنطى لأنها كانت تعد من أهم حصون جزيرة صقلية المنيعة [٣].

ويعتبر فتح صقليه من الأحداث الهامة فى تاريخ البحرية الإسلامية فى البحر المتوسط ، إذا جاءت سيادة الحوض الأوسط لهذا البحر فى يد الأغالبه ، وكان يدعمهم قوة بحرية أخرى فى الغرب تتمثل فى الأسطول الأندلسى الذى ساندهم فى فتح الجزيرة [٤] .

فتح مالطة :

تعتبر مالطه من أهم جزر الأرخبيل المالطى الذى يتكون من أربع جزر غير مالطه هى جزيره جوتزو (غوزو)،كمونه (كمومينو)، وكومنيتو وفلفولا وما يحاذيها من صخور أخرى[٥].

وتعتبر جزيرة مالطه أكبر هذه الجزر بالإضافة إلى كونها جزيرة عامره كثيره الخيرات حسنة الموقع[٦] . .

وفتح الأغالبه مالطه فى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م فى إمارة أبى الغرانيق محمد

---

(١) يذكر ابن عذارى أن المسلمين قتلوا من البيزنطيين فى معارك فتح سرقوسه حوالى أربعة آلاف .
ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٥٥ .

(٢) طبرمين : حصن بصقليه ، وهو على جبل مطل على البحر وبه مرسى ، فتحها إبراهيم الثانى الأغلبى سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٨٥ .

(٣) ابن الأثير المصدر السابق، جـ٧، ص ٩٤.

(٤) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١١ ؛ فيليب حتى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٧١٦–٧١٧، د. إبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا وإيطاليا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ٢٣، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٦١م ، ص ١١٦ .

(٥) شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

(٦) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٢٠ .

ابن أبى إبراهيم أحمد [١] (٢٥٠-٢٦١هـ/٨٦٤-٨٧٤م) وبفتحها تأكـدت سيطـرة المسلمين الكامله على المضايق الواقعه بين صقليه وإفريقيه [٢] .

واعتـبر فتـح مالطـه وصقليـه مـن الأحـداث البـارزه فـى تـاريخ البحريـة الإسلامية ، إذ أنها تعتبر مفتاح حوض البحر المتوسط الأوسط والغربى ، وخاصـة بعد أن أصبحت جميع الجزر فى تلك المنطقة الوسطى من هذا البحـر فـى أيـدى المسلمين [٣] .

وحـاول البـيزنطيون فـى سـنة ٢٥٦هــ/٨٦٩م اسـترداد جزيـرة مالطـه ، فحاصروهـا بأسـاطيلهم، وعندمـا علـم البـيزنطيون بقـدوم جيـش المسـلمين فكـوا حصارها ورحلوا إلى بلادهم [٤].

وازدادت أهميـة جزيـرة مالطـه بعـد أن أنشـأ الأغالبـه بـها دارا لصناعـة السفن، فأصبحت قاعدة بحرية هامة للأغالبه فى البحر المتوسط [٥] .

جـــزر البليـــار :

جزر البليار أو الجزر الشرقية ثلاث تتدرج فى المساحة ، وتقع شرق مدينة بلنسيه ، وأكبر هذه الجزر جزيرة ميورقه ، وأوسطها جزيرة منورقـه ، وأصغرهـا يابسه .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٠٧ .
ذكر أرشيبالد لويس أن الأغالبه استولوا على جزيرة مالطه سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م .
أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .
لمزيد من التفاصيل راجع
فوزية نوح : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٢ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٢٤ ؛ د. إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى ، الادارة العامة للثقافة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٩ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ١٢٥ ؛ أرشيبالد لويس : المرجع السابق، ص ٢١٨ .

(٥) د. عبد العزيز سالم ، د. أحمد العبادى : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

وغزاها الأمير الأموى عبد الرحمن بن الحكم [١] (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) عندما نقض أهل البليار العهد الذى كان بين الأمويين والأندلسيين وأهل جزر البليار[٢] باعتدائهم على السفن الإسلامية وثورتهم على الحكم الإسلامى فأمر عبد الرحمن بن الحكم بتجهيز ثلاثمائه سفينة لنقل المقاتلين وغزاة البحر والمتطوعه للإغارة على هذه الجزر وقمع ثورة أهلها وإعادتهم إلى الطاعة ، وتمكنت القوات الأندلسية من فتح جزر البليار سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م [٣].

ويشير ابن حيان إلى ذلك قائلا "ففتح الله عليهم وأظفرهم بهم فأصابوا سباياهم وفتحوا أكثر جزائرهم [٤]".

ويبدو أن هذه الجزر خرجت عن طاعه الأمويين فتحدثنا المصادر أنه فى سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م تمكن القائد عصام الخولانى [٥] من افتتاح جزر البليار نهائيا ودخولها فى حظيره الدول الأموية .

جزيرة سردانيه :

توالت حملات المسلمين لضمها لأملاك المسلمين ، وكانت أول محاولة لفتحها فى ولايه موسى بن نصير [٦] سنة ٩٢هـ/٧١٠م [٧] وتكررت بعد ذلك

---

(١) عبد الرحمن بن الحكم : ولد بطليطله سنة ١٧٦هـ/٧٩١م ، وعنى أبوه بتعليمه وتخريجه فى العلوم الحديثة والقديمة، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م وعمره ثلاثون عاما.

اتسم عصره بتقدم الحركه العلميه فى البلاد ، أقام القصور والمنتزهات وشيد الجسور والمساجد فى جميع أنحاء الأندلس ، وأسس مدنا إسلاميه كمرسيه والمريه ، توفى فى ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م، ويعد الأمير عبد الرحمن من أعظم أمراء بنى أمية فى الأندلس إذ كان عصر ارتقاء وتقدم فى الثقافة والفن .

ابن خلدون : العبر جـ٤ ،ص ١٦٤ ؛ د. عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضاره الإسلام فى الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٥م ، ص ٣٦٠-٣٦٦ .

(٢) كان هذا العهد فى سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م وهى السنة الأولى من ولايه الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وكان ينص على دفع الجزيه المقرره والكف عن إيقاع الأذى بالمسلمين .

ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٨٩ .

(٣) ابن حيان :المقتبس في أخبار بلد الأندلس،تحقيق د.محمود مكى،دار الكتاب العربى،بيروت،١٩٧٣م،ص٣.

(٤) ابن حيان : المصدر نفسه ، ص ٣ .

(٥) عصام الخولانى : أحد الرؤساء البحريين المجاهدين ، ظل واليا على جزر البليار بعد فتحها سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م حتى وفاته سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م .

ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٥٣ .

(٦) موسى بن نصير : ولد سنة ١٩هـ/٦٤٠م فى خلافة عمر بن الخطاب بوادى القرى ، عينه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عاملا على العراق ثم ولاه الخليفه عبد العزيز بن مروان على إفريقيه وما يليها سنة ٧٩هـ/٦٩٨م ، وتوجه إليها على رأس جيش كبير وجعل فى مقدم هذا الجيش طارق بن زياد ، وقاتل البربر وفتح بلادهم ومدائنهم وتم على يديه فتح أجزاء كبيره من الأندلس ، توفى سنة ٩٧هـ/٧١٥م بوادى القرى .

الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٠ ، جـ٣ ، ص ٣٢٥، د.عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضاره الاسلام بالأندلس، ص ٣٣٣-٣٣٨ .

(٧) د. ابراهيم طرخان : المسلمون فى أوربا ، ص ٧٤ .

الحملات عليها خاصة فى عهد الأغالبه حين خرجت سريه من سرايا الأسطول الأغلبى وغزت سردانيه سنة ٢٠١هـ/٨١٦م فغنموا من أهلها غنائم كثيرة [١] .

وفى سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤-١٠١٥م تم فتحها وفرضت السياده الإسلامية عليها على يد القائد مجاهد العامرى [٢] صاحب دانيه والجزر الشرقيه ، وكان الأسطول الذى قاده لفتح جزيره سردانيه من أكبر الأساطيل البحريه فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، وتكون الأسطول من مائه وعشرين قطعة بحرية ، وبلغ عدد الفرسان الذين اشتركوا فى هذه الحملة حوالى ألف فارس ، بالاضافه إلى عدد كبير من الغزاه والمتطوعه والبحارة الأشداء الذين تمرسوا فى البحر وخبروا مسالكه وخاضوا حروبه[٣].

وقد سجل المسلمون بفتوحاتهم فى صقليه وإقريطش (كريت) ومالطه ، وجزر البليار وسردانيه سيطرتهم البحرية فى حوض البحر المتوسط الأوسط والغربى ، مما أتاح لهم إقامه قواعد بحرية فى تلك الجزر مكنتهم من شن الغارات المتواصلة على سواحل إيطاليا الجنوبيه والغربيه والشماليه الغربيه والشماليه الشرقيه وعلى سواحل فرنسا الجنوبيه .

وأصبح للعالم الإسلامى فى أواخر القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى ثلاث قوى إسلاميه بحريه متميزه فى حوض البحر المتوسط الأول فى الغرب وهى قوة الأمويين فى الأندلس ، والثانية فى الحوض الأوسط للبحر المتوسط وهو قوة

---

(١) د. عبد العزيز سالم ، د. أحمد العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٩ ؛ فوزية نوح : المرجع السابق ، ص ٢٨٥-٢٨٨ .

(٢) مجاهد العمرى : من أصل أسبانى ، وهو من موالى بنى عامر ، نشأ فى قرطبه تحت رعايه المنصور بن أبى عامر ، وبرع فى الفروسيه ، وعرف عنه أنه ذو همه وصلابه وطموح .
استطاع أن يؤسس له ولأعقابه من بعده مملكه فى دانيه وجزر البليار ، توفى سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٥م .
ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٧١-٧٧ ؛ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف فى الأندلس ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ١٩٤.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٢٩٠؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١١٦.

الأغالبه والثالثة هى قوة العباسيين البحرية فى شرق البحر المتوسط وتمثلها أساطيل مصر والشام[١].

البحرية المغربية والأندلسية فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى :

لم تسلم شبه جزيرة إيطاليا من غزوات المسلمين ، واتخذ المسلمون من صقليه نقطه وثوب وقاعدة بحريه للحملات البحرية الموجهه إليها [٢] .

واستفاد المسلمون من أحوال إيطاليا الداخليه المضطربه فى فتوحاتهم ، وكان معظم جنوب إيطاليا خاضعا لأمراء بنيفانت اللومبارديين .

وكانت هناك جمهوريات إيطاليه صغيره مجاوره لإماره بنيفانت وهى (نابلى - جاتيا - أمالفى - سالرنو - كابوا) .

وكانت هذه الجمهوريات تابعة اسميا للدولة البيزنطية ويسودها النظام الإقطاعى وعملت هذه الجمهوريات على الوقوف فى وجه أمراء اللومباردو والحيلوله دون توسع أمراء بنيفانت [٣] .

وكان للنزاع الذى قام بين دوقتى نابلى وبنيفانت اللومبارديه أن عقدت هدنه بينهما سنه ٢٢٠هـ/٨٣٥م أرغمت فيها نابلى على دفع جزيه سنوية فاستنجدت بمسلمى صقليه ، ولبى الأمير أبو الأغلب بن عبد الله [٤] والى صقليه نداء أهل نابلى وأرسل إليهم أسطولا لمساعدتهم ضد أمير بنيفانت ، وأجبر هذا الأسطول جيش نابلى على الانسحاب ، وعقد صلحا جديدا أطلق بمقتضاه

---

(١) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٥٠-٢٥٢ .

(٢) د. إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوربا ، ص ١٥٩ .

(٣) د. محمود إسماعيل : الأغالبه وسياستهم الخارجيه ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٢١٦ ، أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص٢١٣ .

(٤) ابو الأغلب إبراهيم بن عبد الله : تولى إماره صقليه من سنه (٢٢٢-٢٣٦هـ/٨٣٧-٨٥١م) قام بعدة حملات على البيزنطيين واستطاع أن يغتنم منهم ، واستطاع فتح عدة حصون مثل حصن الجزيره، حصن جرحه ، وحصن البلوط ، توفى فى ١٠ رجب ٢٣٦هـ/١٠ يناير ٨٥٠م .
ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١١ .

ســراح أســرى نابلــى سنة ٢٢١هـ/٨٣٥م [١] .

وبذلك بدأ التحالف الذى أكد الصلات التجارية القديمة التــى كــانت بــين أهالى هذه المدينة ومسلمى شمال إفريقيه [٢] .

وفى سنة ٢٢٨هـ/٨٤٢م سقطت إماره بــارى [٣] فــى أيــدى المســلمين [٤] ، ومن بارى كان حكامها المسلمون يرسلون سراياهم للإغــارة علــى جنــوب ايطاليــا حتى وصلت غاراتهم إلى جنوب نــابلى وســالرنو [٥] إلى أن جاء الإمــبراطور لويــس الثانى [٦] فنزل إيطاليا وفتح (بارى) سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م [٧] .

وغــزا المســلمون جزيــرة قلوريــه [٨] ســنة ٢٧٥هــ/٨٨٨م واشــتبك الأســطول الإسلامى مع الأسطول البيزنطى بالقرب من ميلازو [٩] فى موقعــه بحريــه انتــهت بهزيمه الأسطول البيزنطى وتحطيم سفنه [١٠] .

أما البحرية الأندلسيه فى القرن الثالث الهجرى /التاسع الميلادى تسجل

---

(١) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٢) د. محمود اسماعيل : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٣) بارى : مدينة فى جنوب إيطاليا ، وهى ميناء هام على مدخل البحر الادرياتى ، وكانت تتحكم فيه كغيرها مــن الموانــىء الجنوبيــة ، واتخذهــا المسـلمون قاعدة لغزو البلاد المتاخمه .
د. إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوربا ، ص ١٦٣ .

(٤) د. أحمد توفيق : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٥) د. حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البحر المتوسط، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مايو، ١٩٥١م، ص ٤٨ .
ذكر ابن الأثير أن المسلمين لم يستطيعوا فتح مدينة بارى إلا سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م ، وإنما كان فتحها على يد جفلون البربرى فى عــهد الخليفـة العباسـى المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) .
ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٦٣ .

(٦) الإمبراطور لويس الثانى من أباطره الدوله الرومانيه المقدسه ، حكم من سنه (٢٣٦-٢٦٢هـ/٨٥٠-٨٧٥م).
د. سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، ١٩٧٢م ، مكتبة الأنجلو، ص ٦٦٥.

(٧) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٨) قلوريه : جزيره فى شرق صقليه وأهلها نصارى .
ياقوت الحموى : المصدر السابق ، م٤ ، ص ٣٩٢ .

(٩) ميلازو : مدينة تقع بالقرب من صقليه .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

(١٠) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٦٠ .

سنة ٢٢٩هـ/٨٤٤م أول ظهور للغزاه الشماليين المعروفين فى المصادر الإسلاميه بالأردمانيين أو المجوس [١] على سواحل أشبونه ويقصد بهم النورمان [٢] .

وقام هؤلاء النورمانديون بهجمات على السواحل الأندلسية الغربيه ، ففى سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م هاجموا مدينة إشبيليه [٣] وكان معظم الأسطول الأندلسى مرابطا على الساحل الشرقى ، لذا قاومهم الأندلسيون بقواتهم البرية ، ولم ينسحب النورمانديون من إشبيليه إلا بعد وصول الأسطول الأندلسى .

وأشار العذرى إلى ذلك قائلا "وانهزم النورمان وقتل منهم نحو خمسمائه من بينهم أميرهم وقائد أسطولهم وأصيب لهم أربع سفن بما فيها [٤] .

وأدى هذا الهجوم النورماندى على إشبيليه ، أن قام الأمير عبد الرحمن الأوسط بعدة أعمال هامه ، فأحاط مدينة إشبيليه بأسوار حجرية عاليه ، وبنى فى مينائها دار صناعة لبناء السفن الحربيه وزودها بالآلات ورجال البحر المدربين من سواحل الأندلس [٥] .

وقام النورمان بغزوه ثانيه فى سنة ٢٥٤هـ/٨٥٩م ولكنهم انهزموا وارتدوا من حيث أتوا ، وذكر ابن عذارى أن أسطولهم كان يتكون من اثنين وستين

---

(١) أطلق المسلمون عليهم هذا الاسم لأنهم كانوا يشعلون النيران فى كل موضع يمرون به فحسبهم المسلمون مجوسا لهذا السبب .
د. حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٢) النورمان جنس آرى قديم سكن شبة جزيرة إسكنديناوه وجوتلند ومايجاورها من الجزر منذ زمن قديم ، ومنذ بداية القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى شرع النورمان فى النزوح من أوطانهم بعد أن تزايد أعداؤهم وتضاءلت مواردهم فخرجوا فى موجتين شرقيه وغربيه ، وتوغلوا فى روسيا منحدرين من نهر الفولجا ، وأنشأوا مدينتى "بينى نوقجورد وكييف" وسيطروا على التجارة من بحر قزوين إلى البحر الأوسط وفى سنة ٢٢٩هـ/٨٣٣م نزحوا إلى الأندلس ، وظهرت سفنهم عند مصب نهر التاجه أمام ميناء أشبونه .
وذكر البكرى أن المجوس نزلوا بمرسى مدينة أصيله فى المغرب الأقصى قبل غزوهم الأندلس سنة ٢٢٩هـ/٨٣٣م .
البكرى : المصدر السابق ، ص ٧١ ؛ د. حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٣) إشبيليه : مدينة بالأندلس ، وهى أهم قواعد الأندلس ، ولها أسوار حصينه ، وقد بنى الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) سور إشبيليه وأحكم بناءها .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٩-٦٠ ، الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٧٨ ؛ البلاذرى: المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ .

(٤) العذرى : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، والبستان فى غرائب البلدان ، والمسالك إلى الممالك ، مدريد، ١٩٦٥م ، ص ١٠٠ .

(٥) ابن القوطيه : تاريخ افتتاح الأندلس ، مدريد ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٢٦م ، ص ٦٧ .

مركبا[١] وذكر العذرى أنه كان يتكون من ثمانين مركبا [٢] .

البحرية المغربية والأندلسية في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى :

شهد القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى قيام دولة فتية قوية فى المغرب هى الدولة الفاطمية[٣].

ولسنا هنا بصدد الحديث عن قيامها ، ولكن إبراز تفوق الفاطميين البحرى فى النصف الغربى من حوض البحر المتوسط .

فقد أهتم الفاطميون بشئون البحر منذ أن أسسوا دولتهم فى المغربين الأدنى والأوسط أى منذ عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م ، وتفوقوا فى العناية البحرية والجهاد البحرى ، كما اعتمدوا على الأساطيل فى تمكين نفوذهم السياسى فى بلاد المغرب وفى منافسه القوى البحرية الأمويه فى الأندلس على السياده البحرية فى البحر المتوسط الغربى وفى مغازاة السواحل الإيطاليه على البحرين الإدرياتى والتيرانى ، لذا فإن الفاطميين كانو أعظم دول الإسلام اهتماما بشئون البحر ، وبلغت بحريتهم درجة هائلة من القوة والانتظام [٤] .

ويرجع تفوق القوى البحرية الفاطمية فى غرب البحر المتوسط إلى :

أولا : تأصيل فكره الجهاد عند الفاطميين ، ويرجع هذا إلى أنهم اعتبروا الجهاد عنصرا هاما من عناصر سياستهم الحربيه أو ركيزه من ركائز العقيده الإسلاميه[٥] .

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٥ .

(٢) العذرى : المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٣) للاستزادة عن قيام الدولة الفاطمية

ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢، ص ٧٢، ابن الخطيب : أعمال الإعلام، ق٣، ص ٣٩: ٥٠، سعد زغلول عبد الحميد: فترة حاسمة من تاريخ المغرب، مجلة كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية، المجلد الأول، ١٩٥٨، ص ٢١٩-٢٢١.

(٤) د. حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٥) د. عبد المنعم ماجد : ظهور دولة الفاطميين وسقوطها فى مصر والاسكندرية، ١٩٦٨م، ص ١٢١ ، ٢٧٥.

ثانيا : سياسه التوسع فى الشمال الغربى للإطاحة بملك بنى أمية فى الأندلس، وفى الشرق للقضاء على الخلافه العباسيه المتداعيه أعظم الأثر فى اهتمامـهم بتدعيم قوتهم البحرية .

ثالثا : يسجل للفاطميين بناء مدينة المهديه سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م [١] .

وكان اختيار المهديه اختيارا موفقـا ، فموقعـها عبـارة عـن جزيـرة متصلـة بالبر كهيئة كتف متصل بزند [٢] ، فوقع اختيار المهدى عليه يبنى فيـه حاضرتـه التى أصبحت مرفأ هاما وسوقا للسلع التى تحملها السـفن إليـها مـن الإسـكندرية والشام وصقليه والأندلس .

ونحت مرسى ميناء المهديه فى الصخور ، وكان يتسع لرسـو نحـو ثلاثـين مركبا[٣] .

وبنى المهدى بمدينته الجديدة دارا لصناعة السفن تتسع لمائـه سـفينة [٤] . وموقع المهديه على البحر المتوسط جعلها قاعده بحرية هامة للمشروعات الحربيـه الفاطمية[٥].

وبنى عبد الله المهدى مدينة أخرى بجـوار المهديـه وجعـل بينـهما ميدانـا فسيحا، وأحاطهما بسور وسماها "زويله" نسبة لإحدى قبائل البربر [٦] .

---

(١) ذكر البكرى أن المهدى (٤ ربيع الثانى ٢٩٧: ١٤ ربيـع الأول ٣٢٢هـ/ ٢٢ديسـمبر ٩٠٩: ٣ مـارس ٩٣٤م) شـرع فـى بنـاء المهديـه سـنة ٣٠٠هـ/٩١٢م واستكمل سورها سنة ٣٠٥/٩١٧م وانتقل إليها فى شوال سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م .
البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٠ .
بينما ذكر بن عذارى أن المهدى ابتدأ فى تشييد المهديه سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م وأكمل سورها ونصب به الأبواب الحديدية فى ربيع الأول سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م .
ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٣٤ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٣٣

(٣) البكرى : المصدر السابق ، ص ٨٤ – ٨٥ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٠٧ ، البكرى : المصدر السابق ، ص ٥٣٠ .

(٥) ابن عذارى : المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٣٥٨ .

(٦) د. حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

وأصبحت المهدية بحكم موقعـها مـن أمنـع الحصـون البحريـة الفاطميـة ، وظلت القلعه الحصينة المتحكمة فى خليج "سرت" بساحل إفريقيه مـدة طويلـة ، وكان الفاطميون يبغون من المهديه أن تكون قاعدة انطلاق لحملاتهم البحريـة فـى حوض البحر المتوسط ، فضلا عن اتخاذها مركزا لتجارتهم [١] .

رابعا : قام الفاطميون بإصلاح دار الصناعة القديمة والتى كانت قائمة فى إفريقيه (تونس) وكانت السفن تدخل هذه الدار ليجرى تجديدها وتعميرها بالإضافـه إلى دار الصناعة التى بناها المهدى فى مدينتـه الجديـدة [٢] . وقـام الخليفـة المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٧م) بتجديـد قـاعده مدينـة سوسه المنيعه التى يحيـط بـها انبحـر مـن ثـلاث جـهات ، وتكـثر بقربـها الحجارة التى تحميها من الأمواج [٣] .

وغـدت سوسـه بفضـل الإصلاحـات التـى قـام بـها المعـز قـاعده ثانيـه للأسطول الفاطمى فى بلاد المغرب ، وأصبـح للفـاطميين بـالمغرب فـى عـهد المعز ميناءان يعتمدان على دور الصناعة فيهما صناعة السفن وتعميرها .

خامسا : تعدد المراسى والقواعد البحرية فى المغرب ، وكان لامتداد السواحل فى المغربين الأدنى والأوسط واتصالها شرقا بسواحل برقه وطرابلـــس وغربــا بسواحل المغرب الأقصى، بالإضافة إلى كـثرة الخلجـان التـى تتعمـق فـى الداخل أثر كبير فى تعدد المراسى التـى تصلـح لاتخاذهـا قواعـد بحريـة هامة .

---

(١) د. حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ، دار النهضة المصرية ، ١٩٦٣م ، جـ٣ ،ص ٣٢٩.

(٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ٥٣٠ ؛ أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٣) د.حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٨٤-١٨٥ ؛ د.إبراهيم العدوى: إقريطش،١٤٣-١٤٤.

وعلى هذا النحو تعددت القواعد البحرية للسفن التجارية والحربيه الفاطمية ، وكان لذلك أعظم الأثر فى التفوق البحرى الذى أحرزه الفاطميون على جيرانهم بالسواحل الشماليه من أمم الروم والأفرنجه[١].

سادسا : كان لسيطرة الفاطميين على الجزر الواقعه تجاه السواحل التونسية أكبر الأثر فى تمكنهم من شن الغارات البحرية فقد تمكن الفاطميون من السيطرة على معظم جزر البحر المتوسط الغربى وأكبرها صقليه ثم سردانيه وقرسقه [٢] ومالطه [٣] .

الفاطميون والأمويون فى الأندلس :-

ظهر التنافس واضحا بين الفاطميين فى بلاد المغرب والأمويين فى الأندلس، لما بين دولتيهما من تقارب جغرافى مما جعل نشاطهما يتعارض ويصطدم فى الحوض الغربى للبحر المتوسط فى البر والبحر معا ، فضلا عما بين الدولتين من خلاف مذهبى وتطلع الفاطميين لمد نفوذهم والاستيلاء على الأندلس[٤].

ولم يغفل الأمير عبد الرحمن الناصر (٣١٧-٣٥٠هـ/٩٢٩-٩٦١م) عن هذا الخطر ، فعمل على التصدى للفاطميين وأطماعهم بتكوين أسطول قوى بلغ عدد قطعه فى أواخر أيامه مائتى قطعة حربيه [٥] .

---

(١) أبو الفدا : تقوم البلدان ، ص ١١٦ .

(٢) قرسقه : جزيرة تقابل مدينة روما ، وهى تقع بالقرب من سردانيه ، ولها مراسى منها مرسى البوالص، ومرسى الزيتونه ، وفتحها المسلمون فى عهد عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٥٥ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٢ ، ص ٦٢٧ .

(٤) د. سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٣٢٧ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٦ ، ٣٤٩ ؛ د. جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ٢١٩ .

ويشير بن عذارى إلى ذلك قائلا "أن عبد الرحمن الناصر بدأ يهتم اهتماما جديدا بتدعيم قوته البحرية ليدفع بها الخطر الفاطمى عن بلاده وأنه شرع فى تسديد ضرباته إلى ممتلكات الفاطميين فى المغرب قبل أن يسبقه هؤلاء إلى مهاجمه بلاده"[1].

كذلك عمد عبد الرحمن الناصر على إثاره الثورات ضد الفاطميين ، ونجح فى إشغال الفاطميين عنه ومنعهم من النزول على شاطىء الأندلس الجنوبى [2] فضلا عن مساعدته للثوار ضدهم .

ومن جهة أخرى استخدم الفاطميون أساطيلهم لتمكين نفوذهم السياسى فى أرض المغرب ، وإخماد الحركات المناهضة لسلطانهم فى هذه البلاد .

ففى سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م أرسل عبد الله المهدى أسطولا من خمسة عشر مركبا حربيا إلى طرابلس لمساعدة جيشه الذى سيره إليها بقيادة ابنه أبى القاسم لإخماد ثورتهم عليهم ولكن أهل طرابلس أخرجوا إليهم مراكبهم وحرقوا أسطول المهدى وقتلوا من فيه [3] .

ومع ذلك تمكن أبو القاسم من إخضاع الثوار وإعادة طرابلس إلى الطاعة .

وساهمت الأساطيل الفاطمية فى إخماد حركه أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى [4] الثائر على الفاطميين ، وهى حركة خطيره استغرقت نحو أربعة عشر

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢) د. عبد العزيز سالم : فى تاريخ حضاره الأندلس ، ص ٢٨٨ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٣٤ .

(٤) أبو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله مغيث بن كرمان بن مخلد ، من قبيلة يفرن الزناتية ، ولد بالسودان من جارية هواريه فأتى أبوه إلى توزر فنشأ بها ، وتعلم القرآن منذ طفولته ثم اتصل بالاباضيه ورحل إلى تاهرت ، واعتنق مذهبهم ، وبدأ دعوته سنة ٣١٠هـ/٩١١م وظاهر بعدوانه للفاطميين سنة ٣١٦هـ/٩٢٧م ودعا إلى تكفير الشيعة والخروج على سلطان الفاطميين ، واستمرت ثورته أربعه عشر عاما إلى أن هزمه المنصور الفاطمى وقبض عليه ، توفى فى محرم سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م .
ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٣٠٨ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٩١-٩٢ .

عاما (٣٢٢-٣٣٦هـ /٩٣٣ -٩٤٧م) وعندما اشتد حصار أبى يزيد على سوسه سنة ٣٤٤هـ/ ٩٤٥م بعث أبو العباس إسماعيل المنصور الأساطيل من المهديه إلى سوسه مشحونه بالمدد من المقاتلة والميرة على رأس قائده البحرى يعقوب بن اسحق وتمكنوا من ايقاع الهزيمة به [١] .

كذلك وضح العداء بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، ففى سنة ٣٤١هـ/٩٥٥م هاجمت إحدى السفن الأندلسيه سفينه فاطميه صغيرة فى البحر بالقرب من جزيرة صقليه وأغرقتها ، فلما بلغ المعز لدين الله ذلك جهز أسطولا ووجهه إلى ساحل الأندلس الجنوبى الشرقى ، فلما وصل المريه هاجم مرساها ، ثم دخلت قواته المدينة وعاثوا فيها نهبا وفسادا وعادوا بعد ذلك إلى المهديه [٢] .

جهاد الفاطميين البحرى ضد الروم والفرنجه :

غزت الأساطيل الفاطمية سواحل إيطاليا الجنوبيه الواقعه على البحرين الإدرياتى والتيرانى من قواعدها فى صقلية وسردانيه .

وبلغ النشاط البحرى الفاطمى ذروته وتم فتح جنوة [٣] ؛ ففى سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م أرسل القائم بأمر الله الفاطمى (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٦م) حملة بقيادة "يعقوب بن اسحق" فهاجمت جنوة ونابلى ، ثم أغارت على جزيرتى سردينيا وقرسقه ، وأحرقت كثيرا من السفن البيزنطية والجنوبية [٤] .

---

(١) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص ٣٠٨ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣١٨ ؛ جمال سرور : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٣) جنوه : من أعظم مدن الروم والافرنج ،وهى مدينة فى شبه الجزيرة الايطاليه تقع على البحر المتوسط. وقد اشتهر أهلها بالتجارة عبر البحر المتوسط بين سواحل الشام والأندلس، ويوصف أهلها بالشدة فى البحر .
الزهرى : المصدر السابق ، ص ٧٧ – ٧٨ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٩٦ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق د.جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ١٠٨ .

وغزا الفاطميون الساحل الجنوبى لبلاد الفرنجة (بالبر الكبير) واستطاعت الأساطيل الفاطمية إلحاق الهزيمة بالبيزنطيين فى موقعه "أذرنت" سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م[١].

واستطاع والى صقلية "أحمد بن الحسن بن على الكلبى" الذى ولى صقلية سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م أن يدعم النفوذ الفاطمى فى الجزيرة [٢] فأعاد فتح طبرمين التى احتلها البزنطيون واستولى على قلعتها الحصينة سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م بعد أن حاصرها سبعة أشهر ونصف [٣].

ولما وصلت هذه الأنباء إلى أهل رمطة النصارى شقوا عصا الطاعة على الفاطميين، واستنجدوا بالإمبراطور البيزنطى نقفور فوكاس. سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م وسير إليهم جيشا كبيرا فى البحر تزيد عدته على أربعين ألف مقاتل [٤].

ولما بلغ أحمد بن الحسن بن على الكلبى استعداد البيزنطيين للهجوم على جزيرة صقلية ، أرسل إلى الخليفة المعز يطلب إمدادات بحرية وبرية لتدعيم قواته لمواجهه الهجوم البيزنطى المتوقع .

وعندما جاءته الأمدادات بدأ المسلمون يحاصرون رمطة [٥]. فى الوقت الذى رست فيه سفن البيزنطيين فى مسينى [٦].

وقد تمكنت القوات المسلمة بقيادة والى صقلية "الحسن بن على" من إحراز

---

(١) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) ابو القدا : المختصر فى اخبار البشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، جـ٢ ، ص ١٠١-١٠٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ١٨٣ ؛ السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤٨ .

(٥) رمطة : قلعة حصينة بجزيرة صقلية غرب مدينة مسينى بنحو ثمانية أميال ، وتبعد عن البحر ، وتقع فوق جبل مرتفع وبها آبار للماء .
الزهرى : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٦) مسينى : مدينة بجزيرة صقلية وهى إحدى قواعدها ، وبها جنات وبساتين ودار للصناعة .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٥٩ .

نصر حاسم على البيزنطيين فى رمطة سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م بعـد محاصرتـها واحـدا وعشرين شهرا [١] .

وكان لهذه الموقعة نتائج بعيدة الأثر ، إذ قررت مصير الجزيرة كلها ، لأن رمطة كانت مركزا رئيسيا للمقاومة البيزنطية فـى وجـه الحكـم الفـاطمى بجزيـرة صقلية .

وزحف والى صقلية "أحمد بن الحسن" بجيوشـه إلى مسينى ليقضـى علـى فلول البيزنطيين واستطاع القضاء عليهم سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م [٢] .

أما الأمويون ، فقد شهد القرن الرابـع الهجـرى / العاشـر الميـلادى تفـوق البحرية الأندلسية حتى بلغت أوج مجدها ، ويرجع هذا إلى الأمير عبـد الرحمـن بن محمد الملقب بالناصر لدين الله [٣] حيث إنه عمـل علـى إنشـاء أسـطول قـوى يدفع به عن الأندلس الأخطار الخارجية التى يتعرض لها بسبب الغـزو الفاطمـى المرتقب وغارات النورمان على السواء .

ويعتبر الأمير عبد الرحمن الناصر المؤسـس الحقيقـى للأسـطول الأندلسـى، فقد نشطت فـى عهـده حركـة الإنشاء وصناعـة السفن فأنشأ دور الصناعـة

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٠٩ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٢٠٠ .

(٣) عبد الرحمن بن محمد (٣٠٠–٣٥٠هـ/٩١٢–٩٥٠م) تلقب بالناصر لدين الله ، تولى الإمـارة فـى مستهل ربيـع الأول سـنة ٣٠٠هـ/٩١٢م واستطاع إخمـاد الثورات الداخلية فى مملكته ، ووحد الأندلس ، وكان عصره عصر ازدهار للحضارة الأندلسية ، كما حارب أعداءه من ملـوك أسـبانيا المسـيحية وجعـل للأندلس أسطولا قويا يدفع عنها الاعداء ، كما كان محبا للفنون والعمارة ، وتلقب بالخلافة سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م .

ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٦ ؛ د. عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى، دار الإعتصام، القـاهرة ، ١٩٩٢ ، جـ٢ ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ ؛ د. عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الأندلس ، ص ٣٦٩–٣٨٠.

في المرية [١]، طرطوشه [٢] ، دانيه [٣] ، شلب [٤] شنتمريه [٥]، الزهراء [٦] ، لقنت [٧] قصر أبى دانس [٨] ومالقة [٩].

وفى سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م أعد الأمير عبد الرحمن الناصر خمسة عشر مركبا حربية مجهزة بالرجال والسلاح [١٠] لمحاصره أرشقول [١١] وحاصرها فترة من الوقت ثم عادت إلى مريه بجاية [١٢] .

---

(١) المريه : مدينة الأندلس ، أمر ببنائها الأمير عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م واتخذها العرب مرابطا، وابتنت بها محارس ، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها ، وشيد الأمير عبد الرحمن عليها سورا حصينا منيعا .

الحميرى : المصدر السابق : ص ٥٣٧ – ٥٣٨ ؛ الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٩٧ ؛ البلاذرى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٤٢ .

(٢) طرطوشه : كبرى موانى الثغر الأعلى الإسلامى على نهر الأيبرو والذى يصب فى البحر المتوسط، وقاعدة كبرى لمجاهدى البحر وسندا قويا لجزر البليار ، وبها دار لصناعة السفن ، وبجبالها خشب الصنوبر الذى لايوجد له فى الطول والغلظ .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٩١–٣٩٢ ، الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٩٠ ؛ البلاذرى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٤٢ ؛ ياقوت الحموى : المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(٣) دانيه : مدينة تقع فى شرق الأندلس على البحر لها ربض عامر ، وعليها سور حصين وسورها من ناحية الشرق فى داخل البحر بنى بهندسة وحكمة ولها قصبة منيعه ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٣١ – ٢٣٢ ؛ الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(٤) شلب : من بلاد الأندلس وهى قاعدة كوره اكشونيه ، وتقع جنوب مدينة باجه ، ولها سور حصين وجنات وغلات والعود بجبالها كثير يحمل منها إلى جميع الجهات .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .

(٥) شنتمريه ، مدينة الأندلس ، وهى أول الحصون وأتقنها بنيانا وأعلاها سموكا ، وهى على معظم البحر الأعظم وبها دار صناعة الأساطيل ، وبازائها جزائر فى البحر تنبت شجر الصنوبر وبها مراكب وارده وصادره وهى كثيرة الأعناب والتين .

الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ .

(٦) الزهراء : مدينة فى غربى قرطبة بناها الأمير عبد الرحمن الناصر ، وبها قصور فخمه وبها بساتين وروضات .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

(٧) لقنت : مدينة صغيرة عامره ، وبها سوق ومسجد ولها قصبه منيعه جدا فى أعلى جبل ، وهى على صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق .

الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٥١١ .

(٨) قصر أبى دانس : يقع غرب الأندلس ، وبها دار لصناعة السفن .

الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٤٧٥ .

(٩) مالقة : مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط، أسسها الفينيقيون وأسموها مالكود ومعناها الملح، وذلك نسبة إلى مستودعات الأسماك الملحة التى كانت تجف وتحفظ فيها ، واشتهرت بزراعة الفواكه ولاسيما التين والرمان وصناعة الفخار .

الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٥١٧ .

(١٠) البكرى : المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(١١) أرشقول : مدينة فى ساحل تلمسان ، تقع على نهر تافنا وعليها سور حصين .

الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(١٢) مريه بجايه : كانت بجاية مشهورة قبل إنشاء المريه وانتقل أهلها بعد ذلك إلى المريه وخربت بجاية ، وفقدت أهميتها ومكانتها وأعلن أهلها الولاء للأمير عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م وعندما فتح الأمير عبد الرحمن الناصر المريه سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م صارت بجاية تابعة للمرية ولذلك يقال "مريه بجاية" .

الحميرى : المصدر نفسه، ص ٨٠–٨٢ ؛ البكرى : المصدر السابق ، ص ٧٨ .

وتضاعف عدد السفن فى خلافة الحكم المستنصر [1] فوصل إلى ستمائه جفن بين غزوى [2] وغيره [3] . كما كانت وحدات الأسطول ترابط فى القاعدة الرئيسـية بالمريه لمواجهة الخطر الفاطمى فى حين كانت إشبيليه مقرا للأسطول المرابط على سـواحل المحيط.

وذكر ابن عذارى أنـه فـى أول رجـب سـنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م قدمـت سفـن النورمـان إلى مياه غرب الأندلس ووصلوا فى ثمانية وعشرين مركبا ، فخرج إليهم المسلمون ودارت بينهم حرب عنيفه استشـهد فيـها المسـلمين ، وقتـل فيـها مـن الكافرين ، وخرج أسطول إشبيليه محطم عدة من مراكبهم وإستنقذ من كـان فيـها من المسلمين وقتل الكثير من المشركين [4] .

وعاد الأسطول الأندلسى فى الغرب إلى قاعدته فى إشبيليه ، أما النورمـان فانصرفوا من ساحل الغرب مخذولين منهزمين .

<u>تدهور البحرية المغربية والأندلسية :-</u>

كان رحيل الفاطميين من المغرب إلى مصر إيذانا بتدهور القوى البحرية فـى المغرب وصقلية ، وصارت فى طريقها إلى التدهور المحتـوم ، ومـن جهـة أخـرى سارت البحرية الأندلسيه بعد عصر الدولة العامريه نحو الاضمحلال [5] .

---

(١) الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٤٢-٩٥٨م) ولد فى غرة رجب سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، أهتم بالفن والبناء، وبلغت العمارة درجة سامية فى عصره ، ومـازالت زيادة الحكم بجامع قرطبة وآثار قصوره بمدينة الزهراء تشهد بعظمة الزخرفه وروعة البناء .
كذلك تصدى لغارات النورمانديين على سواحل الأندلس من جهه البحر ، توفى بقصر قرطبة فى ٢صفر ٣٦٦هـ/٩٥٨م .
ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٤٥ ؛ المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار الصياد ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٢٥٩ .

(٢) أنظر الفصل الأول من الباب الأول من الرسالة .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٤٢ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٥٣ .

(٥) عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب ، معهد الدراسات العربيه ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص٢٦٣-٢٦٤.

فلقد كان لسقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م أن تفتت الوحدة السياسية للاندلس ، وتجزأت البلاد إلى دويلات مستقله ، لم تعد تحتفظ بأساطيل قوية كما كان فى عصر الخلافه ، وإنما اعتمدت على أساطيل محلية صغيرة ، هى أجزاء من الأسطول الأندلسى الذى اقتسمته فيما بينها .

ولذلك لم تلعب هذه الدويلات دورا ذا قيمة فى الصراع البحرى فى حوض البحر المتوسط الغربى إلا بنى عباد بإشبيلية (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م) ، بنى صمادح بالمريه (٤٣٣-٤٨٤هـ/١٠٤١-١٠٩١م) ومجاهد العامرى فى دانيه والجزائر الشرقيه (٤٠٠-٤٦٨هـ/١٠٠٩-١٠٧٥م) فقد كان لهذه الممالك دورا هاما فى هذا الصراع البحرى .

أ- بنو عباد بإشبيليه (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م) :

كانت مملكة إشبيليه أهم دول الطوائف وأعظمها شأنا ، واهتموا بشؤون البحر لوقوع معظم ثغورهم على المحيط الأطلسى .

وكان لبنى عباد أسطول كبير فى مياه شلب ، كما كانت لهم دار صناعة فى شلب وإشبيليه [١] .

ب- بنى صمادح بالمريه (٤٣٣-٤٨٤هـ/١٠٤١-١٠٩١م) :

احتلت المرية مركزا مهما بين قواعد الأسطول الأندلسى فى عصر الطوائف، واهتم ولاتها من بنى صمادح بدار صناعتها وخاصة فى عصر المعتصم ابن صمادح [٢] .

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٧-٥٨ .

(٢) المعتصم بن صمادح : تولى مملكه المريه سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م ، بذل جهدا كبيرا فى توسيع قصبة المريه وتجميلها ، وبنى بها قصورا فخمة ، واشتهر المعتصم بالأدب والشعر ، توفى فى ربيع الآخر ، ٤٨٤هـ/١٠٩١م .
ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٦٨ .

وكان بالمرية أسطول يتألف من عدد كبير من الجوارى والفلك والأجفان(١).

وقد أحرق هذا الأسطول بيد معز الدولة بن المعتصم (٢) عندما احتل المرابطون المرية (٣).

جـ) مجاهد العامرى وجزر البليار (٤٠٠-٤٦٨هـ/١٠٠٩-١٠٧٥م) :

استولى مجاهد العامرى على جزر البلياز سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م ، واتخذ من هذه الجزر قواعد بحرية لأساطيله للإغارة منها على جزيرة سردانيه وقرسقه ، وثغور ساحل إيطاليا الغربى وجنوب بلاد الفرنجة وإمارة قطلونية (٤) .

وقد قاد أسطولا ضخما يعد من أكبر الأساطيل البحرية لفتح جزيرة سردانيه سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م ، فتكون هذا الأسطول من مائه وعشرين قطعة بحرية ، وبلغ عدد الفرسان الذين اشتركوا فى هذه الحملة ألف فارس (٥) ، بالإضافة إلى عدد كبير من الغزاة والمتطوعة والبحارة الأشداء المتمرسين فى البحر(٦) ، واستطاع مجاهد العامرى الاستيلاء على معظم سردانيه بعد معارك عنيفة قتل فيها الكثير وأسر عددا كبيرا من سكانها .

ويشير إلى ذلك ابن الأثير قائلا "وقتل مجاهد بها خلقا كبيرا من النصارى وسبى مثلهم" (٧) .

---

(١) انظر الفصل الأول من الباب الأول من الرسالة .

(٢) معز الدولة : تولى حكم المريه بعد وفاة أبيه بضعة أشهر ، فلما سقطت إشبيليه سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ركب البحر مع أهله وأمواله على ثلاث سفن أعدها لذلك وغادر المريه قبل أن يطوقها المرابطون فى رمضان سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ، ونزل عند آل حماد بقلعتهم وعاش هناك حتى توفى .
ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس بأخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ١٩٣٦، ص ١٠١ .

(٣) ابن الخطيب أعمال الإعلام ص ١٩٢.

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٥٤ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٩ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢٩٠.

(٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ؛ أرشيبالد لويس ، المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٧) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص ٢٩٠ .

واحتفظ بها مجاهد العامرى كمدينة إسلاميه ، واتخذهـا مركـزا لحكمـه ، واستقر فيها مع أسرته ، ولكنه أساء الاختيار لأن موقع المدينة فى منطقة موبـوءة جرداء قليلة الانتاج فى مكان إحدى المدن القديمة التى اندثرت وهجرها أهلها .

ويشير الحميرى إلى ذلك قائلا "لو كـان أبـو الجيـش مجـاهد العـامرى قـد دخل سردانيه وافتتح أكثرها وجدد إحــدى مدنـها فأصـاب المسـلمين فيـها جـوع ووباء"[١].

وقام مجاهد العامرى بإرسال حملات بحرية من جزيـرة سـردانيه للإغـارة على ساحل إيطاليا الغربى من جنوة حتى بيزه [٢] فى وقت تغـيرت فيـه موازيـن القـوى البحريـة بعـد سـقوط معقـل فرخشـنيط (معقـل افراكسـنيت) [٣] الإسـلامى وأصبحت ثغور إيطاليا الغربيه تحت علم البابوية تشكل قوة بحرية كبرى [٤] .

وعندما علم البابا بندكت الثامن فـى سنة ٤٠٠هـ/١٠١٥م بإستيلاء أحـد أساطيل مجاهد العامرى على ثغر (لونى) فى شمـال غـرب إيطاليـا ، قـرر العـزم على حشد القوى المسيحية فى الحوض الغربى للبحر المتوسـط لمجابهـة أسـاطيل دانيه والبليار ، وأعلـن الحـرب الصليبيـة علـى المسـلمين ، ولبـت الجمـهوريات البحرية الإيطاليه وعلى رأسها بيزه وجنوه نداء البابا بندكت الثامن "الذى نجح فى عقد تحالف بينهما ، ونجح هذا الحلف البحرى المسيحى الصليبى فى طرد

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

(٢) بيزه : مدينة فى شبه جزيرة إيطاليا على ساحل البحر المتوسط ، وهى مدينة ذات تحصينات بحرية هائلة وتمتاز بحصانة ثغرها .
الزهرى : المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٣) معقل فرخشنيط (معقل افراكسنيت) يقع فى جبل القلال على خليج سان تروبيز فى إقليم البروفانس ، وقد أسسه الأندلسيون من غزاة البحر سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م على سفح جبل حصين ، وأطلق عليه الفرنجة اسم جبل المسلمين .
أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

(٤) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

القوات الإسلامية من ثغر لونى وعادت فلولها إلى جزيرة سردانية [١] .

كما حشدت الأساطيل الصليبية نفسها لمهاجمة القوات الإسلامية فى سردانيه، ونتيجة لصعوبة موقف مجاهد العامزى قرر الانسحاب على رأس قواته إلى جزر البليار[٢]، وكان إبحاره فى ظروف غير مواتيه فى شهر إبريل الذى تهب فيه على شواطىء جزيرة سردانيه رياح المسترال الشماليه الغربيه العنيفة التى أعاقت أسطوله ودمرته ، كما فوجىء بالأساطيل الصليبية المتحالفة تقطع عليه الطريق [٣] ، وكان من نتيجة هذا الاشتباك تحطيم عدد كبير من سفن أسطوله [٤] .

ومن العوامل التى ساعدت على إضعاف البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس نمو القوى البحرية لبيزه وجنوه وساحل إيطاليا الشمالى الغربى واقبالها على الملاحه فى البحر خاصه بعد نجاح "كونت وليام" حاكم بروفانس فى سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م فى طرد المسلمين من فراكسنيت [٥] .

وفى سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م أصبحت جنوه وبيزه قوتين بحريتين عظيمتن تمكنتا من إيقاع الهزيمة بأسطول مجاهد العامرى فى جزيرة سردانيه [٦] .

---

(١) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٢ .

(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣١٤ ؛ الحميدى : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

(٣) الحميدى : المصدر نفسه ، ص ٣٥٣ .

(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

(٥) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٢١٤ .


الباب الأول
دور البحرية الاسلامية
فى بلاد المغرب
والأندلس فى
عهد المرابطين

الفصل الأول

" التنظيمات البحرية فى عصر المرابطين "

أولاً : اهتمام المرابطين بالبحرية :-

وهب الله بلاد المغرب المقومات الأساسية للقيام بدور بحرى هام ، حيث أن سواحل المغربين الأوسط والأقصى حتى المحيط الأطلسى عبارة عن شريط طويل تكثر فيه الخلجان والجزر البحرية الحامية للسواحل ، فضلاً عن موقعها المركزى فى حوض البحر المتوسط حتم عليها القيام بدور بحرى هام .

أما الأندلس ، فشبه جزيرة سواحلها يدور بها البحر المتوسط من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية ، والمحيط الأطلسى من الجهات الجنوبيه الغربيه والغربيه والشمالية الغربية [(١)] .

ومن المعروف أن المرابطين كانوا صحراويين فى أول عهدهم فلم تكن لديهم خبرة أو دراية بركوب البحر ، وشاء الله أن تزحف جموعهم صوب المغرب الأقصى ثم تتجه نحو المناطق الساحلية بقصد الاستيلاء على أهم موانى وثغور البحر المتوسط مثل طنجة [(٢)] وسبته [(٣)] .

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) طنجة : مدينة بالمغرب الأقصى ، تقع عند الطرف الغربى بمضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ، ولايفصلها عن الشاطىء الأندلسى المقابل سوى مسافة عشرة كيلومترات ، وعرفت فى القديم أيام الفينيقيين والرومان باسم "تنجى" ومعناها البحيرة .
ولطنجة نهر كبير تدخله السفن يصب فى البحر (خريطة ١-٢) .
الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٩٥ .

(٣) سبته : تقع فى أقصى شمال المغرب الأقصى ، كما أنها تطل على منطقة جبل طارق وتتحكم فى الناحية الجنوبية لهذا المضيق ، كما تتمتع بحصانة طبيعية جعلتها من أمتع بلاد المغرب ، وهى مدينة حصينة لأنها ضاربة فى البحر داخله كدخول كف على زند .
ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨٢ .

ويبدو أنهم حتى هذا الوقت لم تكن لديهم أية قوة بحرية تؤازر جيوشهم البرية، بدليل أن الأمير يوسف بن تاشفين [١] فى حربة لمدينتى طنجة وسبته سار إليها من جهة البر بعساكره ، بينما بعث المعتمد بن عباد [٢] أسطوله البحرى ليساعده على فتح سبته [٣] . وذلك لكى يدعموا حكمه فى المنطقة.

ويرجع الفضل فى إنشاء البحرية المرابطيه إلى عاهل المرابطين الأمير

= وتطل سبته على البحر المتوسط الذى يحيط بها شرقاً وجنوباً وشمالاً ، وليس لها طريق للبر إلا من الناحية الغربية (خريطة١-٢) .

الإدريسى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٢٨ ؛ مجهول : الاستبصار ، ص ١٣٧ .

(١) يوسف بن تاشفين : أصبح أميراً لدولة المرابطين بعد وفاة (أبو بكر بن عمر) سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٨م واستطاع أن يقضى على كل محاولات التمرد ضد سلطته ، وأخضع طنجة وتلمسان وسبته تحت دولته التى امتدت حدودها من إفريقيه شرقاً حتى المحيط الأطلسى غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً حتى حدود السودان جنوباً ، وعنى بالجيش والاسطول والعمران وازدهرت الحياة الاقتصادية ، توفى فى ٢٧ محرم سنة ٥٠٠هـ/٢٩ سبتمبر ١١٠٦م .

لمزيد من التفاصيل عن أعمال الأمير يوسف بن تاشفين راجع .

د. سعدون عباس . دولة المرابطين فى المغرب والأندلس "عهد يوسف بن تاشفين "دار النهضة العربية، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٥ ؛ د. حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٦ ، ص ٢١٩ .

(٢) المعتمد بن عباد : أعظم ملوك الطوائف فى عصره أوفرهم عزماً ودهاءً ، أنفق معظم حكمه فى محاربة جيرانه من أمراء الطوائف ، واشتهر بحبه للأدب والشعر ، توفى فى ٢ جمادى الآخرة سنة ٤١٦هـ/ ٢ أغسطس ١٠٢٥م .

ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، ق١ ، جـ٢ ، بيروت، ١٩٧٥، ص ٢١٨ ؛ ابن الآبار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٢ ؛ ابن خاقان : قلائد العقيان فى محاسن الأعيان ، دار الكتب الوطنية ، تونس ، ١٩٦٦ ، ص ٤٤ .

(٣) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٩١ .

يوسف الذى أدرك بعد انتصاره فى معركه سبته فى صفر ٤٧٦هـ/يونيه١٠٨٣م [١] أهمية الأسطول البحرى فى كسب المعارك ، فبدأ يهتم به ويوليه عظيم اهتمامه محاولاً إحياء البحرية الإسلامية التى كانت قد درست معالمها وذهبت ريحها ، ويبدو أن جهود المرابطين فى إحياء البحرية كُللت بالنجاح ، فظهر هذا جلياً فى حركة الجهاد فى الأندلس [٢] وكيف أن فتح هذه البلاد أعاد إلى الأذهان جهود موسى بن نصير فى إحياء البحرية الإسلامية .

وأقدم الأمير يوسف على فتح سبته وطنجة لا حباً فى التوسع والفتح فحسب، بل ليمكن دولته الناشئة من أن تتخذ قواعد لأسطولها الناشىء الذى سوف يسخره لمناهضة القوى الفرنجية فى البحر ، وحماية القوات المرابطية حين تعبر إلى الأندلس مجاهدة فى سبيل الله .

وقد أولى المرابطون الأساطيل عناية كبيرة، واصطنعوا البحريين الاندلسيين، واستعانوا بالخبراء الفنيين فى الصناعة البحرية والإنشاء ، وبذلك تهيأت لهم أسباب السيطرة البحرية فى البحر المتوسط [٣] ، فظهر فى عهد الأمير يوسف أسطول صغير تالف من السفن التى تنقل الجند من المغرب إلى الأندلس ، وتميز هذا الأسطول بكثرة سفن النقل فيه عن السفن الحربية [٤] .

وشارك هذا الأسطول فى نقل جنود المرابطين من برعدوة المغرب إلى

---

(١) انظر الفصل الثانى من الباب الأول من الرسالة .

(٢) انظر الفصل الثالث من الباب الأول من الرسالة .

(٣) د. حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣٩٢ .

(٤) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمه محمد عبد الله عنان ، القاهرة، ١٩٥٨ ، ص ٢٣٧ .

برعدوة الأندلس لخوض معركة الزلاقه [١] ، وأصبح هذا الأسطول همزة وصل بين العدوتين ليحقق به الأمير يوسف مشروعه العسكرى الكبير باستيلائه على بلاد الأندلس وضمها لدولته .

ولم يشرع المرابطون فى إنشاء أسطولهم الحربى الكبير إلا بعد أن فتحوا المريه، وكان فتح المريه بداية عهد جديد فى تاريخ البحرية المرابطيه ، ذلك أنهم وضعوا أيديهم على أهم الموانى فى حوض البحر المتوسط الغربى ، واستولوا على دور صناعتها التى كانت ذات شهرة عالميه فى فنون البحر وصناعة السفن ، فقد كان لثغر المريه ودار صناعتها شهرة لاتبارى فى هذا السبيل [٢].

وعندما استطاع الأمير يوسف إخضاع أساطيل سبته وقادس [٣] ، أصبح المرابطون يضعون أيديهم على أهم موانى حوض البحر المتوسط سواء فى المغرب أو فى الأندلس فقد كانت لهم فى سبته والمريه وقادس أساطيل دائمة وكانت قطائع النقل تتجمع بنوع خاص فى مياه سبته والجزيرة الخضراء [٤] وطريف [٥] وسلا لنقل الجيوش المرابطيه إلى شبه الجزيرة الأندلسية أو منها إلى المغرب .

وبدأ الأسطول المرابطى فى عهد الأمير يوسف يظهر كعنصر فعال فى

---

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الأول من الرسالة .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص ٣٣١.

(٣) قادس : جزيرة الأندلس عند مالقه ، من مدن إشبيليه ، طولها إثنا عشر ميلا .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٤٨ .

(٤) انظر الفصل الثانى من الباب الأول .

(٥) طريف : تقع على البحر المتوسط ، وهى مدينة صغيرة يشقها نهر صغير ، وتبعد عن الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا .
الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٩٢ .

معارك النضال ، فاشترك أسطول المرابطين في معركة بلنسيه التي دارت بين المرابطين والمسيحيين [١] حيث عاون أسطول المرابطين القوات البرية في شرق الأندلس في فتح بلنسيه والجزائر الشرقية "جزر البليار" .

وإن كانت المصادر والمراجع العربية لم تشر الى نشاط البحرية في عهد الأمير يوسف إلاشذرات ، فمن المحتمل أنها كانت في عهده في طور البناء والتكوين ، إلا أنها في أخريات حياته اكتملت وظهر نشاطها وعين لها أميراً يقودها هو "أبو عبد الله محمد بن ميمون الذى عُرف بلقب "أمير البحر" [٢] .

ومهما يكن من شيء فإن – البذور البحرية الأولى التي غرسها الأمير يوسف لم تلبث أن أنبتت وأينعت واشتد عودها وأثمرت في عهد ولده وخلفه علي بن يوسف[٣] وبدأ الأسطول المرابطي بفضل قادته الكبار وعلى رأسهم "أبو عبد الله بن ميمون" أن يحرز انتصارات تجاوزت كل تقدير في الحسبان .

---

(١) انظرالفصل الثالث من الباب الأول من الرسالة .

(٢) د. حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣٩٣ .

(٣) على بن يوسف بن تاشفين : كنية أبو الحسن ، ولد بمدينة سبته في ٤ ربيع الأول سنة ٤٦٧هـ/١٠٨٣م ، ووصفه ابن أبي زرع "أبيض اللون مشرب بحمره تام القد ، أسبل الوجه ، أكحل العينين طويل القامة"

ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

تولى الحكم بعد وفاة أبيه يوسف في مستهل محرم سنة ٥٠٠هـ/٢سبتمبر ١١٠٦م ، وأفنى حياته في متابعة شئون الأندلس ، ولم يدخر وسعاً في محاربة النصارى في كثير من المواقع ، واتصف بأنه كان عادلاً وقوراً .

لمزيد من التفاصيل عن أعمال الأمير على بن يوسف راجع .

د. سلامه سلمان : دولة المرابطين في عهد على بن يوسف بن تاشفين ، دار الندوة الجديدة ، ١٩٨٥، ص ٦٥ .

وارتقى الأسطول المرابطى فى عهد الأمير على بن يوسف وأظهرت وحداته نشاطاً ملحوظاً فى البحر المتوسط ، يؤيد ذلك ما ذكره الإدريسى "أن أحمد بن عمر المعروف برقم الأوز "كان والياً لأمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين على جملة من أسطوله" [١] .

وكان لقوة الأسطول المرابطى أن استطاع الوقوف والصمود ضد الحملة الصليبية الكبرى على "جزر البليار" بقيادة أمير البحر المرابطى ابن نفرتاش "تافرطاش" [٢] .

وأصبح الأسطول المرابطى قوة هائلة يحسب لها الأعداء ألف حساب ، ودخلوا فى صراع بحرى قوى مع النصارى النورمانديين فى صقلية ، وأغاروا على سواحلها عدة مرات [٣] .

وقد اتسعت دائرة نشاط الأسطول المرابطى حتى امتدت غاراتهم إلى سواحل إيطاليا وفرنسا ، وبدأت تحتك بأساطيل بيزنطه فى شرق البحر المتوسط[٤] ، وبدأت المراجع الأفرنجية تؤرخ لغارات أسطول المرابطين وتتحدث عن بطولة قواده البحريين.

واهتم الأمير على بن يوسف بالدفاع عن الأندلس ، فعهد إلى ابنه تاشفين[٥]

---

(١) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٥٤ – ٥٥ .

(٢) انظر الفصل الثالث من الباب الاول من الرسالة .

(٣) د. حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣٩٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٥ .

(٥) تاشفين بن على : تولى حكم المرابطين سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م ، وقد توالت عليه الهزائم فى المغرب على يد عبد المؤمن بن على أمير الموحدين ، توفى سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م .
مجهول : الحلل الموشيه فى ذكر الأخبار المراكشيه ، الرباط ، ١٩٧٩م ، ص ١٣٣ ؛ ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطه ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٥ ، جـ١ ، ص ٤٥٤ .

بولايتها ، فقوى الحصون وسد الثغور ، واهتم بتدريب الجند وزاد فى أعطياتهم، وأكثر من شراء السلاح والعتاد فأحبه الجند وهابه العدو ، ويقول صاحب الحلل "فولاه أبوه على عهده الأندلس فقوى الحصون ، وسد الثغور ، وأذكى العيون على العدو ، وآثر الجند ولم تنل عنده الخطوه إلا بالغناء والنجدة فحمل على الخيل وقلد الأسلحة وأوسع الأرزاق واستكثر الرماة أركبهم وأقام هممهم وعنى مدة مقامة بها بالغزو ، ومباشرة الحرب فهزم الجيوش وأفتتح الحصون (١) .

وقد وصف ابن خلدون أسطول المرابطين وما بلغ من قوة قائلاً "وكان الجانب الغربى من هذا البحر لهذا العهد (المرابطى) موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتخيفه عدو ولا كانت لهم به كرّة" (٢) .

ولم يقف الأسطول المرابطى عند حد الدفاع عن سواحل بلاد الأندلس والمغرب الأقصى فقط ، بل كان درعاً واقياً لثغور إفريقية فى مواجهه أساطيل صقلية النورمانديه ، وقام بحملات بحرية واسعة النطاق على ثغور قطلونيه(٣). وجنوب بلاد الفرنجة وغرب إيطاليا وعلى جزر سردانيه وقرسقه وصقلية النورمانديه ، وأشغلت الأساطيل المسيحية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط فى حروب بحرية متواصلة مما خفف من حدة الإجتياح الصليبى لبلاد الشام التى كانت تتعرض آنذاك لهجوم صليبى واسع النطاق (٤) .

---

(١) الحلل ، ص ١٢١ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٥ .

(٣) قطلونيه : تقع فى شمال شرق شبه جزيره ايبريا وكانت مركزاً لأساطيل المسيحية.

(٤) د. سعيد عاشور : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٧٦ ، ص ٢١٩ .

وعلى هذا فقد أصبح الأسطول المرابطى الدرع الواقى للثغور الإسلامية من قلمرية فى شمال غرب الأندلس وعلى طول سواحل الأندلس والمغرب المطلة على المحيط الأطلسى والبحر المتوسط ، ولم تكن قوة رادعة فحسب بل كانت تشكل قوة ضاربة هجومية من خليج بسكاى فى جنوب غرب بلاد الفرنجة إلى عتبة صقليه ، مما كان يعرض أى أسطول صليبى يحاول اجتياز المحيط الأطلسى من غرب أوربا عبر مضيق جبل طارق إلى الحوض الغربى للبحر المتوسط للتدمير [(١)] .

وامتلك المرابطون أسطولاً ضخماً من القطائع والسفن المقاتلة ، ومما يؤكد هذا أن الأمير تاشفين بن على وهو يخوض معركة وهران ضد الموحدين كان يعلق أمله فى النجاة بأسطوله فى الفرار إلى الأندلس ، فاستدعى أمير البحر عبد الله بن ميمون لينقله إلى الأندلس ، ولكن القدر شاء أن يصرع هذا الأمير ثم تنتقل هذه الأساطيل بعد فترة قصيرة إلى خدمة الدولة الموحدية [(٢)] .

أما عن حجم الأسطول المرابطى وعدد سفنه ، فلم تشر إليه المصادر الإسلامية سوى ماذكره ابن خلدون " وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائه من بلاد العدوتين جميعا"[(٣)] .

وذهب د. احمد العبادى أن المقصود من كلام ابن خلدون هو عدد مجموعات السفن الحربية ، أو عدد وحدات الأسطول المرابطى الموزع على سواحل الأندلس والمغرب [(٤)] .

---

(١) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٤٢ ، ٢٢٤ .
(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٩٧ ؛ الناصرى : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ، دار الكتاب، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، جـ٢ ، ص ٦٤ .
(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٥ .
(٤) د. أحمد العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ٣٢٣ .

وإننى اتفق مع أستاذنا الدكتور العبادى فيما ذهب إليه إذ يذكر ابن القطان "إن عدد قطع الأسطول المرابطى بقيادة تافرطاش الذى وصل إلى ميورقة مائه وعشرون قطعة" [(١)] .

ثانياً : المواد اللازمة لصناعة السفن :-

يتضح مما ورد فى ثنايا المصادر والمراجع العربية توفر المواد اللازمة لصناعة السفن فى بلاد المغرب والأندلس ، حيث إنه من الصعب بناء القوة البحرية الإسلامية الضخمة فى عصر المرابطين التى سيطرت على الحوض الأوسط والغربى للبحر المتوسط إلا إذا توفرت المواد اللازمة لصناعة السفن .

وقد وهب الله سبحانه وتعالى أرض المغرب والأندلس غابات الأشجار والمعادن التى أمدت دور الصناعة بما تحتاج إليه من مواد أساسيه لازمة لصناعة السفن .

فيوجد فى بلاد المغرب والأندلس الخشب الصنوبرى القوى الذى تصنع منه ألواح السفن والصوارى والقرى [(٢)] والمجاديف ، وخشب الطخشن لصناعة القسى والسلاليم وبعض الرماح [(٣)] والتروس ، كذلك توفر معدن الحديد لعمل المسامير والمراسى والروابط والخطاطيف أو الكلاليب [(٤)]

(١) ابن القطان : نظم الجمان ، تحقيق د. محمود مكى ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، جامعة الملك الخامس ، ص ٢٠ .

(٢) نوع من السفن المستعمله لنقل الخيول .

(٣) الرماح : يوجد منها أنواع كثيرة منها الرماح القنا ، ومنها القنطاريات المدهونه المذهبة وهى الرماح القصيرة ، ومنها المزاريق والفريجيات والصوارى والصبريرات وهى الرماح الطويلة المخصصة للطعن .
مرضى بن على الطرطوشى : تبصرة أرباب الألباب فى كيفيه النجاة فى الحروب من الأسواء ، تحقيق كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية بالمعهد الفرنسى بدمشق ، جـ٢ ، بيروت ، ١٩٤٧ - ١٩٤٨، ص ١١٢ ؛ د. عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية المصرية، الأهرام، ١٩٧٣، ص ٥٠١.

(٤) الكلاليب: نوع من الخطاطيف الحديديه ، وكان يستخدمه البحريون للرمى على مركب العدو لجذبها، وشدها والعبور إليها عن طريق ألواح خشبية أو سلاليم من الحبال لمقاتلة ملاحيها .
ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨ .

والعرادات [١] والفؤوس [٢] واللتوت[٣] والدبابيس [٤] وغير ذلك من الآلات والأسلحة كما توفر معدن النحاس الذى تُصنع منه السلاسل ، أما الألياف فجُلبت لعمل حبال المراسى ، كما توفر القطران والزيت لقلفطة السفن حتى لاتؤثر المياه فى ألواحها المغمورة فى البحر ، فضلاً عن ذلك كان القطران والكبريت اللازمان لصناعة النفط البحرى وهو نوع لاينطفىء إذا سقط فى الماء[٥] ، وكان القطران والكتان لازمين لصناعة النار الخارقة التى كانت تعتبر سلاحاً من أسلحة البحرية الإسلامية [٦] .

---

(١) العرادات : آلة تشبه المجانيق ولكنها دون المنجنيق فى الحجم ، وتستخدم كذلك لرمى الحجارة والسهام وقدور النفط .
ابن القلانسى: المصدر السابق،ص ١٨٠ ؛ د.عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية المصرية، ص٥٠٢.

(٢) الفؤوس : سلاح له رأس نصف مستدير مبطط حاد النصل ومقبضه خشبى مستدير ، وأحيانا يتخذ من الحديد وتسمى الفأس أحيانا بلطة أو طبر .
مرضى بن على:المصدر السابق،ص ١١٧؛د.عبد العزيز سالم:تاريخ البحرية المصرية،ص ٥٠١-٥٠٢.

(٣) اللتوت : عمد من الحديد لها رؤوس مستطيلة الشكل مضرسة وقد تكون مقابض هذه اللتوت من الخشب المحكم التدوير ولكن خرزتها تكون فى هذه الحالة من الحديد وتلبس فى المقبض ، وقد تضرس تدويرة الخرزة أو تسنن .
مرضى بن على : المصدر السابق، ص ١١٧؛ د. عبد العزيز سالم:تاريخ البحرية المصرية، ص٥٠١.

(٤) الدبابيس : لاتختلف عن اللتوت إلا فى رؤوسها فهى مدورة مضرسة ، وتستخدم اللتوت والدبابيس كسلاح لتهشيم الخوذات المعدنية.
مرضى بن على : المصدر السابق ، ص ١١٧ ؛ د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٥٠٢.

(٥) د. عبد العزيز سالم ، د. أحمد العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب ، ص ٥٧ .

(٦) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٦٦.

الأخشـــــــــاب :-

اعتمدت القوى البحرية فى البحر المتوسط على الغابات لاستخدام الأخشاب اللازمة لصناعة قاع السفينة وألواحها وشراعها وأعمدتها ومجاديفها .

فقد توفر خشب الصنوبر اللازم لصناعة الصوارى والقرى المشهور بجودته، وعدم تعرضه للتلف الناشيء من التسوس ، وهو نوع من الأخشاب لانظير له فى الطول والغلظ .

فمن غابات الصنوبر بمدينة قلصة من أعمال مرسيه ، كان يُقطع الخشب ويلقى فى الماء ويُحمل إلى دانيه والى بلنسيه فى البحر بتسييره فى النهر من قلصة إلى جزيرة شقر [1] ومنها إلى حصن قلييره حيث يُفرّغ هناك فتُوسق منها السفن إلى دانيه وبلنسيه [2] .

واشتهرت شلب بخشبها الذى تُصنع منه السفن ، والعود بجبال شلب كان يُحمل منها إلى سائر مملكة إشبيليه لصناغة السفن ، كذلك توفر الخشب بمدينة بجاية [3] .

وتميزت مدينة طرطوشه بخشب الصنوبر الذى لايوجد له نظير فى الطول والغلظ ، ومنه تُتخذ الصوارى وهو خشب أحمر صافى البشرة بعيد التغير لايفعل

---

(١) جزيرة شقر ، جزيرة بالأندلس ، قريبه من شاطبه وبينها وبين بلنسيه ثمانية عشر ميلاً ، وهى البقعة كثيرة الأشجار والثمار .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٤٩ – ٣٥٠ .

(٢) الأشيبلى : التيسير فى صناعة التسفير ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٨٢٧ ، ١٩٥٩-١٩٦٠، الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(٣) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٨١ .

فيه السوس ما يفعله فى غيره من الخشب [١] .

أما عن مصادر جلب الخشب فكان يُجلب إلى بلاد المغرب والأندلس من جبل درن[٢]، فهو كثير الاشجار، ويذكر البكرى "إنه كثير الصنوبر والأرز والبلوط[٣]".

ويوجد خشب الأرز والعرعر فى مدينة نكور [٤] ، فيذكر البكرى "ومدينة نكور بين رواب منها جبل يقابل المدينة يعرف بالمُصلى بها جامع على أعمدة من خشب من العرعر وهو والأرز أكثر خشبها" [٥] .

ويوجد خشب له ميزة خاصة فى جبال بيزغة [٦]يُعمر ألف عام دون أن تتغير[٧].

ويُجلب الخشب من مدينة جلفور [٨] التى يوجد بها أجود أنواع العود ، يذكر ياقوت "وفيها عنصر العود الذى تنشأ منه المراكب"[٩] .

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٩٢ ؛ الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٥٥٢ .

(٢) جبل درن : جبل مشهور بالمغرب ، وفى أعلاه مجموعة قلاع وحصون .
الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

(٣) البكرى : المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٤) مدينة نكور : مدينة بالمغرب قريبه من مدينة مليلة ، وهى كثيرة البساتين بها خشب العرعر وهو والأرز أكثر أخشابها .
الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٥٧٦ – ٥٧٧ .

(٥) البكرى : المصدر نفسه ، ص ١٤٧ ، ١٦٠ .

(٦) جبال بنى بيزغه : تقع بالقرب من مدينة فاس .
الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٤٣٤ .

(٧) د. عبد العزيز سالم ، د. العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، ص ٥٨ .

(٨) مدينة جلفور : مدينة حصينه فى جزيرة صقلية فوق جبل عال على شاطىء البحر .
ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٧ .

(٩) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٤٧ .

كذلك وُجد الخشب فى مدينة ألياج[١] ، وفـى قـادس [٢] وبياسـه [٣] وفـى شطليش [٤] وشنتمريه ، وفى جبال مدينة شقوره يوجد شجر الطخشن الذى يُتخذ منه القسى [٥] .

المعـــــادن :-

يحتاج بناء السفن إلى المعـادن لعمـل المسـامير والمراسـى والروابـط المختلفـة وتحاك بالحبال .

وقد توفر معدن الحديد والنحاس فى مدن الأندلس وخاصة فى المريه التـى اشتهرت به [٦] ، وكان الحديد يكثر فى طليطله وغرناطة [٧] .

ويشير إلى ذلك الحميرى قائلاً " إن دار صناعة المرية اعتمدت فـى مراسـى السفن على دار صناعة شلطيش التى تخصصتَ فى هذه الصناعة" [٨] .

---

(١) الياج (لياج) : مدينة فى جزيرة صقلية بالقرب من مدينة قطلونية .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٢) انظر ص من الرسالة .

(٣) بياسه : بينها وبين جيان عشرون ميلا ، وهى تطل على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٢٠-١٢١ .

(٤) شلطيش : هى جزيرة بالأندلس لاسور لها ، بها دار صناعة الحديـد الـذى يعجـز عـن صنعتـه أهل البلاد ، وهى صنعة المراسى التى ترسى بها السفن ، وبالجزيرة مرفأ للسفن .
الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٤٣ – ٣٤٤ .

(٥) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ .

(٦) المقرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٥٣ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٧) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص ١٠٤ .

(٨) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

ويوجد معدن النحاس بمنطقة السوس [(١)] وبالقرب من مدينة سجلماسه [(٢)] وبمدينة داى . ويشير الإدريسى إلى قيمة هذا النحاس قائلاً "ومدينة داى فى أسفل جبل خارج من جبل درن وهى مدينة بها معدن النحاس الخالص الذى لايعدله دون غيره من النحاس ، وهو نحاس لونه أبيض ويدخل فى لحام الفضة، وهو إذا طُرق طرقاً جاداً لم يتشرخ [(٣)] .

ويُستخرج الحديد من مدينة بونه [(٤)] ، كما توفر الحديد والنحاس فى بلاد كتامه،ويشير البكرى أن ببلاد كتامه حجر اللازورد الجيد ومعادن النحاس والحديد[(٥)].

وكان الزيت والقطران يستخرجان من كورة جيان [(٦)] ويحمل منها إلى إشبيليه ثم إلى الجزيرة الخضراء لصناعة السفن فى دار صناعتها [(٧)] .

وكان الزفت البالغ الجودة يُجلب هو والقطران من إقليم بجاية [(٨)] .

أما حبال السفن فكانت تصنع من نبات البريبر وهو يشبه نبات البردى الموجود فى مصر [(٩)] ، ويشير ابن حوقل "أن هذا النبات فى مدينة بلرم ، وفى

---

(١) السوس:تقع فى أقصى بلاد المغرب،وبالمدينة نهر عظيم يصب فى البحر يسمى نهر وادى ماست.
الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .

(٢) سجلماسه : من أعظم مدن المغرب ، وهى كثيرة النخل والأعناب .
الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ .

(٣) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

(٤) بونه هى مدينة بإفريقيه بين مرسى الخرز وجزيرة بنى فرغناوى وهى مدينة حصينة بها بساتين.
مجهول الإستبصار ، ص ١٢٧ ؛ ياقوى الحموى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٥١٢ .

(٥) البكرى : المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٦) جيان : مدينة بالأندلس ، بينها وبين بياسه عشرون ميلاً ، وهى تقع فى سفح جبل عالٍ جداً، ولها قصبة حصينه .
الحميرى : المصدر نفسه ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(٧) الإدريسى : المصدر نفسه ، ص ٥٣٧ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

(٩) د. عبد العزيز سالم ، د. العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، ص ٥٩ .

خلال أرضها بقاع قد غلب عليها البريبر وهو البردى المعمول منــه الطوامـير . ولا أعلم لما بمصر من هذا البريبر نظيراً على وجه الأرض إلا ما بصقليه وأكـثره يفتـل حبالاً لمراسى المراكب [1] .

ثالثاً : القواعد والمراسي البحرية ودور الصناعة :-

حرص المرابطون على حماية بلاد الإسـلام التـى تدخـل تحـت حكمـهم ، فعملوا على إنشاء القواعد والمراسـى والأربطـة التـى انتشـرت علـى طـول سـواحل المغرب والأندلس فى طنجة ، سبته ، بجاية ، إشبيليه المريه والجزيرة الخضـراء وغيرها من المدن التى تقع على سواحل المغرب والأندلس .

وقد اهتم المرابطون ببناء السـفن ودور صناعتـها لحاجتـهم إلى قـوة بحريـة تحمى شواطئهم ، ومن الطبيعى أن هذه القواعد كانت تضم الكثير مـن البحريـين للإشراف على إصلاح السفن وصيانتها وتزويدها بما تحتاج إليه من المؤن والعتاد.

ومن أشهر القواعد والمراسي البحرية ما يلى :-

أ- المريه :

اسمها مشتق من وظيفتها ، إذ كانت تتُخـذ مـرأى ومرصـداً بحريـاً لمدينـة بجاية القريبه منها .

وقـد أصبحـت المريـــة مــن أهــم موانـــئ الأندلــس فـــى القــرن الرابــع الهجرى/العاشر الميلادى ، وأشــهر مراسيها وأعمرهـا ، وكـان خليجـها العميـق الفسيح يضم معظم وحدات الأسطول الأندلسى [2] .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٨٠ .

(٢) ابن سعيد ، المغـرب فـى حلـى المغـرب ، تحقيـق د. شـوقى ضيـف ، دار المعـارف ، مصـر ، ١٩٦٤ ، الطبعة الثانية ، ص ١٩٠ .

ويذكر ياقوت الحموى "كان ميناؤها يزخر بالأجفان الغزوية الخاصة بالحروب والغارات والمراكب التجارية المختلفة"[(١)] .

وكانت بجانب كونها قاعدة للأسطول الأندلسى مركزاً للسفن القادمة من المشرق، وكانت تقصدها السفن التجارية من جميع بلاد البحر المتوسط من الإسكندرية والشام" [(٢)] .

وقد أمر ببنائها الأمير عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م ، وأحاطها بسور منيع ، وأقام على أحد جبليها قصبتها التى عُرفت بقلعة خيران [(٣)] ، وقد شيد لها الأمير عبد الرحمن الناصر عدة حصون وقلاع تزيد من قدرة الدفاع منها حصن برجة ، حصن شنتش وحصن القبطة [(٤)] .

ونظراً لموقعها الحصين أصبحت منذ عهد الأمير عبد الرحمن الناصر كبرى ثغور الأندلس البحرية [(٥)] .

ويذكر ابن خلدون ماجرت به العادة فى أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر عند خروج الأسطول للغزو من المريه "فإذا اجتمعت الأساطيل لغزو محتمل أو غرض سلطانى عسكرت بمرفئها المعلوم وشحنها السلطان برجاله وأجناد عساكره

---

(١) ياقوت الحموى : المصدر السابق ، ق١ ، ص ٨٠ .

(٢) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(٣) نسبة إلى الفتى خيران العامرى (٤٠٧-٤١٩هـ/١٠١٦-١٠٢٨م) الذى ولاه عليها المنصور بن أبى عامر فيما بعد .

ابن خلدون : العبر ، جـ٢ ، ص ٢٩٨ .

(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٣٧ .

(٥) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٥٣٨ .

ومواليه وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم إليه ثم يسرحهم لوجههم وينتظر إيابهم بالفتح والغنيمة" [١] .

وقد ارتفعت المرية فى عهد الحكم المستنصر إلى مصاف الحواضر الأندلسية الكبرى ، وكان يرسو فى خليجها العميق أكبر وحدات الأسطول الأندلسى [٢] .

وظلت المريه تحتل المركز الأول بين قواعد الأسطول الأندلسى فى عصر الطوائف لكثرة عدد سفنها ونشاط دار صناعتها فى الإنتاج وخاصة فى عصر المعتصم بن صمادح (٤٤٤-٤٠٨هـ/١٠٥٢-١٠٨٧م) الذى حرص على إنشاء أسطول كبير ، وكان كل غايته العناية بأسطوله الذى كان يتألف من عدد كبير من الفلك والأجفان [٣] .

واحتفظت المرية فى عهد ابن أبى عامر بالمركز السامى فى السيادة البحرية، واستخدم المنصور بعض وحدات هذا الأسطول فى حملاته على ساحل قطلونيه وجليقيه سنة ٣٧٤هـ/٩٨٥م ، وسنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م [٤] .

وفى ٢٢ ربيع الأول ٤٨٤هـ/١٥مايو ١٠٩١م سقطت المريه فى يد المرابطين، ولأهميتها وضع المرابطون قسماً كبيراً من شواطئها لأسطولهم ، وكان هذا الأسطول لحماية السفن التجارية الإسلامية التى ترد ميناء المريه ، وهى مراكب جنوه وبيزا والبندقية وقطلونيه إذ كانت سفنهم تقصد المريه حاملة متاجرهم لتُوزع منها إلى سائر أنحاء الأندلس،ثم تُشحن بالبضائع والمتاجر

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٢ ، ص ٦٢٩ .

(٢) ابن سعيد المغربى : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٣) عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ١٦٨ .

(٤) د. عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٦٣ – ٦٤.

الأندلسيه إلى سائر بلاد حوض البحر المتوسط[١].

وقد لعب أسطول المريه دورا هاما فى الأحداث التى مرت فى أواخر عصر المرابطين ، إذ طلب تاشفين بن علـى بـن يوسـف عندمـا حـاصره الموحـدون فـى وهران من أبى عبد الله بن ميمون قائد أسطول المريـة أن يجـهز لـه عشـر أجفـان غزوية تحت تصرفه بوهران على أمل أن يركب منها من البحر إلى الأندلس إذا ما غلبه الموحدون[٢].

وكانت المرية من المراسى الهامة ، فكان يبحـر منـها مـن أراد السـفر فـى البحر إلى مصر والشام وغيرها من بلاد المشرق الإسلامى وكان يصلها بالإسـكندرية خط ملاحى منتظم[٣].

وكان بالمرية دار للصناعة من إنشاء الأمير عبد الرحمن الناصر وكانت تقوم بإنشاء السفن والعدة والآلات اللازمة للسفن وما يقوم به الأسطول [٤] ، وهذه الدار تنقسم إلى قسمين متمـيزين ، القسـم الأول تصنـع فيـه المراكـب الحربيـة والآلات والعدد ، والثانى يضم القيسارية [٥] .

وكان يحصن دار الصناعـة بـرج يقـوم علـى بابـها مهمتـه تدعيـم أسـوارها والدفاع عنها فى حالة اقتحام الأعداء لثغر المريه [٦] .

وكانت دار الصناعــة بالمريــه تقع وفقا لما ذكره أسقف بنيو أجوستين

(١) د. عصمت دندش : الأندلس فى نهاية المرابطين ومسـتهل الموحديـن ، دار الغـرب الإسـلامى، ١٩٨٨ ، ص ١٩٧ .

(٢) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢، ص ٦٤..

(٣) د. عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المريه الإسلامية قـاعدة أسـطول الأندلـس، بـيروت، ١٩٦٩، ص٤١.

(٤) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٨٦ ؛ د. عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٥٥ .

جستينانى (١٤٧٠-١٥٣٦م) إنه "بالقرب من البحر وكانت تتسع لعدد كبير من السفن" . وكانت آثارها ما تزال قائمة فى أيامه ، ومازال الشارع الذى كانت تقوم فيه دار الصناعة معروفاً باسم شارع دار الصناعة (١) .

وظلت دار الصناعة بالمرية فى اتم حالات نشاطها حتى منتصف القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى على الأقل وهو الوقت الذى كتب فيه ابن فضل العمرى فذكر أن بالمريه دار لصناعة الأسطول الذى يخرج منها لغزو الأفرنج وأنها استمرت فى إنتاج السفن والأجفان الحربيه فى عهد دولة بنى نصر حتى سقوطها فى أيدى القشتاليين سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م (٢) .

ب) طرطوشه :-

كبرى موانىء الثغر الأعلى الإسلامى على نهر الأبيرو الذى يصب فى البحر المتوسط .

وكانت طرطوشه فى العهد المرابطى قاعدة كبرى لمجاهدى البحر وسنداً قوياً لجزر البليار فى مواجهة أساطيل إمارة قطلونيه (٣) المحاذيه لثغر طرطوشه ، وفى مجابهة أساطيل بيزه وجنوه وصقليه النورمانديه التى لم تتوقف عن الاعتداء على جزر البليار وثغور شرق الأندلس (٤) .

وكانت طرطوشه مأوى للمجاهدين من غزاه البحر الذين كانوا يقومون

---

(١) د. عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) د. عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٦٤ .

(٣) قطلونيه : تقع فى شمال شرق شبه جزيرة إيبريا ، وكانت مركزاً لأساطيل المسيحيين .
الزهرى : المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٩١ ، أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

بغزواتهم فى شواطىء الأمم النصرانيه فى الحوض الغربى للبحر المتوسط [١] .

وكان لانهيار الحكم المرابطى فى بلاد الأندلس أن تمكنت الحملة الصليبيه فى ١٦شعبان ٥٤٣هـ/٣١ديسمبر ١١٤٨م من الاستيلاء على الثغر الإسلامى [٢] .

وكان بطرطوشه دار صناعة كبرى ، ويذكر د. عبد العزيز سالم أنه مازالت اللوحة التذكارية التى سجل فيها عبد الرحمن الناصر تاريخ إنشاء دار صناعة طرطوشه سنة ٣٣٣هـ/٩٣٨م موضوعة على الجدار الشمالى من كاتدرائية طرطوشه[٣] .

ج) الجزيرة الخضراء :-

مدينة ساحلية صغيرة فى جنوب الأندلس ، وقصبة المدينة خصينه ومنيعة وشيد سورها من الحجارة [٤] .

وقد أدرك الأمير يوسف أهميتها عندما استنجد الأندلسيون بالمرابطين ضد أطماع الفونسو السادس ، وأشترط عليهم تسليمه ثغر الجزيرة الخضراء كى يستطيع التحكم فى مضيق جبل طارق ويضمن سلامة قواته وخطوط مواصلاته بين العدوتين ذهاباً وإياباً [٥] .

وكان بالجزيرة الخضراء دار صناعة للأساطيل من إنشاء الأمير عبد الرحمن

---

(١) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(٢) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ١٩٦٣ ، ص ١٨١ ، يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

(٣) د. عبد العزيز سالم ، د. العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب ، ص ١٧٥ ، هامش٣.

(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

(٥) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ .

بن محمد الذى أتقن بناءها وعلىّ أسوارها [١] .

ويعتبر مرسى الجزيرة من أيسر المراسى للجواز وأقربها من بر العدوة ويحاذيه مرسى مدينة سبته [٢] .

د) دانيـــــــــه :-

تقع فى شرق الأندلس على البحر وعليها سور حصين ، وسورها من ناحية الشرق فى داخل البحر ، شيد بهندسة وحكمه ولها قصبه حصينه منيعة ومنها كان يخرج الأسطول للغزو [٣] .

ودانيه من كبرى قواعد الأسطول المرابطى فى الأندلس ، وذكر د. محمود مكى: أن دانيه كانت تعتبر مقر قيادة الأسطول المرابطى فى الأندلس [٤] .

وكان بدانيه دار لصناعة السفن وبها مرسى السمان المنيع الذى اتُّخذ كقاعدة للأسطول البحرى [٥] .

هـ) سبتــه :-

مدينة على شاطىء البحر المتوسط فى شمال المغرب الأقصى ، وهى عبارة عن شبه جزيرة فى مضيق جبل طارق ، وتحيط بها الجبال من ناحية الجنوب وهذا الوضع الجغرافى جعل اتصالها بالأندلس قوياً جداً [٦] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٤) د. محمود مكى: وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ، المجلد ٧-٨ ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، ص ١٦٣ .

(٥) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٥٥٧ .

(٦) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ ؛ الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ؛ البكرى : المصدر السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

وبسبته أسطولاً من إنشاء الأمير يوسف ، وقد إزدهر هذا الأسطول فى عهد الأمير على بن يوسف فأصبح هو المسيطر فى مياه البحر المتوسط [١] .

وبسبته مرسى مورد بر العدوه وبر الأندلس ومفتاح باب المشرقين ومجمع البحرين [٢] .

و) إشبيليه :-

تقع على الضفه اليمنى لنهر الوادى الكبير قرب مصبه فى خليج عميق . وهى قاعدة من قواعد الأسطول البحرى للمرابطين ، وكانت مقراً للأسطول المرابط على سواحل المحيط لمواجهة الخطر النورماندى .

وقد قام الأمير عبد الرحمن الأوسط بعدة أعمال هامة فى إشبيليه للدفاع عنها ضد أى هجوم مفاجىء يقع على الأندلس من ناحية البحر ، فأحاط المدينة بأسوار حجرية عاليه واستعان برجال البحر المدربين من سواحل الأندلس [٣] .

وقد شارك الأسطول البحرى لإشبيليه فى المعركة التى دارت بين المسلمين والنورمانديين فى مياه قصر ابى دانس فى رجب ٣٥٥هـ/٩٦٥م [٤] ، كما ساهم فى مهاجمة سبته الخاضعة لسقوط البرغواطى وولده المعز فى صفر سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م [٥] ، وساهم فى نقل جيوش المرابطين من سبته إلى الجزيرة الخضراء [٦] .

---

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ق٢، ص ٦٦٣ - ٦٦٤ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٨ .
(٣) ابن القوطيه : المصدر السابق ، ص ٦٧ .
(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٨ .
(٥) مجهول : مفاخر البربر ، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ، ص ٥٥ - ٥٧ .
(٦) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٢ .

وقد أنشا الأمير عبد الرحمن الأوسط بإشبيليه دارا لصناعة السفن الحربية وزودها بالآلات والنفط ورجال البحر المدربين مَن سواحل الأندلس .

وكانت دار صناعتها تقوم ببناء القطائع الحربيه وما يختص بآلات الملاحة، وهى تقع على نهر الوادى الكبير قرب برج الذهب خارج الأسوار ، وفى هذا الموضع باب كان يعرف بباب القطائع نسبة إلى قطائع الأسطول الاشبيلى[1].

وابتكر المرابطون نظاما جديدا فى تخطيط أسوار إشبيليه إذ عمدوا إلى الاكثار من الزوايا الداخليه والخارجية بالسور بحيث يتخذ شكل خطوط متعرجه منكسرة .

ويتميز هذا النظام بأن يترك الجند أعداءهم يتقدمون داخل إحدى الزوايا، ثم يندفعون عليهم من أعلى الأسوار على الدروب فيفتكون بهم فتكا ذريعا [2] .

ز) ميورقة :-

هى واسطة العقد وكبرى جزر البلياق، وهى غير منتظمة فى شكلها لكثرة الخلجان والفجوات فى سواحلها.

هى جزيرة تقع على البحر المتوسط، فتحها المسلمون سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م[3].

وعندما استغاث مبشر بن سليمان [4] بالأمير على بن يوسف أسرعت أساطيل المرابطين لنجدته وأحدقت بالجزيرة وأوقعت بالفرنجة هزيمة ساحقه ، وبسط المرابطون سيادتهم عليها ، وأصبحت من أهم قواعد المرابطين

---

(١) د. عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الأندلس ، ص ١٢٠ .

(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٧٩ ؛ د. عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٣) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٥٦٧ .

(٤) مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، اعتلى عرش جزر البليار سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م ، واهتم ببناء الأساطيل وتشييد القلاع والحصون ، توفى فى رجب سنة ٥٠٩هـ/ديسمبر ١١١٥م .

المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

فى البحر المتوسط [1] .

ح) بجايـــــة :-

مدينة حصينة بساحل المغرب الأوسط ، وكانت فى عهد بنى حماد أشـهر ثغور بلاد المغرب وأكثرها حصانة نظرا لموقعها الفريد علـى سفح جبـل ، ويمتـاز سورها بالضخامة والمتانة .

وكان بيجايه مرسى ودار صناعة لإنشاء الأساطيل [2] .

رابعا : قواد الأسطول فى العصر المرابطى :-

أ) أسرة بنى ميمون :-

تولت هذه الأسرة قيادة الأساطيل المرابطيه ، ثم انتقلوا إلى قيادة الأساطيل الموحدية عقب سقوط دولة المرابطين .

وقادت هذه الأسرة أساطيل المرابطـين إلى النصـر فـى معظـم المعـارك التـى خاضتها مع القطلانيين والنورمانديين فى صقلية ومع النصارى فى الأندلس .

وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية الدور الذى لعبته تلك الأسرة أثناء قيادتهم للأسطول المرابطى فى الدفاع عن السواحل المغربية قائلا " وكان الجـانب الغربـى من هذا البحر موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة ، فكان الأسطول به لعهد لمتونه (أى المرابطين) بنى ميمون رؤساء جزيرة قادس" [3].

ونسب الشقندى هذه الأسرة أنهم من المريه ، بينما نسبها المراكشى انهـم

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٣، جـــ٥، ص ٢٥٧.

(٢) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٩١-٩٢ ؛ مجـهول : الإستبصار ، ص ١٢٨ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٨١ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٥ .

من دانيه [١] ، أما ابن خلدون فيرى أنهم من قادس [٢] ، ونسبهم ابن الكردبوس أنهم من ميورقه [٣] .

ومهما يكن نسب هذه الأسرة ، فقد برع قوادها فى قيادة الأسطول المرابطى وأشهرهم :-

١- أبو عبد الله محمد بن ميمون :-

من أعظم من أنجبته هذه الأسرة الماجدة ، كان يشغل "قائد غراب" فى مطلع شبابه ، عندما حاصر الصليبيون مدينه ميورقه نجح فى اختراق الحصار المحكم الذى فرضته الأساطيل الصليبية على ثغر ميورقة ، وانطلق فى غرابه من دار الصناعة ليلا لينقل رسالة استغاثة من أمير البليار "مبشر بن سليمان" إلى أمير المسلمين "على بن يوسف" الذى ألحقة بالأسطول المرابطى إعجابا بشجاعته وتقديرا لبسالته [٤] .

وذكر الشقندى الأديب الأندلسى معتزا بمحمد بن ميمون عند حديثه عن ثغر المريه قائلا "وفيها كان ابن ميمون القائد الشهير الذى قهر النصارى فى البحر، وقطع سفرهم فيه وضرب على البلاد الرومانية فملأ صدور أهلها رعبا[٥]".

وفى سنة ٥١٠هـ/١١١٦م أصبح محمد بن ميمون أحد كبار قادة الأسطول

---

(١) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٥ .

(٣) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، تحقيق د. أحمد العبادى ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦ ، ص ١٢٣ .

(٤) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

(٥) المقرى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢٢٠ .

المرابطى ، ويشير ابن عذارى إلى ذلك قائلا "إنه فى عام ٥١٠هـ أمر أمير المسلمين (على بن يوسف) بتعيين محمد بن ميمون قائدا للأسطول البحرى وكان له غزوات مشهورة" [١] .

وكان لمحمد بن ميمون غزوات بحرية ميمونة ، ففى سنة ٥١١هـ/١١١٧م أمره أمير المسلمين على بن يوسف بتجهيز حملة بحرية لغزو بلاد الروم فجهز خمسة عشر مركبا من ذوى الدراية والنجدة ، فاستفتح مدينة قطرون [٢] وعاد إلى المرية سالما غانما[٣] .

كما أغار أمير البحر أبى عبد الله محمد بن ميمون على ثغور قلوريه (كلابريه) فى جنوب إيطاليا وعلى جزيرة صقليه النورمانديه تلبية لاستغاثه أمير إفريقيه الحسن بن على بن يحيى الزيرى بأمير المسلمين على بن يوسف لردع روجر الثانى[٤] ملك صقليه النورماندى عن القيام بأى عدوان على ثغور إفريقيه[٥] .

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٦٢ .

(٢) قطرون : تقع على البحر المتوسط وبينها وبين المريه سبعه وعشرون فرسخا وبها دار صناعة .
الزهرى : المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٦٦ .

(٤) روجرر الثانى : أعظم ملوك أسرة هوتفيل النورمانديه فى صقلية وجنوب إيطاليا (٤٩٥-٥٤٨هـ/ ١١٠١-١١٥٤م) .
وطد دعائم الحكم النورماندى فى جزيرة صقلية التى أصبحت فى عهده قاعدة كبرى للعدوان الصليبى على الثغور الإسلامية فى الحوضين الغربى والشرقى للبحر المتوسط .
كما كانت صقلية فى عهده حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ومعبرا للحملات الصليبيه المتجهة إلى بلاد الشام .
يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٣٢-١٣٥ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

وفى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م إستطاع محمد بن ميمون فى إحدى حملاته البحريه على ساحل قلوريه (كلابريه) فى جنوب إيطاليا افتتاح ثغر نقوطره [١] .

ويشير ابن عذارى إلى ذلك قائلا "غزا أبو عبد الله بن ميمون قائد على يوسف ملك البحرين جزيرة صقلية فافتتح بها مدينة نقوطره من عمل رجار صاحب صقليه وسبى نساءها وأطفالها وقتل شيوخها وسلب جميع ماوجده فيه[٢].

وذكر التجانى "أن القائد البحرى المرابطى الذى أغار على ثغور صقلية وقلوريه هو على بن ميمون" [٣] .

وهذا يدل على مدى التعاون الوثيق بين أسطول المريه بقيادة محمد بن ميمون[٤] وأسطول إشبيليه بقيادة عيسى بن ميمون [٥] وأسطول قادس بقيادة على بن ميمون [٦] .

وكان ابن ميمون قائد أسطول المرية على أهبة الاستعداد لتلبية أوامر أمير المسلمين تاشفين بن على ، فقد طلب منه عندما حاصره الموحدون سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م أن يجهز له عشرة أجفان غزويه تحت تصرفه بوهران على أمل أن يركب

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٦١١ .
تقوطره : تقع فى إقليم كلابريا فى جنوب إيطاليا .
الزهرى : المصدر السابق ، ص ٦٦ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .
(٣) التجانى : رحلة التجانى ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨١ ، ص ٣٣٤ .
(٤) المقرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢ .
(٥) الزهرى : المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٤٨٥ .

البحر إلى الأندلس إذا ما غلبه الموحدون ،ولكن الحصار اشتد عليه. فخرج راكبا فرسة فاقتحم البحر وهلك [١] .

ومما يدل على مكانة أمير البحر أبى عبد الله بن ميمون ، أنه عندما اضطربت الأمور السياسية فى أواخر عصر المرابطين رأى أهل المرية تعيينه واليا عليهم ، غير أنه اعتذر إليهم قائلا "إنما أنا رجل منكم ووظيفتى البحر وبه عرفت فكل عدو جاءكم من جهة البحر فأنا لكم به فقدموا على أنفسكم من شئتم غيرى" [٢] .

٢- عيسى بن ميمون :-

هو زوج أخت أبى عبد الله محمد بن ميمون ، قائد أسطول إشبيليه ، اتخذ من قاعده شنتمريه على المحيط الأطلسى قاعدة بحرية لأسطوله لقطع الطريق على الأساطيل الصليبيه المتجهة إلى بلاد المشرق والإغارة على ثغور ساحل إيطاليا الغربى[٣] .

٣- على بن ميمون :-

هو شقيق أبى عبد الله محمد بن ميمون قائد أسطول قادس [٤] وقام على بن ميمون بغزو جنوب إيطاليا وشواطىء بروفانس وحرق ما صادفة من قرى وقصور وكنائس .

---

(١) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٤ .

(٢) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٤٨٨ ، المقرى : نفح الطيب، جـ١ ، ص١٦٧.

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٦ .

وسجلت مدونة الفونسو السابع نشاط على بن ميمـون وذكـرت أن الجاليـة المسيحية ببلاد المرابطين قد أسرها على بـن ميمـون أثنـاء إغارتـه بحـوض البحـر المتوسط ونقلها إلى مراكش لتدخل فى خدمة الأمير المرابطى [١] .

ودخل على بن ميمون فى طاعة الموحدين سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م عندما خلع دعوة المرابطين ، وذهب إلى الخليفة عبد المؤمن بن على وخطب للموحدين بجامع قادس ، وكانت أول خطبة للموحدين بجزيرة قادس [٢] .

ويتضح أن هؤلاء القواد كانوا قوى مستقلة تقـوم بالجـهاد ضد الصليبـين، والدليل على ذلك أن على بن ميمون كان أول من خطب للموحدين بقـادس وهـذا يدل على أنه أكبر قوة تدعم النفوذ السياسى داخل البلاد .

ويؤكد على قوة هذه الأسرة ما ذكره بن خلدون " وكان الجانب الغربى من هذا البحر موفور بالأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كان لهم به قره فكـان قواد الأسطول بـه لعـهد لمتونـه بنـى ميمـون رؤسـاء جزيـرة قـادس وانتـهى عـدد أساطيلهم إلى المائه من بلاد العدوتين جميعا"[٣].

واشتهر من غير أبناء هذه الأسرة قواد آخرون من أشهرهم :-

١) أبو السداد :-

هو قائد أسطول دانيه الذى واجـه القوات الصليبية الكبرى المتحالفـة سـنة ٥١٠هـ/١١١٦م ضد جزر البليار ، وبـذل جـهودا مضنيـة فـى مطـاردة الأسـاطيل الصليبية عند قدومها إلى ميورقة ، وساند حامية المدينة المحاصرة .

---

(١) د. عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص ٢١٣ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٨ .
(٣) المقدمة ، ص ٢٥٥.

وقد قام بإغراق إحدى سفن الأسطول الصليبي ، وأسر ثلاثة منها وضمها لأسطوله عندما أخطأت أربع سفن من أسطولهم الطريق عندما علموا بقدوم الأسطول المرابطي بقيادة "ابن تافرطاش" فتوجهت شرقا إلى دانيه في ساحل الأندلس الشرقي بدلا من أن تتجه إلى بيزه (١) .

٢) يحيى بن علي المسوفي :-

كان عاملا على بلنسيه ، ثم عاملا على مرسيه سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م (٢) وتصدى للقوات التي أرسلها الفونسو السابع ريمونديس " (٥٣٠-٥٥٢هـ/٣٥-١١٥٧م)(٣) لاقتحام أسوار جيان الحصينة وأجبرها على الفرار .

كما تمكن على رأس قواته من المرابطين من دحر أمير قطلونيه واستأصل قواته التي حاولت التعرض للثغور الإسلامية في شمال شرق الأندلس (٤) .

وقاد يحيى بن علي القوات المرابطية في موقعة إفراغة سنة ٥٢٨هـ/

---

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، القسم الموحدى ، ص ٢١٥ .

(٣) الفونسو السابع (ريمونديس) حفيد الفونسو السادس ملك ليون وقشتاله من إبنته أوراكا من زوجها الكونت ريمون الفرنجي الذى تزوج أوراكا عند قدومة على رأس حملة صليبيه لمناصرة الفونسو السادس في الاستيلاء على طليطلة .

وبعد وفاته تزوجت أوراكا من الفونسو المقاتل ملك أرغونه وأوصى الفونسو السادس لحفيده "الفونسو ريمونديس" مملكة قشتاله وليون وجليفيه واستوريش إذ لم تعقب أوراكا من زوجها المقاتل ، ولم تعقب أوراكا من زوجها واشتبكت معه في حروب داميه وانفصلت عنه ، وبعد وفاتها أصبح الفونسو السابع "ريمونديس" ملكا على قشتاله وليون وجليفيه واستوريش ، توفى في رجب ٥٥٢هـ/ أغسطس ١١٥٧م.

يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٣٣ - ١٣٥ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٩١ .

١١٣٤م[١]، وأسفرت هذه الموقعة عن إفناء معظم قوات مملكة أرغونه ، ورجع يحيى بن على ظافرا بالغنائم ، أما الطاغية الفونسو فبقى أياما ثم مات قهرا وكمدا [٢] .

٣) ابن تافرطاش (تافرطشت) :-

هو قائد الأسطول المرابطى الذى سار إلى ميورقة لإنقاذها من الغزاة الصليبين فى أواخر ذى القعدة سنة ٥٠٩هـ/أبريل ١١١٦م بعد أربعة أشهر من كتاب الاستغاثة الذى أرسله أمير البليار مبشر بن سليمان ناصر الدولة إلى أمير المسلمين على بن يوسف فى ١٩شعبان ٥٠٩هـ/٨يناير ١١١٦م على يد أبى عبد الله محمد بن ميمون القائد البحرى [٣] .

وقد قام ابن تافرطاش بتعمير ما تخرب من جزر البليار وأمن من فر من سكانها إلى الجبال وأسكن فيها حشود المتطوعه والمرابطين والمجاهدين من رجال أسطوله [٤] .

ويشير ابن الكردبوس إلى ذلك قائلا "فلما وصل الأسطول المرابطى وجد المدينة خاوية على عروشها محترقة سوداء مظلمة فعمرها قائد الأسطول ابن تافرطاش [٥] ".

---

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الأول من الرسالة .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٣٥١ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٥٥ ، يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٥) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

٤) الريرتير Reverter

تطلق عليه المصادر الإسلامية اسم الربرتير حينا والأبرتير حينا آخر Elreverter .

كان من قواد أمير برشلونة وأرغونة ، ومن كبار رجال دولته ، وقع في أسر قائد الأسطول المرابطي علي بن ميمون سنة ٥٠٨هـ/١٠٩٣م فأتى به إلى مراكش ، ودخل في خدمة المرابطين واعتنق الإسلام ، ولزم خدمة أمير المسلمين علي بن يوسف فولاه قيادة الفرقة النصرانيه والتي تسمى "بفرقة الروم" وأخلص الربرتير للمرابطين ، وقتل في إحدى المعارك البحرية التي خاضها المرابطون ضد الموحدين سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م [١] .

وأنجب ولدا أسلم وتسمى عليا ، ودخل في خدمة الموحدين وأخلص في خدمتهم ، ويرجع إليه الفضل في انتزاع جزيرة ميورقة من بني غانية [٢] .

٥) محمد بن علي المسوفي "ابن غانيه" :-

كان عاملا على جزر البليار من سنة ٥٢٠-٥٣٧هـ/٢٦-١١٤٢م ، واستطاع القضاء على الفتنة [٣] التي سببها وانور بن أبي بكر [٤] .

---

(١) ابن القطان : جـ ١ ، ص ٧٦، ابن عذارى : البيان ، جـ٤، ص ١٦، ٥٩ .

(٢) ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٩٣ .

(٣) نشبت هذه الفتنة بسبب عسف عاملها وانور بن ابى بكر اللمتوفى ، وذكر ابن خلدون أن سبب هذه الفتنة يعود إلى قسوة هذا العامل على أهل جزر البليار ومحاولته قسرهم على بناء مدينة أخرى بعيدة عن البحر بدلا من مدينة ميورقه العاصمة فامتنعوا وقتل مقدمهم ، فثاروا على وانور بن ابى بكر وحبسوه وذهبوا إلى أمير المسلمين (على بن يوسف) فأعفاهم منه وولى عليهم محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية .
ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٥٠٥ - ٥٠٦ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢١٥ .

واصبحت جزر البليار فى عهده قاعدة هامة للجهاد البحرى الإسلامى فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، وأسهمت بدور كبير فى الغارات البحرية على الثغور المسيحية المعادية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط .

وقد قاد أحد الأساطيل المرابطيه فى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٧م وأوقعت بأسطول صليبى مكون من مائه وخمسين سفينة أثناء اجتيازه لمضيق جبل طارق [١] .

٦) الأمير سير بن أبى بكر :-

هو أحد كبار قواد البحرية فى عصر الأمير يوسف بن تاشفين وقريبه بالمصاهرة، تزوج من حواء بنت تاشفين الذى كان والدها أخا للأمير يوسف [٢] .

وكان حاكما على منطقة مكناس وفازاز سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م ، واشترك فى موقعة الزلاقه ، وأظهر فيها شجاعة فائقة ، وعندما قرر الأمير يوسف عزل ملوك الطوائف أسند إليه هذه المهمة ، وقام سير بتنفيذها واستولى على إشبيليه سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ، وبطليوس سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م [٣] .

واستطاع أن يحمى الثغور الغربية من اعتداءات المسيحين وينتصر على الملك الفونسو السادس [٤] . انتصارا ساحقا فى مكان يسمى "مقاطع" عند محاولته الهجوم على إشبيليه سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م [٥] .

---

(١) ابن عذارى : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ١٠٣ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٨٩ .

(٣) انظر الفصل الثانى من الباب الأول من الرسالة .

(٤) الفونسو السادس : لما توفى فرناندو قسم مملكته بين أولاده وبناته ، وأدى هذا النزاع بين الإخوة وانفراد شانجة بالحكم إلى هروب الفونسو إلى طليلطه ، ولجأ إلى ملكها المأمون بن ذى النون سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، وعاش فى بلاط المأمون حوالى تسعة أشهر معززا مكرما ، وعندما قتل شانجة سنة ٤٦٤هـ/١٠٧٢م رجع إلى بلاده وتخلص من أخيه غرسيه سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م واعتلى عرش قشتاله وأصبح ملكا لجليقيه وليون ، وعادت المملكة الأسبانية فى عهده إلى سابق وحدتها .

ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٢ ؛ على أدهم ، المعتمد بن عباد ، بيروت ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٨٢ ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١١٤ .

وفى سنة ٥٠٤هـ/١١١١م استولى على شنترين ويابره [١] ولشبونه واستمر حاكما على هذه المنطقة إلى أن توفى سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م [٢] .

٧) وانودين بن سير :-

هو أحد كبار القادة المرابطين . كان عاملا على جزر البليار لمدة ثلاثة أشهر فقط من ربيع الأول ٥١٠هـ/١١١٦م إلى شهر رجب ٥١٠هـ / أغسطس ١١١٦م .

ويشير ابن عذارى "ودخلها (أى جزر البليار) وانودين بن سير فبقى بها ثلاثة أشهر [٣] ، وأعاد إليها الأمن والاستقرار والطمأنينه إلى ربوعها ، وقام بتجهيز الأسطول البحرى للدفاع عن جزر البليار [٤] ".

وتولى إمارة سجلماسه واشترك فى موقعه البحيرة [٥] .

٨) محمد بن عائشة :-

هو الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين ، ويعرف بابن عائشه ، وكان من كبار قواد المرابطين ، عينه أبوه الأمير يوسف قائدا على شرق الأندلس

---

(١) يابرة : مدينة من كورة باجه .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦١٥ .

(٢) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، القسم الموحدى ، ص ٢١٥ .

(٤) ابن عذارى : المصدر نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٢١٥ .

(٥) كانت هذه الموقعه يوم ٢ جمادى الأولى ٥٢٤هـ/١٤أبريل ١١٣٠م .

ابن القطان : المصدر السابق ، ص ١١٨ ، ح ٢ .

بعد إن عاث السيد القنبيطور [١] فيها فسادا ، وتولى مرسيه وأعاد إليها الأمن والاستقرار فى تلك المنطقة الشرقية .

وفى عهد أخيه أمير المسلمين على بن يوسف قام بعدة عمليات بحرية وحربيه واسعة النطاق ، وشارك فى موقعه إقليش سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م [٢] ، كما أسرع إلى سرقسطه لنجده أميرها محمد بن الحاج عندما حاصره الفونسو المحارب[٣] ملك أرغونه سنة ٥٠٤هـ/١١١١م واشترك فى موقعة البورت التى انتهت بهزيمة المرابطين سنة ٥٠٨هـ/١١١٥م[٤] .

---

(١) القنبيطوز : فارس قشتالى مغامر يدعى رودر يجو دياث بيبار ، وأطلق عليه المسلمون اسم القنبيطوز " أى المحارب الباسل أو المبارز" لجرأته وقسوته وعنفه ، وتجرد من كل مبدأ فكان يؤجر نفسه حينا لملوك النصارى ، وحينا آخر لملوك الطوائف .
وقد استغل الفوضى فى بلنسيه فى نهاية عهد ملوك الطوائف واستولى عليها ، وظلت تحت حكم هذا الطاغية وزوجته "خمينا" من بعده ثمانية أعوام يسومان أهلها الذل والهوان حتى تمكن القائد المرابطى مزدلى من تحريرها فى شعبان ٤٩٥هـ/مايو١١٠٢م .
ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٤٢ ؛ عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٣١ .

(٢) انظر الفصل الثالث من الباب الأول من الرساله .

(٣) الفونسو المحارب (٤٩٩-٥٢٩هـ/١١٠٥-١١٣٤م) من أعظم ملوك مملكة أرغونة والنافار ، تزوج من أوراكا ابنه الفونسو السادس سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م وكان الغرض من هذا الزواج توحيد الممالك الأسبانية فى مملكة واحدة ، غير أن هذا الزواج لم يدم حيث تم الاتفاق على أن يكون الفونسو الأول المحارب ملكا على أرغونه وقشتاله ، وتكون أوراكا ملكه على ليون وجليقيه ، وقد حكم ثلاثين عاما منذ وفاة أخيه الملك بيدرو سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م فجعل مملكة أرغونة أعظم الممالك الأسبانية النصرانيه وأقواها .
ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٣٠ ، يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٦٦ – ٣٦٧ .

(٤) ابن القطان : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٨ .
عن موقعه البورت .
انظر الفصل الثالث من الباب الأول من الرسالة .

٩)الأمير أبو بكر مزدلى بن سلنكان :-

هو ابن عم الأمير يوسف ، وأحد كبار قواده ، قاد عدة حملات بحرية وحربية ضد المسيحين الأسبان منها الحملة البحرية على برشلونه سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م.

ومن أبرز حملاته البحرية تلك الحملة التى استعاد بها بلنسيه من أيدى جنود السيد القنبيطوز فى ١٥ رجب ٤٩٥هـ/ ٥ مايو ١١٠٢م [١] .

استشهد فى معركه مع القشتاليين بالقرب من حصن مستنا [٢] سنة ٥٠٨هـ/١١٥م[٣].

١٠) القائد محمد بن الحاج :-

من أبرز القواد فى عهد أمير المسلمين على بن يوسف ، تولى الثغر الإسلامى بعد استيلاء المرابطين عليه فى ذى القعدة سنة ٥٠٣هـ/يونيو ١١١٠م[٤].

استشهد أثناء الحملة التى قام بها على إمارة برشلونة فى شهر ربيع الأول ٥٠٨هـ/سبتمبر ١١١٤م ، ويشير إلى ذلك ابن ابى زرع قائلا "وكان محمد بن الحاج من كبار القواد البحريين سار من بلنسيه إلى سرقسطه ودخلها وأخرج عنها بنى هود وملكها وكتب بالفتح إلى أمير المسلمين (على بن يوسف) ولم يزل بها إلى أن خرج غازيا إلى برشلونة واستشهد سنة ٥٠٨هـ [٥] .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ١١٤ .

(٢) حصن مستنا : حصن من حصون طليطله .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٨٥ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٥٥ .

(٥) ابن ابى زرع : المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

١١) القائد أبو محمد بن فاطمة :-

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن فاطمة ، وأحيانا يسمى أبو عبد الله محمد بن فاطمة ، أحد مشاهير القواد البحريين فى عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وابنه على .

إشترك مع القائد مزدلى فى إنقاذ بلنسيه من أيدى المسيحيين سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م، فى موقعه إقليش سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م ، وتولى إمارة بلنسيه سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م ثم غرناطه ثم فاس ثم إشبيليه فى رمضان سنة ٥١١هـ/يناير ١١١٨م [(١)] .

١٢) أحمد بن عمر المعروف برقم الأوز :-

من قواد الأسطول المرابطى ، وذكر الإدريسى "أن الأمير على بن يوسف استعمل أحمد بن عمر المعروف برقم الأوز على جملة من أسطوله [(٢)] .

خامسا : المعركة البحرية :-

أعنى بذلك كيف كانت تدار المعركة البحرية فى العصر المرابطى وكيف كانت تتم الاستعدادات لها ؟ مثل إعداد وحشد القوى للمعركة البحرية ، تعبئه الأساطيل ، الاستطلاع البحرى ، والأسلحة البحرية التى استخدمها المرابطون فى معاركهم البحرية .

وتتمثل مراحل الإعداد للمعركة البحرية فى :-

---

(١) ابن القطان : المصدر السابق، جـ٢ ،ص ٨ ؛ د. محمود مكى: المرجع السابق، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

١- حشد المقاتلة :-

يعتبر حشد المقاتلة من أولى مهام أمراء البحر بعد تفحص السفن وتزويدها بالنفط والوقود وشحنها بالأسلحة ، وحشدها بالبحارة المقاتلين ويتم الحشد عن طريق النقباء الذين يكلفون بجمع الجند من بين الذين يجيدون المعارك البحرية ، ونظرا لما تتطلبه المعارك البحرية من نوعيات خاصة كانت الدولة تفرق عليهم الأعطيات فى احتفال عظيم يقام عادة قبيل الإبحار يحضره الخليفة ووزير الجيش وصاحب الديوان(١) .

٢- تعبئة الأساطيل :-

كانت تعبئه الأساطيل تأخذ الشكل الخماسي قلب وجناحين ومقدمة ومؤخرة، وتصطف السفن إما على هيئة نصف دائرة حتى إذا حاول العدو الاقتراب منها أحاطت به وحطمته ، وإما أن تصطف صفوفا مستقيمة لتنطح مراكب العدو "باللجام" وتفرقه (٢) .

٣- السير فى البحر :-

تتحرك قطع الأسطول بعد إصدار الأمر إليها من أمير البحر ، وفى أثناء سير الأسطول يتحتم على أمير البحر أن يقوم بعدة تمويهات ليخفى أسطوله عن أعين الأعداء ، ويحذر إغارة سفن الأعداء عليه ، ومن هذه التمويهات عدم إيقاد النيران ، وإطفاء كل المصابيح ، ويأمر القائد بتركيب قلوعا زرقا (٣) حتى يخفى

---

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ، ص ٣٧٧ ؛ د.إبراهيم العدوى، الأساطيل العربية، ص١٨٤.

(٢) د. إبراهيم العدوى : المرجع نفسه ، ص ١٨٤ .

(٣) الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، القاهرة ، ١٢٩٥هـ ، ص ١٩٦ .

مراكبه عن أنظار العدو وهدا يتبع فى الحروب الحديثة.

٤- الاستطلاع والاقتراب :-

قبل الالتحام مع أساطيل العدو يقوم أمير البحر بالاستطلاع البحرى ويرقب حركات عدوه ، ويحدد مكانه ، ثم يدنو منه بحذر ، ولاتتم عملية الاقتراب عادة إلا فى هدوء الريح وسكونها وذلك ليصرف القائد سفنه حسب خطته ويجتهد إلا تهب الريح عليه حتى لاتوقع الخلل فى سفنه (١) .

وقد عمد أمراء البحر العرب إلى خطة جديدة لجذب سفن الأعداء إليها ، وذلك بأن يلقى عليها الكلاليب ثم تجذب سفنهم حتى تقترب من سفن المسلمين ثم توضع ألواح بين جوانب السفن حتى تكون جسرا ينتقل عليه الجند المسلمون إلى العدو داخل سفنه ويقاتلون عليها (٢) .

وكان لأمراء البحر إختصاصات واسعه من قبل ولاة الأمر ، ويذكر ابن خلدون "قيادة الأساطيل من مراتب الدولة وخططها فى ملك المغرب وإفريقية ومرؤسه لصاحب السيف وتحت حكمه فى كثير الأحوال" (٣) .

كذلك كان يقوم أمير البحر بتوزيع هذه الإختصاصات على بضعه أفراد يعاونوه فى عمله .

وكانت كل وحدة من وحدات الأسطول البحرى معده إعدادا تاما من حيث رجالها ومعداتها ، وذلك وفق نظام دقيق ، فلكل سفينة عدد من النواتيه أو البحارة الذين يخضعون لكبيرهم الملقب بالرئيس أو الريس ، ويتولى الريس مع

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١٢ .

(٢) د. إبراهيم العدوى : الأساطيل العربية ، ص ١٨٤ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٨١ .

رجالة تدبير أمور جريـان سـفينته بـالريح أو المجـاديف ، وكذلـك عمليـة مهمـة إبحار السفينة وإلقاء مراسيها .

والى جانب فرقة النواتيه يوجد فرق من الجند المعدة للقتـال البحـــرى ، وتعمل تحت إمرة قائد يشرف على إعداد الأسلحة ويسير دفة القتال على السفن، كل هؤلاء يعملون تحت إمرة أمير البحر وهو القـائد العـام للأسـطول الـذى يتـولى رئاسة السفن الحربيه كلها ، وكان يمنـح سـلطات مطلقـة مـن قبـل الخلفـاء فـى إعداد حملاتهم ، فله الحق فى اختيار رجال الأسطول ومعاملتهم والإشراف علـى بناء السفن ومراسيها والإشراف على أعمال التجسس البحرية [١] .

الأسلحة البحرية :-

كـان البحريـون المرابطـون يتسـلحون بـأنواع مختلفـة مـن الأسـلحة ومـــن الأسلحة الرئيسية لرجال الأسطول البحرى المرابطى هى :-

القسى (الأقواس) :-

وهى التى تشد بواسطة اليد أو الرجل ، وهى آلات لقذف النشاب النصول مثلثه الأركان وهى أنواع :-

منها قسى الزيار المصنوعة مـن خشـب السـنديان وهـى أشـد القسـى رميـا وأعظمها جرما ، ومنها قسى الرجل وتوتر بدفع الرجلين لهـا وتصنـع عـادة مـن خشب الطخشن، ومنها قسى لرمى قوارير النفط وتصنع من خشب الصنوبر [٢] .

---

(١) المقريـزى : المصـدر السـابق ، جـ٢ ، ص ٣٧٦ ؛ محمـد ياسـين الحمـوى : تـاريخ الأسـطول العربى، دمشق ، ١٩٦٥ ، ص ١٠٨ ؛ د. إبراهيم العدوى : الأساطيل العربية ١٧٣ – ١٧٦ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٦٨؛ د. عبد العزيز سالم : تـاريخ البحريـة المصريـة ، ص٥١٢.

المجانيق :-

هى آلات لقذف الأحجار الضخمة المضرسة التى توضع على الكفه ، ثم تقذف إلى الأهداف بواسطة الشد على لوالب .

وكانت تخصص له مركب لحمله وحمل حجارته والجنود الذين يعملون عليه، ثم يقوم برمى مراكب العدو بالحجارة والقوارير المملوءة بالنفط أو الجرار المملؤة بالجير الحى المدقوق يرمى بها جند الأعداء (١) .

الكلاليب :-

نوع من الخطاطيف الحديدية ، كان يستخدمها البحريون عندما تدنو منهم سفينة الأعداء ، إذ تلقى الكلاليب لتوقف سفنهم ثم يشدونها إليهم ويرمون عليها الألواح ويقيمون جسرا من الخشب أو سلاليم من الحبال لينتقل عليه الجند لقتال العدو .

وكان يبطل عمل الكلاليب بأن تقطع بفأس ثقيل (٢) .

الباسليقات :-

عبارة عن سلاسل تنتهى عند رؤوسها برمانة من الحديد كانت تستخدم فى القتال على سطح السفن (٣) .

اللجام أو الفأس :-

عبارة عن كتلة طويلة من الحديد مدببة القدم كسنان الرمح يحملها الجند

---

(١) الحسن بن عبد الله : المصدر السابق ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) مرضى بن على : المصدر السابق ، ص ١١١ أ ؛ د. إبراهيم العدوى : الأساطيل العربية ، ص ١٧٨ .

(٣) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٨٠ ؛ د. عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية المصرية ، ص٥٠٢.

فى سفنهم ، ثم يدفعونها على سفينة العدو لتصدمـها بـه فـى مقدمتـها فتخرقـها وتغرقها أو يحمله الرجال وينطحون به السفينة نطحة قويـة فيحدثـون بـها ثقبـا عميقا ويتسرب الماء إلى جوفها فتغرق ثم يطلب من بها الأمان [١] .

ومن الأسلحة البحرية الشديدة الفتك :

النار البحرية :-

التى استخدمها الروم وزودوا بها أساطيلهم ، وكان العرب يجهلونـها فـى بادىء الأمر حيث لجأوا إلى إطفائها بالماء فازدادت اشتعالا .

واحتفظ الروم بسر هـذه النـار التـى نسـبت اليـهم ، وعرفـت باسـم النـار الإغريقية إلى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى .

وقد استطاع العرب الوقوف على سر هذه النار وتركيبها فكانت تتكون مـن كبريت نقى وحامض الطرطريك والصمغ الفارسى والقـار الخـام والنـترات ، فـإذا مزج الخليط معا وغمست فى هذا الخليط نسيج الكتان ثم اشتعلت فيه النار انتشر اللهب فى الحال وتطفىء هذه النار بالرمل فقط أو بالخل [٢] .

ثم تطور هذا السلاح فيما بعد وظهر منه نـوع أشـبه بالمفرقعـات ، وكـانت تتكون من وحدات كل منها تحوى رطلا مـن الكـبريت المسـحوق مـع رطلـين مـن الفحم البلدى أو ست أرطال من نترات البوتاس وملح البارود ثم يوضع المزيج فـى غلايات طويلة محكمــة أشبه "بالخرطوشـة" وتغطـى فتحتـها بسـلك حديـدى ، وتشعل هذه الأنابيب وتقذف فى الهواء بواسطة المجانيق ويسمــع لهــا إنفجـار

---

(١) الحسن بن الأول : المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٢) مرضى بن على : المصدر السابق ، ص ١٢٣ ؛ د. إبراهيم العـدوى : الأسـاطيل العربيـة ، ص ١٨٢ .

مدوى يصحبه دخان كثيف مسبوق بلهب خاطف ، بيد أن النار التى زودت بـها السفن الحربية كانت عبارة عن أنابيب من النحاس تقذف من مقدمة المراكب [١].

سادسا : أنواع السفن :-

كان الأسطول المرابطى يتألف من الوحدات الآتية :-

الشوانى :-

مفردها شينى ، وهى السفينة الحربية الكبـيرة ، وكـانت مـن أهـم القطـع الكبيرة التى يتكون منها الأسطول الإسلامى .

ويستدل من النصوص التاريخية العديده أن الشينى هو الأصل الذى يتفـرع منه أسماء السفن الحربية الأخرى ولواحقها ، فكل سـفينة حربيـة شـينى تحمـل اسم معينـا يـدل علـى وظيفتـهـا فمنـهـا الغـراب [٢] والطريـده [٣] والجفنـة [٤] والحراقة[٥].

والشينى من أهم القطع التى يتألف منها الأسطول العربـى ، لأنـها كـانت أكبر السفن وأكثرها استعمالا لحمل المقاتلين للمعركه ، ومتوسط ما يحمله الشينى

---

(١) مرضـى بـن علـى : المصـــدر الســابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ؛ د. إبراهيـم العـدوى: الأسـاطيل العربية ،ص ١٨٢.

(٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال ، القاهرة ، ١٩٤٣ ، ص ٣٤٠ - ٣٥٦ .

(٣) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٤) النويرى السكندرى : الإلمام بالأعلام بما جـرت بـه الأحكـام المقضيـة فـى وقعـة الإسـكندرية ، نسخة مصورة من مخطوط الهند ، مكتبة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، رقم ٧٣٨م، لوحة ١٢٣أ.

(٥) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .

الواحد مائه وخمسون رجلا [١] ، ويمتاز بأنه يجدف بمائه وأربعين مجدافا [٢] .

وهو عبارة عن مركب حربى ذى أبراج وقلاع يستعمل للدفاع والهجوم ويجهز للحرب بالسلاح والتغطية ويحشد بالمقاتلة [٣] وهو لعظمه كان يحتوى على إهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء الحلو [٤] .

وكانت الشوانى تجهز بالفأس الذى يقال له اللجام وهى حديدة طويلة محددة الرأس وأسفلها مجوف كسنان رمح [٥] .

ووصف ابن حمديس الصقلى الشوانى الحربية وأبراجها التى يقذف بها النفاطون منها النفط الأبيض على العدو ، فقال مخاطبا الأمير الحسن بن على من أمراء بنى زيرى فى المغرب الأدنى .

أنشأت شوانى طائرة	وبنيت على ماء مدنا
ببروج قتال تحسبها	فى شميم شواهقها قننا
ترمى ببروج إن ظهرت	لعدو مخرقة بطنا
وبنفط أبيض تحسبه	ماء وبه تذكى السكنا [٦]

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ٤١ ؛ محمد ياسين الحموى : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٠٠ .

(٣) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٣٨، جـ٤ ، ص ٥١ ؛ أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ .

(٤) د. إبراهيم العدوى : الأساطيل العربية ، ص ٥٣ .

(٥) الحسن بن الأول : المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(٦) ابن حمديس الصقلى: ديوان ابن حمديس،تصحيح وتقديم د. إحسان عربى، بيروت، ١٩٦١، ص ٥١٣.

الأغربة :-

مفردها "غراب" وهى من المراكب البحرية شديدة البأس التى استعملها المسلمون والفرنج فى العصور الوسطى فى الغاره والغزو عن طريق البحر [١] .

ووصفها النويرى المراكب الغزوانيه تسمى غربانا وذلك لرقتها وطولها وسوادها بالأطليه المانعة للماء عنها كالزفت وغيره فصارت تشبه فى سوادها الغربان من الطير لسوادها وسواد مناقيرها [٢] أو على الأقل لأن مقدم هيكلها كان على شكل رأس غراب[٣] .

والغراب اسم من أسماء الشينى أو نوع منه وهو يسير بالقلعة والمجاديف، ومنه الصغير والكبير ويحدد حجمه وضخامة عدد مجاديفه ، فأحفله ما كان يبحره مائه وثمانون مجدافا ، وأصغره تجدف به عشرة مجاديف .

وذكر ابن مماتى "وأما الشينى ويسمى الغراب أيضا ، فأنه يجدف بمائه وأربعين مجدافا وفيه المقاتلة والجدافون [٤] .

وذكر النويرى "وأما الغربان فتحمل الغزاة وسيرها بالقلع والمجاديف له مائه وثمانون مجدافا " [٥] .

---

(١) د. عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ط١ ، ص ٢٢٢ .
محمد ياسين الحموى : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) النويرى : المصدر السابق ، لوحة ١٢٣ .

(٣) د. عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ؛ محمد ياسين الحموى : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٤) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .

(٥) النويرى السكندرى : المصدر السابق ، لوحة ١٢٤ .

وقال الشاعر ابن الساعاتى :-

وركبت بحر الروم وهو كخلية والموج نحسبه جوادا يركض
كم من غراب للقطيعة أسود فيه يطير به جناح أبيض[١].

واستخدم المسلمون فى المغرب الإسلامى الغراب .

وذكر النويرى السكندرى عن كيفية إنزال الأغربة إلى الماء من الأحواض الجافة فى دار الصناعة بمدينة سبته قائلا "وقيل أن عدد أبواب مدينة سبته إحدى وثلاثون بابا واحد للبر والبقية ندار صناعتها للبحر وداخل كل باب منها غراب راكب على حمارة الخشب المعتدلة فإذا جرت حركة مع الفرنج أخرجت القواد تلك الغربان يجرها حمرها فترمى تلك الغربان إلى البحر دفعة واحدة وقد شحنت برماتها وقوادها وأسلحتها وأزوادها [٢] ".

وقال ابن أبى حجلة التلمسانى المغربى نزيل القاهرة :-

وحقك عندى للفرنج مكائد فليت ولى الأمر يدرى بما أدرى
فمن لى باسطول به أهل سبتة بغربانها مثل النور إذا تسرى[٣].

ومن خصائص هذا النوع من السفن أنه كان مزودا بجسر من الخشب يهبط على مركب العدو ويمر على ظهره الجند فيقاتلون بالأساليب البريه [٤] .

<u>الحراقات :-</u>

مفردها حراقة ، وهى نوع من السفن الحربية التى ترمى بالنيران ،

---

(١) محمد ياسين الحموى : المرجع السابق ، ص ٢٩ .
(٢) النويرى السكندرى : المصدر السابق ، لوحة ١١٦ .
(٣) النويرى السكندرى : المصدر نفسه ، لوحة ١١٦ .
(٤) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ، تحقيق د. جمال الشيال ، ط١ ، ١٩٦٤، القاهرة، جـ٣ ، ص ٢ .

واستعملها المسلمون فى العصور الوسطى وهى تلى الشوانى فى الحجم [١] .

وكان يستعمل بكثرة فى مياه البحر المتوسط .

وذكر البتانونى أن الحراقات كانت من بين قطع أسطول المسلمين الذى يعمل فى غرب البحر المتوسط بالأندلس [٢] .

وفيها يقول الشاعر :

عجبت لحراقة ابن الحسـد ... ن لاغرقت كيف لاتغرق

وبحران من فوقها واحد ... وآخر من تحتها مطبق

وأعجب من ذاك أعوادها ... وقد مسها كيف لاتورق[٣].

الطريدات :-

مفردها طريده ، وهى سفن صغيرة على هيئة البراميل بدون سطح ، وتستعمل فى مطاردة العدو لسرعتها [٤] .

ووصفها النويرى السكندرى فى قائمة السفن التى تستعمل فى البحر المتوسط قائلا "وأما الطرائد فإنها مفتوحة الموخاير (أى المؤخرة) تفتح وتغلق معده لحمل الخيل بسبب الحرب" [٥].

ووصفها ابن منكلى "وأما الشوانى الغزوانيه وهى طريده مفتوحة المؤخرة

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٣٧ .

(٢) محمد لبيب البتانونى : رحلة الأندلس ، ط٢ ، القاهرة ، ص ١١٤ .

(٣) محمد ياسين الحموى : المرجع السابق ، ص ٣٥ ؛ د. سعاد ماهر البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٣٨ .

(٤) د. إبراهيم العدوى : الأساطيل العربية ، ص ١٦٩ .

(٥) النويرى السكندرى : المصدر السابق ، لوحة ١٢٣ - ١٢٤ .

وطريدة غزوانى" [١] .

وتستعمل الطرادات فى حمل الخيول من الفرسان ، وأكثرها ما يحمل فيها أربعون فرسا [٢] .

وعرف هذا النوع فى المغرب والأندلس لتكون هى سفينة القائد الأعلى فى الأسطول الحربى والتى تمتاز برايتها البيضاء ، فضلا عن استعمال الناس لها فى أسفارهم البحرية مع ما تحمله من أمتعتهم فهى أشبه بالسفن التجارية [٣] .

الشلنديات :-

مفردها شلندى ، وهى سفينة حربية كبيرة الحجم عظيمة الجرم شديدة الاتساع ، مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح ، وتعادل فى أهميتها الشينى والحراقة[٤] وهذا النوع من السفن كان معروفا عند البيزنطيين ، واستعملة العرب وقالوا صندل وأصلها فى اللاتينيه Chelandsum .

ويتميز الشلندى بأنه مركب مسطح من أعلى ليمكن الغزاة والمقاتلة من مقاتلة أعدائهم من ظهرها بينما يجدف الجدافون تحتهم [٥] .

وكانت تسمى فى الأندلس بالأجفان الغزوية أو الغزواتيه [٦] .

---

(١) ابن منكلى : الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية فى فن القتال فى البحر ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، تحت رقم ٢٣ ، فروسيه ، لوحه ٢٠٠ .

(٢) ابن مماتى : المصدر السابق ، ٣٣٩ .

(٣) محمد ياسين الحموى : المرجع السابق ، ص ٣٤ ؛ د. أحمد العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب ، ص ٣٩١ – ٣٩٢ .

(٤) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص ٤٥٦ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٩–٣٤٠.

(٦) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٩٩ .

ومن المرجح أن المغرب الإسلامى استعمل هذا النوع من السفن فى تاريخ مبكر فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى فى الفترة التى كان المسلمون يستولون فيها على بعض قطع الشلنديات من الروم أثناء المعارك البحرية فى جزيرة صقلية ، ويشير ابن الأثير إلى ذلك قائلا "إنه فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشر شلنديات من الروم فأرسلوا بمرسى الطين وخرجوا ليغيروا فضلوا الطريق فرجعوا خائبين وركبوا البحر راجعين فغرق منهم سبع قطع [1] .

الحربيات :-

مفردها حربى وحربية

فالحربية هى التى تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة[2].

واستعمل المغرب هذا النوع ، فيشير البكرى إلى اهتمام المغاربه بالمراكب الحربية قائلا "وبشرقى مدينة بونة وفيه مرسى الخرز وفى هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية التى يغزى بها إلى بلاد الروم" [3] .

وقد اهتم الفاطميون بالمراكب الحربية وهم بالمغرب ولما انتقلوا إلى مصر استمر اهتمامهم بالحربيات [4] .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ٣ .

(٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٨٩..

(٣) البكرى : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٤) المقريزى : الموعظ والاعتبار ، جـ٢ ، ص ١٩٧ .

الأجفان :-

مفردها جفن

وهى سفينة دائرية من سفن الغزو والحرب ، ويشير إلى ذلك ابن الخطيب قائلا "إنه لما توفى المعتصم أيقن ابنه معز الدولة بتغلب المرابطين على ملكه فركب بمن اختص فى قطعة من أسطوله وحمل المال والمتاع فى ثنتين وأحرق باقى الأجفان خشية الإتباع" (١) .

وغالبا ما توصف الأجفان بصفة فترد "الأجفان الغزوية" ، وذكر الناصرى" أن على بن يوسف استمر على سياسة أبيه فى إنشاء الأجفان الغزوية (٢) .

الفتاش :-

نوع من المراكب الحربية التى عرفت بالأندلس ، فذكر العذرى "إن محمد بن رماحس أقلع فى حربتين برجالهما من أهل المرية إلى طرطوشة وركب من هناك فى عشرة مراكب حربية وأربعة شوان وفتاشين" (٣) .

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٩٢ .

(٢) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٨٩ .

(٣) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

الفصل الثانى

"دور البحرية المرابطيه فى توحيد المغرب والأندلس"

يتناول هذا الفصل الدور الذى ساهمت فيه البحرية فى عهد المرابطين فى توحيد المغرب والأندلس .

ويلاحظ أن المرابطين وهم بدو من الصحراء لم يكن لهم عهد بركوب البحر، حتى قُدِّر لهم أن يفتحوا المغرب الأقصى ، ويتدفقوا صوب السهول الساحلية للاستيلاء على الموانى المطلة على حوض البحر المتوسط الغربى .

وكان الأسطول المرابطى فى أول الأمر أسطولاً ناشئاً خاض معاركه الأولى فى ضم سبته سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م ، واستُخدم بعد ذلك لنقل الجنود والمعدات إلى الأندلس(١).

وعندما جاء الأمير يوسف بن تاشفين بجيوشه إلى الأندلس ، كان أسطوله فى ذلك الوقت يتألف من سفن النقل أكثر من سفن القتال لأن الغرض الأساسى منه وقتئذ هو نقل الجنود والمعدات وحفظ المواصلات بين المغرب والأندلس .

ويعتبر فتح المرية سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م بداية عهد جديد فى تاريخ البحرية فى العصر المرابطى ، كما ازدهر هذا الأسطول فى عهد الأمير على بن يوسف وشارك فى ضم جزر البليار (٢).

وقد كان للبحرية دور كبير فى المعارك البرية التى خاضها المرابطون لضم الأندلس ، إذ قامت بنقل الجنود والمعدات والامدادات بين العدوتين ، كما حمت المواصلات وحرست المضايق وحاصرت الموانئ .

عاش المغرب ظروفاً سياسيه مضطربة قبل قيام الدولة المرابطية ، مما

---

(١) مجهول: مفاخر البربر ، ص ٥٦.

(٢) عصمت دندش : المرجع السابق، ص ١٩٧.

جعله مُهيئاً لتصارع القوى والطوائف على أرضه .

ومن هذه الطوائف غماره فى الشمال [١] ، وقبائل برغواطه [٢] فى الغـرب، وقبائل زناتة [٣] التى كونت حزامـاً حـول الطوائـف السـابقة ، وطوائـف الشـيعة والوثنيين فى الجنوب [٤] ، ومن ثم شاعت الفوضى والاضطرابـات فـى المغـرب ، وأغارت القبائل بعضها على بعض ، وكثر السلب والنهب وفُقد الهدوء والاطمئنان ولم تعد هناك سلطة تستطيع توحيدهم [٥] .

---

(١) قبيلة غمارة : قبيلة بربرية أحد فروع قبيلة مصمودة .

ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢١٦ ؛ مجهول : الاستبصار ، ص ١٩٠ .

(٢) قبائل برغواطة : هم أخلاط من قبائل شتى من الـبربر ، اجتمعـوا إلى صـالح بـن طريـف القـائم بتامسنا حين ادعى النبوة فى أيام هشام بن عبد الملـك ، وأصلـه مـن بربـاط ، ويقـال لـمن تبعـه برباطى فعربه العرب وقالوا برغاطى ، فُسموا برغواطه ، وصالح هذا يـهودى ، وتعتـبر تعاليمـه مزيجاً من أفكار الخوارج والمعتزلة واليهودية .

ابن الخطيب : أعمـال الأعـلام ، ق ٣ ، ص ١٨٤ ؛ القـرى : المصـدر السـابق ، جـ ٨ ،ص ٣٢٢.

(٣) قبائل زناته : من أهم قبائل البربر البتر ، وانتشرت فى جميع أنحاء المغرب ، وكـان لهـم فـن حربى خاص بهم ، وقاموا باستخدام الدروع الجلدية اعتمدوا علـى الخفـة فـى القتـال ، وأخـذ الأسبان هذا النظام منهم وسموه Zenetes .

الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٢١ .

(٤) هذه الطائفة عبارة عن أقليات مبعثرة من روافض الشيعة والوثنيين الذيـن اسـتقلوا بحكـم بعـض النواحى فى أقصى جنوب المغرب وبلاد السوس .

الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٣ ؛ د. أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلـس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ٢٨٩ .

(٥) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٨٦ .

وكان الملثمون [1] لايعرفون من الإسلام إلا اسمه ، فلم يقلعوا عما اعتادوه فى جاهليتهم من مساوىء قضى الإسلام عليها فى كل مكان حل فيه [2] .

وشجعت أحوال المغرب السيئة أعداء الإسلام فى الإغارة على السواحل الإفريقية ، حيث أغار النورمان على مدينة زويله [3] ، وأغارت أساطيل بيزه وجنوة على المهدية فى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م [4] ، وفى سنة ٤٨٤هـ/١٠٩٠م سقطت صقلية بيد النورمان مما أدى إلى انهيار السيادة البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسط [5].

لذا كان المغرب فى حاجة ماسه إلى حزكة إصلاحيه تلم شعثه ، وتوحد

---

(١) الملثمون : هم قوم من بربر لمتونه أحد فروع صنهاجه ، وعُرفوا بذلك لوضعهم اللثام على وجوههم، وقد اختلفت الآراء حول أسباب اتخاذهم اللثام، فمنهم من اعتبره من الأعراف == السائده لتلك الفترة ، ومنهم من قال إنه حمايه للوجه من البرد ولسع الرمال ، وآخر ذكر رغبتهم فى تغطية أفواههم ومهما كانت الأراء فيبدوا أنه لحماية الوجه .

وقد اعتنق الملثمون المجوسيه ثم دخلوا فى الإسلام من مواطن ممتده من غدامس جنوب طرابلس إلى المحيط الأطلسى ، ومن جبال درن فى الشمال حتى مصب نهر السنغال ، ويصل عدد قبائلهم إلى سبعين قبيلة وغذاؤهم اللحم واللبن .

عن الملثمين راجع .

د. أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب ، ص ٢٧١ : ٢٧٥ ؛ د. عبد الحليم عويس : رحلة إلى بلاد الملثمين ، مجلة الفيصل ، العدد ٣٦ ، مايو – أبريل ، ١٩٨٠ ، ص ١٨ .

(٢) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٩ ، د. حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ١٠٧ .

(٣) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ .

(٤) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

(٥) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام ، تونس ١٩٦٧ ، ص٨٣ .

قواه نحو هدف مقدس يسمو به عن كل نزاع من شانه أن يفرق شمله ويحميه من كل تيار فكرى منحرف بعد أن ساءت أحواله السياسيه والدينية والاقتصادية .

أما الأندلس فقد آلت أوضاعه إلى السوء فى عهد ملوك الطوائف (١) ، وأصبحت لاحول لها ولا قوة مما شجع النصارى على توجيه الضربات العنيفة إلى المسلمين وشنوا عليهم حرباً لاهوادة فيها نابعة من شعورهم العدائى للإسلام والمسلمين بهدف طردهم من أسبانيا ، واتخذت هذه الحرب طابعاً دينياً أضافوا إليها مع الزمن عامل القومية وسموها حرب الاسترداد (٢).

وترنحت الأندلس تحت وطأة هذه الضربات وأصبحت نهايتها قاب

---

(١) ملوك الطوائف : هم جماعة استقلوا بحكم البلاد التى كانت تحت أيديهم فى بلاد الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية ، وكانوا قائمين على أمرها من قبل حاكم البلاد والمسئول عن سياستها وسلطانها ، وسموا بالطوائف لأن كل ملك منهم أو حاكم كان ينتمى إلى طائفه منها أسرته التى انحدر منها أو جماعته التى ينتسب إليها .

د. إبراهيم على أبو الخشب : تاريخ الأدب العربى فى الأندلس ، دار الفكر العربى ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦ ، ص ١٨ .

(٢) سميت بحرب الاسترداد لأنها كانت تهدف إلى استرداد الأندلس من العرب ، وقد بدأت هذه الحرب مع ضعف الأندلس ، فقد انحسر المد الإسلامى عند جنوب فرنسا وتراجع إلى ماوراء جبل البرتات ، وكانت هذه الحروب تشتد حيناً وتخمد حيناً آخر حسب الظروف السياسية للأندلس ، وفى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى دخلت حرب الاسترداد فى دور جديد من أدوارها على يد الملك سانشو ، الذى وحد الدويلات النصرانيه وبدأ حربه وفق أسس ونظم جديدة ، ويعتبر بحق باعث حرب الاسترداد التى استمرت قوية على يد إبنه فرناندو حتى وفاته سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٥م ، وتعثرت بعد وفاته بسبب انقسام دولته بين أبنائه ولكانه قويت مع ابنه الفونسو السادس .

يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٢ .

قوسين أو أدنى ، ولم يهتم حكامها بما يجرى حولهم وظلوا منغمسين فى ملذاتهم وفسادهم يتحاربون ويحالفون النصارى ضد أخوانهم ويؤدون لهم الجزية مقابل الاحتفاظ بعروشهم التى تهتز تحتهم ، ويستخدمون المرتزقة النصارى لحماية أنفسهم بعد أن فقدوا الأمل بمواطنيهم [1] .

وقد اشتدت حرب الاسترداد باعتلاء الفونسو السادس عرش أسبانيا حيث قام باستنزاف دماء الإمارات الإسلامية وإشهار سلاح الإرهاب عليها وإجبارها على دفع الجزية ومضاعفتها عاماً بعد عام ، وفى حالة عجزهم يتم إرغامهم على قبول شروطه[2] .

وبدأ الفونسو أعماله الحربيه بمدينة طليطلة [3] فحاصرها سبع سنوات حتى سقطت فى مستهل صفر سنة ٤٧٨هـ/٢٥مايو ١٠٨٥م ، وأحدث سقوطها دوياً هائلاً فى العالم الإسلامى وبات المسلمون فى حالة ضياع تام [4] .

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ،ص ٢٤١ ؛ د.حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص٢٩١-٢٩٢.

(٢) عبد الله بن بلكين : كتاب التبيان، نشر وتحقيق ليفى بروفنسال،دار المعارف،١٩٥٥،ص ٣٢٠.

(٣) طليطلة : معناها باللاتينى (تولوطو) وكانت عاصمة.الملكة القوطية ، وبعد فتح المسلمون لها اصبحت من أعظم قواعد الأندلس ، واشتهرت بقنطرتها العجيبة البنيان .
وهى مدينة حصينة لها أسوار منيعة وقصبة حصينة ، وتقع على ضفة النهر الكبير ، وبها بساتين وجنات وفواكه (خريطة٣) .
ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٥٤٥ - ٥٤٦ ؛ المقرى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٨٤ ، ابن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ٩٩ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٩٤.
وكان الفونسو قد لجأ إلى طليطلة هرباً من أخيه ،ودخل فى خدمة صاحبها ابن ذى النون ، وأثناء إقامته فيها درس طبيعتها واطلع على منافذها ، وبعد أن خرج منها جهز جيشا وسار إليها وحاصرها حتى سقطت فى يده .
الضبى: بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس،دار الكتاب العربى،القاهرة ،١٩٦٧، ص٣١.

(٤) وصل التخاذل بملوك الطوائف إلى إرسال الرسل لتهنئه الفونسو على استيلائه على طليطلة ، حتى أن ابن رزين حسام الدولة صاحب شنتمريه ذهب بنفسه لتهنئته يحمل إليه الهدايا النفيسه، فجازاه بأن أعطاه قرداً احتقاراً له ، بينما اعتبر ابن رزين ذلك مفخرة .

وشعر الفونسو بقوته وبقدرته على تدمير ملوك الطوائف والقضاء عليهم [١]، لذا غير من خطته السابقة القائمة على أخذ الأموال إلى الاستيلاء على الحصون والمدن، فأغارت اساطيله وجيوشه عليها ، وبدأ ضغطه على مملكتى بطليوس [٢] واشبيليه كبرى الممالك الإسلامية الذى بادر ملوكها بالاستنجاد بالمرابطين [٣] .

واستجاب الأمير يوسف إلى نداء ملوك الطوائف وتأهبت الجيوش المرابطية مع جيوش ملوك الطوائف للقاء النصارى فى موقعة الزلاقة [٤] .

وعقب انتصار المسلمين فى موقعة الزلاقة وعودة الأمير يوسف إلى المغرب اضطربت احوال الأندلس من جديد ، وعاد ملوكها وأمراؤها إلى سيرتهم الأولى وخلافاتهم الكثيرة واستعانتهم بالنصارى ، بل بدأوا بمضايقة القوة المرابطية التى بقيت بالأندلس لحمايتهم [٥] .

لذلك قرر الأمير يوسف ضم الأندلس .

= ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(١) المصدر نفسه ، ص ٨٩ .

(٢) بطليوس : مدينة بالأندلس من إقليم ماردة ، بينهما أربعون ميلا .
وللمدينة ربض كبير يقع على نهرها الكبير المسمى "الغؤور" ، وسمى بذلك لأنه صنع يحمل السفن ، ثم يغور تحت الأرض حتى لاتوجد منه قطره فسمى الغؤور لذلك .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٣) الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١١ ؛ مجهول : الحلل الوشيه ، ص ٣٢ .

(٤) انظر الفصل الثالث من الباب الأول .

(٥) مجهول : الحلل الوشيه ، ص ٣٤ ؛ المقرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٨٨ .

ولسنا هنا بصدد مناقشة الأسباب والبواعث التى حملت الأمير يوسف إلى العبور وضم الأندلس [١] ، ولعل العامل الهام الذى دفعه إلى ذلك هو العامل

الدفاعى والاستراتيجى حيث أدرك الأمير يوسف لأول وهلة أن دول الطوائف لن تستطيع حماية الأندلس التى ستقع سريعاً فى يد النصارى وأن سقوط الأندلسى بيد الأسبان يعنى سقوط الخط الشمالى للمغرب مما يؤدى إلى تهديد السواحل المغربية من قبل الأعداء [٢] .

توحيد المرابطين للمغرب والأندلس

أ) سبته وطنجة [٣]

سيطر الحاجب سقوط البرغواطى [٤] على سبته وطنجة ، وانتهز فرصة ضعف الحموديين وأعلن استقلاله بهما وكون إمارة بحرية قوية .

---

(١) عن هذه الأسباب راجع . ==

== ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٨٧ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، ١٣٣ ؛ عبد الله بن بلكين : الصدر السابق ، ص ١٠١-١٢٥-١٢٧ ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٨٢ .

(٣) خريطة ١- ٢ .

(٤) سقوط البرغواطى : أصله من برغواطه الزناتية ، عمل تحت إمرة على بن حمود ، وكان نائبه على طنجة وسبته ،وبعد زوال الدولة المحمودية سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م استقل سقوط بما تحت يده.

ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٢ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق٣ ، ص ١٨٤ ، مجهول : مفاخر البربر ، ص ٥٥ – ٥٦ .

وخضعت سبته وطنجة لسلطان سقوط البرغواطى وبحكم موقعها الجغرافى امتلك أسطولاً بحرياً ضخماً فرض سلطانه على مضيق جبل طارق ، وكثيراً ما أثار الذعر والاضطراب بسبب أعمال القرصنة التى قام بها ضد السفن الأندلسية المسلمة المارة هناك .

وقام سقوط البرغواطى بأعمال القرصنة البحرية ضد السفن التجارية الإسلامية بمنطقة المضيق ، فعاثت أساطيلهِ فساداً وأضر بمصالح العباد فى العدوتين المغربيه والأندلسيه حتى ضج الناس بالشكوى منه ومن أساطيله (١) .

وكانت إمارة سقوط البرغواطى بمثابة شوكة فى الجيش المرابطى ، فعلى الرغم من سيطرة المرابطين على منطقة فاس إلا أن هذه الإمارة البرغواطيه بقيت مسيطرة على الساحل ، وبالتالى تحكمت فى المضايق وفى التجارة الأندلسية والمغربية (٢) .

أجاب المرابطون الذين سيطروا على المغرب الأقصى وقاموا بجهاد الخارجين عن الدين من قبائل برغواطه بسط سلطانهم على الساحل الشمالى بمرافئه الهامة ، ولم يكن فى الإمكان تحقيق ذلك إلا بابتاع سياسة بحرية عاجلة، وكذلك القضاء على الإمارة البرغواطيه .

وعندما اشتد الضغط المسيحى على ممالك الطوائف بالأندلس ، أرسل المعتمد بن عباد صاحب إشبيليه سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م سفارة إلى الأمير يوسف بن تاشفين أمير المرابطين يسأله النصره والتدخل لوقف الزحف المسيحى على بلاد

---

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٦٦١ .

(٢) الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١١ ؛ د. أحمد العبادى ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٦٧ ، ص ٦٥-٦٦ .

الأندلس ، وقد اعتذر الأمير يوسف عن تقديم المساعدة نظراً لأن الثغور المغربية المطلة على المضيق (سبته وطنجة) ليست فى حوزته [١] .

فراجعه ابن عباد وأشار عليه بأن يسير هو إليها بعساكره فى البر فينازلها، ويبعث ابن عباد قطائعه فى البحر فينازلها أيضا حتى يمتلكها [٢] .

وفى سنة ٤٧١هـ/١٠٨٧م أعد الأمير يوسف جيشاً قوامه اثنا عشر ألف فارس من المرابطين مع عشرين ألفاً من سائر قبائل المغرب بقيادة قائده صالح بن عمران [٣]، وعند اقترابه من أحواز طنجة خرج إليهم سقوط البرغواطى على رأس جيشه وهو شيخ يناهز التسعين وأقسم إلا يسمع أحد من رعيته هدير طبول المرابطين [٤] .

والتقى سقوط وجيشه مع المرابطين بوادى منا من أحواز طنجة فى قتال عنيف استمر لمدة يومين انتهى بانتصار المرابطين ومصرع سقوط وهزيمة جيشه ودخلت القوات المرابطية طنجة وذلك فى ٢٨ ذى الحجة ٤٧١هـ/١يوليو ١٠٧٩م[٥]، وكتب القائد صالح بن عمران إلى الأمير يوسف يخبره بفتح طنجه [٦].

عقب مصرع سقوط تولى ابنه الحاجب العز حكم سبته ، ولم يكن العز أقل قسوة وبطشاً من أبيه ، فقد سار على نهجه فى إحكام السيطرة على منطقة

---

(١) الناصرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١١ .
(٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٥ .
(٣) الناصرى : المصدر نفسه ، جـ١ ، ١١٣ .
(٤) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ٩٢ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٨٥ .
(٥) أخطأ أبى زرع وذكر أن تاريخ المعركة سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٢م .
ابن ابى زرع : المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
(٦) الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١١ .

المضيق عن طريق أعمال القرصنة مستغلاً أسطوله القوى حتى ضج الناس بالشكوى من كثرة الأذى الذى يتعرضون له .

ويشير ابن بسام إلى ذلك قائلاً "من رجل استعان بالشر (يقصد العز) وتهاون بالأمر لايحيا إلا من غلول ولايجيش إلا إلى ابن سبيل لاسيما البحر فإنه أضرم بلجة ناراً ولقى ريحه اعصاراً ، أخذ كل سفينة غصباً وأضاف إلى كل رعب رعباً فضجت منه الأرض والسماء والتقت الشكوى عليه بالدعاء" (1) .

وقد أدرك الأمير يوسف أنه من الضرورى القضاء على الحاجب الغز بن سقوط، وضم سبته إلى دائرة نفوذ المرابطين إذا ما أراد العبور إلى الأندلس للجهاد، ولذلك انتهز فرصة وصول وفد من رجال الأندلس أرسلهم المعتمد بن عباد لطلب المساعدة من المرابطين وانقاذ الأندلس من عدوان الفونسو السادس ملك قشتالة وقرر القضاء على العز بن سقوط ، كما طلب من المعتمد مساعدته بأسطوله لإحكام الحصار على سبته براً وبحراً (2) .

وبدأ الأمير يوسف حصاره لسبته فى شهر صفر سنة ٤٧٦هـ/يوليو ١٠٨٣م، أما ابن عباد فقد بعث بأسطوله إلى مياه سبته ، وهذا ما يؤكده صاحب كتاب مفاخر البربر حيث ذكر أن المعتمد أنشأ سفينة ضاهى بها مصانع الملوك القاهريين بعد العهد بمثلها شدة أسر ، وسعة بطن ، وظهر كأنما بناه على الماء صرحاً ممرداً وأخذتها الريح ميثاقاً مؤكداً ، ووجهها إلى مدينة طنجة لتمتار ، وقد أنجد أمر الله وأغار ، ولما رأى أمير المسلمين وناصر الدين تلك السفينة

---

(1) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٦٦٢ .

(2) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٦٦٢ .

خاطب المعتمد فى ذلك فشحنت على سبته موتا ذريعا وأقيمت بإزاء أسوارها حصنا منيعا [١] .

وبادر العز بالخروج على رأس أسطوله واشتبك مع الأسطول المرابطى فى معركه عنيفه انتهت بهزيمة المرابطين واستولى العز على واحدة من أفضل قطع الأسطول المرابطى مما أثار الفزع والرعب فى معسكر قوات المرابطين أمام سبته[٢].

لذا اضطر المعز بن يوسف قائد جيش المرابطين إلى الانسحاب من أمام سبته بعد أن حطم بعض محلاته حتى لاتقع فى أيدى العز بن سقوط .

ولكن سرعان ما تغير الموقف لصالح المرابطين عندما شدد أسطول إشبيليه الحصار على سبته ، واضطر العز بن سقوط إلى الفرار عن طريق البحر ولكنه لم يتمكن من ذلك فرجع إلى سبته حيث اختفى فى دار أحد العامه تعرف بدار تنوير [٣] .

وبذلك استطاع المرابطون الاستيلاء على طنجة وسبته وتعتبر معركة سبته من المعارك الفاصلة فى تاريخ المرابطين وأولى معارك الأسطول المرابطى الناشىء وبذلك تم وضع أسس تقاليد بحرية عظيمة نمت وازدهرت مع الأيام .

ولاشك أن احتلال المرابطين لهذه الثغور (سبته وطنجة) كان خطوة هامة فى بناء أسطول مغربى قوى ، إذ أنهم استفادوا من دور صناعتها وما فيها من سفن وآلات ، وذكر ابن أبى زرع أن أول عمل اهتم به يوسف بعد دخوله سبته هو إصلاح مرافئها وحشد السفن لعبور قواته [٤] .

---

(١) مجهول : مفاخر البربر ، ص ٥٦ .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٦٦٢ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٢٢ .

(٣) ابن بسام : المصدر نفسه ، ص ٦٦٢ ، ابن ابى زرع المصدر السابق ، ص ٩٢ – ٩٣ .

(٤) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

ب) الجزيرة الخضراء [1] :-

كان لاستيلاء المرابطين على سبته وطنجـة صـدى واسـع فـى نفـوس أمـراء الأندلس، فتوجسوا خيفة وأحسوا بقوى جديدة بدأت ترقب حركاتهم وسكناتهم وتتهيأ للإطاحة بهم .

وعندما أراد المعتمد بن عباد الاستنجاد بالمرابطين حذره بعض ملوك وأمراء لأندلس من عاقبة ذلك، وقـالوا لـه "الملـك عقيـم والسـيفان لايجتمعـان فـى غمـد واحد"[2].

كذلك عـارض المعتمـد ابنـه الرشيد ، إذ رأى عـدم الاسـتنجاد بـالمرابطين مخافة الإطاحة بملكه وصرفه عما بيده من البلاد [3] .

غير أن هناك عوامـل دفعـت المعتمـد للاسـتنجاد بـالمرابطين أهمـها سـقوط طليطله واستشراء داء النصارى فى شبه الجزيرة ، والحالـة السـيئة التـى وصلـت إليها الأندلس المسلمة [4] .

لذا سارع المعتمد باستدعاء الأمير يوسف سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م إلى الأندلس، وعندما تسلم الأمير يوسف الرسالة استشار كاتبه ووزيره الأندلسى عبد الرحمن بن

---

(١) خريطة ١ .

(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ ؛ ابن الآبار : المصدر السابق ، ص ٣٥١ .

(٣) مجهول : الحلل الموشبه ، ص ٤٤ ؛ ابن الخطيب : الإحاطه ، جـ٣ ، ص ٥٢٣ .

(٤) الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١٢ .

أسبط [١] . فنصحه بأن يتسلم الجزيرة الخضراء ليأمن عبور الجيش المرابطى ولحماية خطوط التموين [٢] .

وأرسل الأمير يوسف إلى المعتمد رسالة "إنه لايمكننا الجواز إلا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء لكى تكون لنا جوازنا إليك على أيدينا متى شئنا" [٣] .

واطلع المعتمد ابنه الرشيد على رسالة الأمير يوسف فقال له ابنه "ياأبت إلا تنظر إلى ماطلب " فقال له المعتمد "يابنى هذا قليل فى حق المسلمين" [٤] .

لذا بادر المعتمد بعبور مضيق جبل طارق إلى العدوة المغربية لمقابلة الأمير يوسف وتقابل العاهلان فى موضع يسمى بليطة على بعد ثلاث مراحل من سبته[٥] وطلب الأمير يوسف من المعتمد تسليمه ثغر الجزيرة الخضراء كى يستطيع التحكم فى مضيق جبل طارق، ويضمن سلامة قواته وخطوط مواصلاته بين العدوتين ذهاباً وإياباً، واستجاب المعتمد لذلك وأمر ابنه الراضى يزيد [٦] بإخلاء الجزيرة الخضراء وتسليمها للمرابطين [٧] .

---

(١) عبد الرحمن بن أسبط . كان أندلسياً من أهل المريه ، خبيراً بشئون الأندلس ، طلب من الأمير يوسف أن يمتلك الجزيرة الخضراء فتجعل فيها ثقاتك وأجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت، توفى فى سبته سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٥م .
مجهول : الحلل ، ص ٤٩ ؛ ابن الخطيب : الإحاطه ، جـ٣ ، ٥٢٣ .

(٢) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٣٢ ؛ ابن الابار : المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٣) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٥٠ – ٥١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥١ .

(٥) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٤ ؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٦) الراضى بن المعتمد : كان والياً على الجزيرة الخضراء ثم على رنده من قبل أبيه المعتمد بن عباد، ودافع عن رنده أمام المرابطين قبل تسليمها بعد أن تعهد له "جرور" القائد المرابطى بالأمان ، إلا أنه قبض عليه بعد ذلك وأعدمه .
المراكشى : المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٧) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٥١ – ٥٢ .

وفى ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ/يونيو١٠٨٦م [١] . عـبرت الجيـوش المرابطيـه من سبته إلى الجزيرة الخضراء ومنها انطلقت شمالاً بغرب الزلاقه شمال بطليـوس حيـث أحرزوا انتصار الزلاقه [٢] .

ويذكـر الأمـير عبـد الله بـن بلكـين[٣] أن المعتمـد تلكـأ فـى تسـليم الجزيـرة الخضراء، وأمسك رسل الأمير يوسف مدة ثم أطلق سـراحهم وأرسـلهم مـع شـيوخ إشبيليه ليطلبوا من الأمير يوسف التريث مدة ثلاثين يومـاً لإخلائـها [٤] فمـا كـان من الأمير يوسف إلا أن هاجم الجزيرة واستولى عليها عنوة بقيادة قائده داوود بن عائشة [٥] .

وبعد أن تسلم الأمير يوسف الجزيرة الخضراء شرع فى تحصين الجزيرة ، ترميم أسوارها وما تصدع من أبراجـها وشـحنها بالأسـلحة وأوكـل بحراسـتها إلى نخبة من رجاله [٦] .

جـ) غرناطة [٧] ومالقة :-

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٨٧ .

(٢) انظر الفصل الثالث من الباب الأول .

(٣) عبد الله بن بلكين : تولى حكم غرناطه بعد وفاة باديس المظفر بالله سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م ، نظـم الشئون الداخلية للبـلاد واشـترك فـى موقعـه الزلاقـه ، وعندمـا دخـل المرابطـون غرناطـة سـنة ٤٨٣هـ/مايو ١٠٩٠م تقرر إقامته فى مدينة أغمات مع أهله وظل بها حتى مات .
عبد الله بن بلكين : المصدر السابق ، ص ١٧١ .

(٤) عبد الله بن بلكين : المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

(٥) داوود بن عائشة : أحد القواد المرابطين ، شارك فى موقعة الزلاقة وفـى الأندلـس للمرابطـين ، وكان قائد جيشهم عند دخولهم بلنسيه .
= ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٣٠٢ – ٣٠٣ .

(٦) مجهول : الحلل ، ص ٥٢ .

(٧) غرناطة : مدينة بالأندلس ، وهـى مدينـة كبـيرة وبـها قصبـه حصينـة وبينـها وبـين وادى آش أربعون ميلاً. (خريطة ٢) .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٥ – ٤٦ .

فى سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م عبر الأمير يوسف وجيوشه البحر إلى الأندلس ، واتجه إلى غرناطة وأميرها عبد الله بن بلكين الذى فاق غيره من أمراء الأندلس بالخيانة والتآمر والاتصال بالنصارى ، كذلك عمد إلى استئناف اتصالاته بالفونسو السادس وبادر بنقل المال والذخيرة استعدادا لمقاومة المرابطين [١] .

لذا قرر الأمير يوسف الاستيلاء على غرناطة وفرض عليها الحصار برا لمدة شهرين فاضطر أميرها عبد الله بن بلكين إلى الاستسلام وطلب الأمان [٢] .

وفى نفس الوقت أرسل الأمير يوسف أسطولا بحريا تألف من سبعة عشر مركبا حربيا مزودا بالميرة والرجال وحاصر هذا الأسطول مالقة ، بينما دخلت الجيوش المرابطيه المدينة وألقت القبض على أميرها تميم بن بلكين[٣]وحمل مكبلا إلى العدوة[٤].

وهكذا ضم الأمير يوسف غرناطة ومالقة فى رجب سنة ٤٨٣ هـ/ مايو ١٠٩٠م.

د) أشبيليه [٥] :-

رأى الأمير يوسف فى مملكة إشبيليه واسطه عقد الأندلس ، وبسقوطها فى يده سيملك البلاد ، خاصة وأن ملكها المعتمد بن عباد يتمتع بسلطة أدبية رفيعة عن بقية ملوك الطوائف [٦] .

---

(١) عبد الله بن بلكين : المصدر السابق ، ص ١٢٠ ؛ مجهول : الحلل ، ص ٧١ .

(٢) علد الله بن بلكين : المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

(٣) تميم بن بلكين : إستقل بحكم مالقة وتلقب بالمستنصر بالله ، كان مستبدا سيئا فى حكمه ، قبض عليه وحمل مكبلا إلى العدوة وأرسل إلى السوس وبقى بها حتى مات .
عبد الله بن بلكين : المصدر السابق ، ص ١٦٢ – ١٦٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧١ .

(٥) خريطة (١-٢)

(٦) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٨٧ – ١٨٨ . .

ومن أهم أسباب ضمه لهذه المملكة أن ملكها المعتمد كان ظالما تجاه شعبه خاصة فى فرض الضرائب الباهظة عليهم [(١)] ، واتصاله سرا بالفونسو السادس واتفاقه معه على مهاجمة القوات المرابطيه المتواجدة فى الأندلس ، وجعلها فريسه له على شرط أن يتركه على عرشه ، وتعهد له كذلك بدفع الأموال وشاركه فى هذا المتوكل بن الأفطس ملك بطليوس .

وفى شهر ربيع الأول سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م نجح قائد المرابطين سير بن أبى بكر[(٢)] فى فتح قرمونة [(٣)] وهى من أمنع قواعد مملكة إشبيليه الشماليه ، وأخذ فى الاستعداد لمنازلة إشبيليه [(٤)] .

ولم يشك المعتمد أن المرابطين سيحاصرون مملكته ، وأنه سيخوض معركة فاصلة معهم ، فتأهب للدفاع عن مملكته بكل ما أوتى من قوة ، وعندما أيقن حرج موقفه استغاث بالفونسو السادس ملك قشتاله الذى بادر بإرسال حملة بقيادة "البارهانس" [(٥)] أكبر قواده لإنقاذ ابن عباد [(١)] .

---

(١) عبد الله بن بلكين : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) سيرين أبى بكر : كان من أعظم زعماء لمتونة وقادتها ، أظهر براعته العسكرية وشجاعته الفائقة فى موقعة الزلاقه ، قاد جيوش المرابطين فى إخضاع دول الطوائف ، توفى سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م.
ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١٨ .

(٣) قرمونة : مدينة بالأندلس ، تقع فى شمال إشبيليه ، وهى على سفح جبل ، وفى السور الغربى للمدينة برج يعرف ببرج الأجم عليه تنصب العرادات عند القتال .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٦١ .

(٤) الناصرى : المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٥) البارهانس : تذكره المصادر القشتاليه باسم "البارهايفيث" وتذكره المصادر العربيه "البارهانس" أو "البرهانش" .

ويذكر ابن أبى زرع "أن هذه الحملة كانت تتألف من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل" [٢] . واعتقد أن هذا العدد مبالغ فيه لأنه ليس من المعقول أن الحملة تألفت من ستين ألف مقاتل وتفشل.

ولكن هذه النجدة لم تجد نفعا إذ سرعان ما أختار القائد "سير" عشرة آلاف فارس من خيرة المرابطين والتقى القشتاليون والمرابطون على مقربة من حصن المدور [٣] ونشبت بينهما معركة عنيفة قتلت فيها جموع كثيرة من الفريقين وانتهت بانتصار المرابطين وارتداد القشتاليين ، وأصيب القائد البارهانس فى هذه الموقعة [٤] وانهار بذلك آخر أمل كان يعلقه ابن عباد على معاونة حلفائه القشتاليين .

غدا موقف المعتمد ضعيفا عقب هزيمته وحلفائه الأسبان ، فشدد المرابطون الحصار على المدينة من الناحية الشرقية ، ومن الناحية الغربية ويفصل بينهما نهر الوادى الكبير حيث رابط الأسطول الإشبيلى للدفاع عن المدينة أمام الأسطول المرابطى [٥].

كان واحدا من كبار الفرسان فى بلاط الفونسو السادس ، ثم عين حاكما على طليطله (١١٠٩-١١١٤م) وفى العام الأخير اغتاله أهل شقوريه .

عبد الله بن بلكين : المصدر السابق ؛ ص ١٢٣ ، ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(١) الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٥٦ .

(٢) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٣) حصن المدور : يقع جنوب غرب قرطبة على ضفة نهر الوادى الكبير .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(٤) ابن ابى زرع : المصدر نفسه ، ص ١٠٠ - ١٠١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص١٩٠.

(٥) الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٥٦ ، على أدهم : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

وصمدت المدينة بقيادة ملكها المعتمد أمام هجمات المرابطين أربعة أشهر حتى استاء القائد سير المرابطى من طول الحصار [١] ، وقال "لو أنى أقصد مدينة الشرك لم تمنع هذا الامتناع" [٢] .

وفى خلال هذا الحصار حاول خصوم بنى عباد إشعال الثورة داخل المدينة لكسر مقاومتها وتسهيلا لوقوعها فى أيدى المرابطين[٣] ولكن المحاولة باءت بالفشل، وألقى المعتمد القبض على المتآمرين [٤] .

وأثناء ذلك استطاع المرابطون التسلل من فتحة السور عند باب الفرج بالقرب من النهر ، واقتحموا المدينة واشتبكوا مع المعتمد ورجاله الذى نجح فى القضاء عليهم[٥].

واعتقد سكان إشبيليه أن الخطر قد زال فتنفسوا الصعداء ، ولكن الأمل لم يطل كثيرا ، اذ تمكن بعض المرابطين من الوصول إلى أسطول اشبيليه الراسى فى الوادى الكبير وأضرموا النار فيه فهلكت معظم سفنه ، وأدرك المدافعون أن خطط الدفاع عن المدينة انهارت ، وسرى بينهم الرعب وبادر الكثيرون إلى الفرار بعضهم عن طريق النهر ، والبعض الآخر بالترامى من شرفات الأسوار أو الالتجاء إلى القنوات والمغائر ، وجرت عمليه نهب واسعة للمدينة [٦] .

---

(١) عبد الله بن بلكين : المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٦٣ .

(٣) المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٤) ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٥) المراكشى : المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .

(٦) ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٠ .

وجاءت الفرصه للقائد "سير" فهاجم المدينة واقتحمها من ناحية الوادى الكبير، وهاجمت الجيوش قصر المعتمد الذى استسلم للمرابطين حيث ألقوا القبض عليه وعلى أهله وذلك فى يوم الأحد ٢٢رجب ٤٨٤هـ/٣سبتمبر ١٠٩١[١].

وهكذا سقطت مملكة بنى عباد وخبا نجمها الذى سطع حينا فى سماء الأندلس على يد المرابطين ، وحمل المعتمد أسيرا إلى الأمير يوسف أمير المسلمين[٢].

وتشاء الأقدار أن المرابطين حينما استولوا على إشبيليه ، وعزلوا المعتمد بن عباد أحرقوا بعض وحدات الأسطول الإشبيلى الراسيه فى الوادى الكبير لأنهم كانوا يخافون المطاردة، كما حملوا المعتمد وأبناءه وبناته فى بعض المراكب إلى منفاهم بمدينة أغمات جنوب المغرب [٣] .

هـ) المرية [٤] :-

بعد ان تم للمرابطين بسط سيطرتهم على دولة بنى عباد فى إشبيليه ، قرر القائد سير بن أبى بكر ضم المريه ، وكان أميرها المعتصم بن صمادح .

---

(١) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ٥٤ ؛ ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٠ ؛ عبد الله بن بلكين : المصدر السابق ، ص ٧٠ .
ذكر المراكشى أن المرابطين دخلوا المدينة يوم الاحد ٢٤ رجب ٤٨٤هـ.
المراكشى : المصدر السابق ، ص ٧٦ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٦٤ .

(٢) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

(٤) خريطة (١-٢)

وقد رحب الأمير المعتصم بن صمادح بالأمير يوسف عند عبوره إلى الجزيرة الخضراء (١) ، ولكن هذه الحالة لم تدم طويلا عندما تغير الأمير يوسف عليه لاتصاله بالنصارى (٢) .

توجه الجيش المرابطى لفتح المريه ، وهناك اختلاف بين المؤرخين بخصوص قائد الجيش المرابطى الذى فتح المريه ، فيرى البعض أنه سير بن ابى بكر(٣) بينما يرى آخرون أنه القائد أبو زكريا يحيى بن واسينو (٤) ، بينما ذهب البعض أنه القائد محمد بن عائشة (٥) .

والمرجح أن الذى حاصر المريه وفتحها هو القائد محمد بن عائشة الذى يبدو وأنه كان أحد قواد الجيش الذى أرسله الأمير يوسف إلى الأندلس بقيادة

---

(١) ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٤٤ .

(٢) مجهول : الحلل الوشيه ، ص ٥٢ .

(٣) أبو الفدا : المختصر ، ص ٢١٠ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٢٢ .
النويرى : المصدر السابق ، جـ ٢٤ ، ص ٢٦٩ .

(٤) مجهول : الحلل الوشيه ، ص ٥٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٩١ .
أبو زكريا يحيى بن واسينو ، من كبار القادة المرابطين ، قتل فى الموقعة التى نشبت بين المرابطين والقشتاليين فى صفر ٥٠٩هـ/٢٧يونيو ١١١٥م .
ابن أبى زرع المصدر السابق ، ص ١٠١ ؛ ابن الكرديبوسى: المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٥) محمد بن عائشة : هو الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين ويعرف بابن عائشة ، كان من كبار قواد المرابطين ، عينه أبوه أمير المسلمين يوسف قائدا على شرق الأندلس بعد العمليات الحربية الضارية التى قام بها القنبيطوز الذى عاث فى شرق الأندلس فسادا، شارك فى الكثير من العمليات الحربية وأبلى بلاء حسنا ، وظل يتولى أمر مريسه إلى أن كف بصره سنة ٥٠٨هـ/١١١٥م عقب غزوة برشلونة .
الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٧ ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

زكريا يحيى بن واسينو ، وكان كل من محمد بن عائشة وأبو زكريا يحيى بن واسينو تحت إمرة القائد العام للجيش المرابطى فى الأندلس سير بن أبى بكر .

حاصر المرابطون المريه من البر والبحر [١] ، وأحكم حصارها ، ولما رأى المعتصم ذلك قال لابنه معز الدوله "تمسك فى هذه القصبه طول مقام بن عباد فى ملكه بإشبيليه ما استطعت ، فإن رأيت ابن عباد قد خرج فلا تتربص ساعة واحدة وانج بنفسك إلى القلعة وادخل البحر بما قدرت عليه من ذخائرك إذ لامطمع لك فى البقاء بعده" [٢] .

وتوفى المعتصم فى ٢٢ربيع الأول ٤٨٤هـ/مايو ١٠٩١م [٣] وخلفه ابنه معز الدوله ، ولم يستمر حكمه إلا بضعة أشهر ، ولما علم بسقوط إشبيليه وأسر أميرها المعتمد فى رجب سنه ٤٨٤هـ/يونيه١٠٩١م بادر بالفرار ، وركب البحر تبعا لوصيه أبيه مع أهله وأمواله فى ثلاث سفن أعدها لذلك ، وأحرق السفن الباقية خشية المطاردة ، واستطاع مغادرة المرية قبل دخول المرابطين فى رمضان سنة ٤٨٤هـ/اكتوبر ١٠٩١م[٤].

وذكر بن الكردبوس وبن الخطيب أن معز الدولة أمر رجاله بنقب السور

---

(١) عبد الله بن بلكين : المصدر السابق ، ص ١٦٧ ، يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٢) عبد الله بن بلكين : المصدر نفسه،ص ١٦٧-١٦٨؛ ابن الأثير:المصدر السابق،جـ١٠ ، ص١٩٢.

(٣) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠١ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٣٧ . ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٤٤ .

(٤) ابن الأبار : المصدر السابق ، ص ٩٠ ؛ ابن بسام : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤١ .

خارج باب موسى إلى دار الصناعة فانتهز الفرصه وفى سكون الليل ركب بمن اختص من أخوته وأهله فى قطعة وحمل المتاع والمال فى قطعتين أخريين وأحرق باقى الأجفان خشية أن يتبعه المرابطون [١] حتى توسطت مراكبه فى البحر فأغدق على رجاله أموالا جمة وأخبرهم بوجهته [٢] فاتجهت المراكب صوب شمال أفريقية ، كما أوصاه والده ووصل إلى قلعة بجاية قاعدة ملك بنى حماد [٣].

و) دانيه [٤] :-

نجح مجاهد العامرى فى الاستيلاء على دانيه فى ٨ ذى الحجة سنة ٤٠٠هـ/٢٤يوليو١٠١٠م [٥] ، واستطاع بعد ذلك أن يستولى على ماحول دانيه فى شرق الأندلس مكونا مملكة فى هذا الأقليم الاستراتيجى المطل على الحوض الغربى للبحر المتوسط والمحاذى لجزر البليار [٦] .

واستطاع مجاهد العامرى إنشاء أسطول بحرى قوى فى دانيه يعتبر أقوى الأساطيل الإسلامية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط .

وخلفه ابنه على الملقب بإقبال الدولة [٧] حيث حكم دانيه (٤٣٦-٤٦٨هـ/

---

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٠٥ ؛ ابن الخطيب : الإحاطه ، جـ٣ ، ص ١٩٢ .

(٢) عبد الله بن بلكين : المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٣) ابن الأبار : نفسه ، ص ٩٠ .

(٤) خريطة (٣)

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٠ .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٢٩ .

(٧) على إقبال الدولة : ولد فى ذى الحجة سنة ٤٠٠هـ/٤يوليو ١٠١٠م ، ووقع فى الأسر وعمره سبع سنين ، وظل فى الأسر ستة عشر عاما حتى تم تخليصه من الأسر سنة ٤٢٣هـ/١٠٣٣م.

١٠٤٥-١٠٧٦م) إلى أن تمكن المقتدر بن هود [(١)] من الاستيلاء عليها سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م [(٢)] .

وعندما وقعت مرسيه فى يد الأمير محمد بن يوسف سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، تابع سيره بأسطول بحرى يتكون من أربعين مركبا حربيا مشجونه بالسلاح والمقاتلة ، واشتبك فى موقعة بحرية مع أسطول دانيه ، واستطاع الاستيلاء على دانيه وضم أسطولها إلى الأسطول المرابطى [(٣)] .

ز) بطليوس [(٤)] :-

كان يحكمها المتوكل بن الأفطس [(٥)] ، وعقب استيلاء الفونسو السادس ملك قشتاله على طليطله فى محرم سنة ٤٨٧هـ/١٠٨٥م ، كان لهذا الحدث صدى كبير فى مملكة بطليوس [(٦)] لاشتداد حركة الاسترداد المسيحى ، واستنجاد

= تولى عرش دانيه سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٥م عقب وفاة والده ، وعرف عنه الذكاء والبراعة ، وشهدت دانيه والبليار فى عهده نهضة أدبيه وعلميه .
ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص٣٥٤-٣٥٥ .

(١) المقتدر بن هود : هو أحمد بن سليمان بن هود الملقب بالمقتدر بن هود ، حاكم سرقسطه ، استطاع أن يحتال على أخوته وضم وسقه وتطليه وقلعه أيوب إلى مملكة ، ثم استولى على طرطوشه ودانيه سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م ، توفى سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م .
الضبى : المصدر السابق ، ص ١٦٣ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٥٨ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٥٨ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٥٤ .

(٣) العذرى : المصدر السابق ، ص ١٦ ، ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٤) خريطة رقم (٢) .

(٥) المتوكل بن الأفطس : من أشهر ملوك الطوائف ، اشتهر بعلمه وبراعته فى الأدب والشعر ، وحظيت بطليوس فى عهده بالهدوء والرخاء .
ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٥٣٦ .

(٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٨٠ .

المتوكل بالمرابطين لصد عدوان النصارى [1] .

وعندما بدأ المرابطون فتح أراضى مملكة بطليوس شعر المتوكل بتغير المرابطين نحوه مما دفعه للاتصال بالفونسو السادس ، وتنازل له عن ثلاث مدن مهمة هى أشبونه ، شنترين ، وشنتمرية [2] .

وعندما علم الأمير يوسف بذلك أصدر أوامره إلى قائده سير بن أبى بكر لإخضاع المملكة له ، وكان لابد من اقتحام المدينة ، وحاصرها نهرا وبرا ، ولما رأى المتوكل ذلك طلب الأمان وسلمت المدينة بسهولة للمرابطين فى صفر ٤٨٧هـ/مارس ١٠٩٤[3] .

وتابع سير تقدمة نحو ثغر أشبونة الذى تم تسليمه للنصارى ، وحاصره بحرا وبرا ، وكان بالثغر حاميه نصرانيه بقيادة ريمون البرجونى صهر الفونسو ، واستطاع سير بعد معركة عنيفة استرداد الثغر وإعادته إلى السيادة الإسلامية وذلك فى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م [4] .

ج) بلنسيه [5] :-

بعد حملة الأمير يوسف على حصن لييط سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م احتدم الخلاف بين الفونسو والقنبيطوز لتخلفه عن مساعدة الفونسو وإرتداده إلى قشتاله، لذا قرر الانتقام من القنبيطوز والاستيلاء على مدينة بلنسيه الواقعة تحت نفوذه ، ولتحقيق هذه الغاية استعان الفونسو السادس بأساطيل أوربيه من جنوه وبيزه

---

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(٢) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٤٢ ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ،ص ١٩٣ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق،جـ٧،ص ١٢٣.

(٤) المراكشى : المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

(٥) خريطه (٢)

لمهاجمة بلنسيه بحرا ، فاعتبر القنبيطوز هذا العمل إهانه وتحديا لنفوذه فهاجم أراضى قشتاله ملحقا بها الدمار [١] .

سار الفونسو بقواته صوب بلنسيه وعسكر فى منطقة "جبالة" وطالب حكام الحصون المجاورة بالأموال التى كانوا يدفعونها للقنبيطوز ، وبعث إلى القادر ذى النون [٢] بالامتناع عن إرسال الأموال إلى القنبيطوز ، ولما علم القنبيطوز وهو فى ظاهر سرقسطه بأمر الفونسو اعتزم محاربته ، ولكن الفونسو تحرج موقفه لعدم مجيء السفن الإيطاليه فى موعدها المحدد من جهة ، وقلة المؤن من جهة أخرى، فأمر جيشه بالانسحاب والعوده إلى بلاده،وبعد ذلك تصالح الفونسو السادس والقنبيطوز وذلك فى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م [٣] . واقره على جميع ما استولى عليه فى غزواته من شرق الأندلس [٤] .

ضاق أهل بلنسيه ذرعا من عبث الأسبان فى أراضيهم ، فاتصلوا بالمرابطين بعد دخولهم دانيه سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م وأعلنوا دخولهم فى طاعتهم [٥] .

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٦٢ ؛ د. حسين مؤنس : السيد القنبيطوز ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد الأول ، مايو ١٩٥٦ ، ص ٥٦ .

(٢) القادر ذى النون : كان حاكما ضعيفا متخاذلا ، تولى حكم طليطله وكان صغير السن قليل الخبرة والتجارب (٤٦٧-٤٧٨هـ/١٠٧٥-١٠٨٥م) تنازل عن عدة حصون من مملكته لالفونسو ، غادر طليطله بعد سقوطها فى يد الأسبان قاصدا بلنسيه وظل بها إلى أن قتله القاضى أبو أحمد جعفر المعافرى .
ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٨١ ؛ ابن بسام : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٩٩ ؛ ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة د. عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ١٨٥ - ١٨٩ .

(٤) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٩٤ .

(٥) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

بعث القائد المرابطى محمد بن عائشة أسطولا بحريا أحكم الحصار على بلنسيه بحرا وبرا ، واستطاع القائد المرابطى السيطرة على معظم الحصون ، ولم تستطع القوات الأسبانية الصمود لشدة الحصار البرى والبحرى [١] ، فدخل المرابطون المدينة دون مقاومة واستطاع القاضى ابن حجاف [٢] قتل ابن ذى النون وتولى حكم بلنسيه فى رمضان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م [٣] .

فاوض القنبيطوز حاكم المدينة ابن حجاف وحالفه على صرف المرابطين عن بلنسيه [٤] وأوهمه أنه قد يجد فى محالفته ومحالفه ابن هود ما يعوضه عن محالفة المرابطين [٥] .

نفذ القاضى ابن حجاف هذا الأمر ، وصرف الجيوش المرابطيه عن المدينة ، ولما تم هذا سار القنبيطوز بقواته صوب بلنسيه وحاصرها برا وبحرا لمدة عشرين شهرا من آخر رمضان سنة ٤٨٥هـ إلى غرة جمادى الأولى سنة ٤٨٧هـ/يوليو ١٠٩٢م إلى ٥ فبراير ١٩٤٠م [٦] ، ولقى أهلها الذل والهوان بسبب هذا الحصار [٧] ، وتمكن من الاستيلاء على بلنسيه والقبض على ابن حجاف

---

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٣٠ .

(٢) القاضى أبو جعفر ابن حجاف المعافرى : تولى حكم بلنسيه بعد أن قتل القادر ذى النون فى رمضان ٤٨٥هـ/٢٨أكتوبر ١٠٩٢ م ، وقام بتحصين المدينة ، وقاوم الحصار الذى فرضه القنبيطوز على المدينة حوالى عشرين شهرا إلى أن سلمت المدينة وقبض عليه وعلى أهله وعذب عذابا شديدا ، ثم أمر القنبيطوز بإعدامه حرقا .
الضبى : المصدر السابق ، ص ٢٥٧ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(٤) ابن بسام : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢٩ – ٣٠ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص ٣٠ .

(٦) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .

وإعدامه حرقا .

إزاء هذا الخطر إستنجد أهل بلنسيه بالمرابطين ، ولقى هذا الأمر اهتماما كبيرا من أمير المسلمين الأمير يوسف الذى أصدر أوامره إلى قواده وعماله على بلاد الأندلس بنصرة ومساعدة أهل بلنسيه [١] .

وفى شعبان سنة ٤٨٧هـ/مايو١٠٩٤م سار الأسطول المرابطى مزودا بالعتاد والرجال،وحاصر المرابطون المدينة برا وبحرًا ، وارتاع الأسبان لقدوم القوات المرابطيه، وهموا بالفرار وإخلاء المدينة إلا أن القنبيطوز صمد وثبت عزائم جنده[٢] فكرر المرابطون هجماتهم على المدينة وفرضوا عليها الحصار ، إلا أن القنبيطوز فاجأهم ليلا وأوقع فى القوات المرابطيه الذعر واستولى على مغانم كثيرة من السلاح والمؤن والخيل وقتل أعدادا كثيرة من المسلمين ؛ ثم رجع مسرعا وتحصن داخل المدينة [٣] .

وفى سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م [٤] أعد الأمير يوسف حملة بحرية أخرى ، وجيشا كبيرا من المرابطين وأهل الأندلس واشترك معهم بعض فرسان عرب بنى هلال [٥] بقيادة محمد بن الحاج [٦] واشتبكوا مع القوات الاسبانيه وأوقعوا بهم

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٤٨ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٥٤ .

(٢) ابن عذارى : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ٣٦ .

(٤) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٠٧ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٨٧ .

(٥) عرب بنى هلال : من القبائل العربيه القوية الشكيمة التى استقرت فى مصر ، وقد أكرههم الخليفة الفاطمى العزيز على الخروج من الدلتا إلى الصعيد ، وهناك اتصلوا بالقرامطة وأصبحوا خطرا على الفاطميين ، فوجههم العزيز مرة أخرى إلى القيروان سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م فاجتاحوا الأراضى السهليه وعاثوا فيها فسادا وقضوا على الحركة الثقافية فيها ، وبذلك مهدوا السبيل لانتصار المرابطين ، وكان العزيز يهدف من إرسالهم إلى القيروان الاقتصاص من المعز بن باديس الذى حارب التشيع فى بلاده وخلع طاعه الفاطميين .
المراكشى : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٦) محمد بن الحاج : من أبرز القواد المرابطين ، كان عاملا على سرقسطه فى أثناء الحملة التى قام بها أمير برشلونه فى ربيع الأول سنة ٥٠٨هـ/سبتمبر ١١١٤م واستشهد فى هذه المعركة .

خسارة بالغة [١] وقتل أحد ابناء القنبيطوز "ديخو" [٢] فسر الأمير يوسف بهذا النصر.

كما أرسل الأمير يوسف حملة بحرية وبرية أخرى بقيادة القائد محمد بن عائشة حاكم مرسيه فى سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م وأوقع بالقوات القشتاليه بقيادة البرهانس الهزيمة ، وقتل البارهانس فى هذه المعركة [٣] .

ثم سار القائد محمد بن عائشة إلى ناحية جزيرة شقر ، وهناك التقى بالجيش الأسبانى وأوقع به خسارة بالغة ، ولم يفلت منهم إلا القليل ، فكان لهذا الأمر وقع كبير على نفس القنبيطوز الذى مات هما وكمدا [٤] فى سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م [٥] .

وفى سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م أرسل الأمير يوسف حملة برية ضخمة ، كما أصدر أوامره إلى قائده الأمير مزدلى [٦] بسرعة تجهيز أسطول حربى يسير إلى بلنسيه ، وما أن انتهى العمال من صناغة قطع هذا الأسطول حتى صدر الأمر إلى البحريين والمقاتلة بالتأهب للإقلاع فى عشرين مركبا حربيا ، وحاصر المرابطون المدينة بحرا وبرا ، ودارت موقعة عنيفة انسحبت فيها الجيوش الأسبانية من

= ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٢) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٠٨ ؛ د. حسين مؤنس : السيد القنبيطوز ، ص ٧٧ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٠٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .

(٥) ابن ابى زرع : المصدر نفسه ، ص ١١٩ ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٦) الأمير مزدلى : هو مزدلى بن تيولتكان بن الحسن بن محمد بن ترجوت من أركان الدولة اللمتونيه والعصبه الصنهاجيه ، من أعظم أعماله استرجاع مدينة بلنسيه سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م ، تولى إمارة بلنسيه ثم إمارة قرطبة مرة أخرى فى عهد على بن يوسف .

محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص ٧٢ – ٧٣ .

المدينة ، ودخل الأمير مزدلى بلنسيه فى رمضان سنة ٤٩٥هـ/يونيه١١٠٢م [(١)] .

ط) جزر البليار [(٢)] :-

كان المرابطون يعتبرون جزر البليار الخط الدفاعى عن شرق الأندلس ، وسدا منيعا فى وجه الأساطيل الصليبيه فى عهد أميرها مبشر بن سليمان ناصر الدولة (٤٨٦-٥٠٩هـ/١٠٩٣-١١١٥م) الذى اتصف بالشجاعة والبسالة فى الدفاع عن هذه الجزر ، وحال دون إقدام جمهوريات إيطاليه بحرية على الاقتراب من ثغور الأندلس الشرقية [(٣)] .

وكانت الجزر الشرقية بموقعها فى البحر المتوسط تجاه الجانب الشرقى من الأندلس شوكه حلق الجمهوريات الإيطالية وإمارة برشلونة ، لأن المسلمين بهذه الجزر كانوا كثيرا ما يغيرون على شواطىء ايطاليا وعلى شواطىء إمارة برشلونة ، ولذلك حاولت الجمهوريات الايطاليه وبرشلونة أكثر من مرة احتلال هذه الجزر ولكن دون جدوى [(٤)] ، ولذلك لم يتعرض الأمير يوسف لهذه الجزر لأنه وجدها تقوم بمدافعة النصارى ومجاهدتهم ، ومن ثم فضل هو ثم ابنه الأمير على من بعده على أن تبقى هذه الجزر حاجزا بينه وبين النصارى لقدرتهم على مداهمة النصارى .

وعندما نزلت القوات الصليبيه (الحملة المؤتلفة الكبرى) بساحل قطلونيه

---

(١) المراكش : المصدر السابق ، ص ٤٢ ، ابن أبى زرع ، ص ١١٩.

(٢) خريطة (١-٢) .

(٣) ابن بسام : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٨ ؛ د. محمود مكى : وثائق مرابطيه ، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥٠١ ؛ عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

فى أواخر ربيع الأول ٥٠٨هـ/سبتمبر ١١١٤م واستطاعت الاستيلاء على جزيرة يابسه ، توجهوا بعد ذلك بقواتهم الضاربة فى خمسمائه سفينة إلى جزيرة ميورقة وحاصروها[١]، ودافع مبشر بن سليمان عنها ببسالة منقطعة النظير ، وعندما شعر بأن النصارى مصممين على اقتحام الجزيرة قرر الاستنجاد بالمرابطين لتخليصه من كارثه الوقوع فى قبضة الأعداء ، فبعث مستصرخا بهم ويحثهم على القدوم إليه فى أسرع وقت [٢] وحمل رسالته إلى أمير المسلمين على بن يوسف أمير البحر "أبو عبد الله بن ميمون"[٣].

وفى أثناء فترة الحصار توفى الأمير مبشر بن سليمان ، وحمل الراية من بعده "أبو الربيع سليمان بن لبون" [٤] الذى واصل المقاومة والدفاع عن الجزيرة المحاصرة[٥].

وفى أواخر ذى القعدة سنة ٥٠٩هـ/١٥ أبريل ١١١٦م وصل الأسطول المرابطى إلى ميورقة بقيادة أمير البحر ابن تافرطاش [٦] لإنقاذها من براثن الغزاة بعد حوالى أربعة أشهر من كتاب الاستغاثة الذى أرسله أمير البليار مبشر بن سليمان إلى أمير المسلمين على بن يوسف .

---

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .
عن حصار ميورقه : انظر الفصل الثالث من الباب الأول .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥٠٥ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٢٢ – ١٢٣ :

(٤) أبو الربيع سليمان بن لبون : تولى حكم البليار سنة ٥٠٩هـ/١٠-١١١٦م ودافع عن المدينة حتى سقط أسيرا فى أيدى الصليبيين .
ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٥) د. محمود مكى : وثائق مرابطيه ، ص ١٦٠ .

(٦) ابن القطان : المصدر السابق ، ص ٢٠ .

الفصل الثالث

"جهاد البحرية المرابطية ضد الممالك النصرانية فى الأندلس"

يتناول هذا الفصل دور البحرية المرابطية فى الجهاد ضد الممالك النصرانية فى الأندلس ، وخاصة ضد ممالك قشتاله ، ليون ، برشلونة ، البرتغال وأرغون .

ولما كان الأسطول المرابطى ناشئاً فى أول أمره ، فقد اقتصر دوره على نقل الجنود والمعدات والإمدادات بين العدوتين ، بالإضافة إلى حماية المواصلات وحراسة المضايق .

وعندما قوى هذا الأسطول أصبح يشارك فى المعارك البحرية ضد الممالك المسيحية .

ويجدر بنا أن نشير إلى نقطة هامة فى الصراع الحربى بين المرابطين ونصارى الأندلس، وهى أن الصراع اتخذ صفة الجهاد المقدس من قبل المسلمين، وما يعرف بحركة الاسترداد من قبل النصارى .

وفى الوقت الذى كانت تعانى فيه الأندلس ويلات التفكك والتخبط فى حمامات دماء الحروب الأهلية بين ملوك الطوائف ، كانت الممالك النصرانيه فى الشمال الأسبانى وأوربا تُعد نفسها للقيام بعمليات منظمة ضد المسلمين فى الشرق الأندلسى .

ووضع باباوات أوربا خططهم لاحتواء الصراع بين الممالك النصرانية فى شمال الأندلس والمسلمين على أساس صبغ تلك الحروب بالصبغة الدينية (الصليبية) بدلاً من الصبغة القومية ، واستغلوا مكانتهم المقدسة لإلهاب حماس النصارى الأسبان الأوربيين ضد المسلمين فى الأندلس .

وقد ساهم البابا ايربان الثانى (٤٨٨ – ٤٩٣هـ/١٠٩٥-١٠٩٩م) فى هذا المجال ، فأصدر فتواه للحجاج الأوربيين العازمين على التوجه لأداء فريضة

الحج إلى بيت المقدس بأن من الخير لهم أن ينفقوا أموالهم في عمارة المدن الأسبانية التى خَّربها المسلمون [١] .

وبادر "البابا اسكندر الثانى" (٤٤٩-٤٥٨هـ/١٠٥٧-١٠٦٦م) إلى إصدار صك غفران لكل من يقاتل من أجل الصليب فى أسبانيا ، وقام بتجنيد الجيوش لمواصلة قتال المسلمين فى الأندلس ، وأخذت جموع المتطوعة من الأوربيين وخاصة الفرنسيين تتدفق على الممالك النصرانية الشمالية [٢] .

كذلك أصدر "البابا جريجورى السابع " (٤٦٦-٤٧٨هـ/١٠٧٣-١٠٨٥م) نداء إلى أوربا يذكر فيه أن أسبانيا تنتمى إلى المقر المقدس ، وأن المسيحيين سوف ينتمون بما يفتحونه من الأرض الإسلامية وأيد وشجع كل حملة تتوجه من أوربا إلى أسبانيا[٣] .

وبدأت حرب الاسترداد فى عهد "الملك فرناندو" [٤] تتخذ الصفة الدولية ، وبدأ المسيحيون فى كافة جهات أوربا ينظرون إليها على أنها حركة جهاد مقدس، واتبع سياسة الإرهاب لإرغام المسلمين على دفع الجزية ، بل اشتط فى طلبها وشجعه على ذلك ضعف وتنافر وتخاذل ملوك الطوائف ، وجنى من وراء

---

(١) ستيفن ريستمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العرينى ، بيروت ، جـ١ ، ١٩٦٧، ص ١٣٦ .

(٢) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ١٣٨ .

(٣) المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص ٨٤ .

(٤) فرناندو (٤٢٧-٤٥٨هـ/١٠٣٥-١٠٦٦م) من أعظم ملوك أسبانيا النصرانية ، وفى عهده أحرزت أسبانيا النصرانية تفوقها الواضح على أسبانيا المسلمية ، واتسعت رقعة مملكة قشتاله اتساعاً عظيماً فى عهده.

محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٨٧ .

ذلك أموالاً طائلة ، ودفع الجزية له صاحب طليطلة وإشبيليه وبطليوس وسرقسطة[١] .

وعندما أحس فرناندو بضعف الأمراء المسلمين اتجه إلى التوسع والاستيلاء على المدن الإسلامية ، فاستولى على قلمريه وهاجم سرقسطة ، واتجه إلى الجنوب فحاصر طليطلة وبلنسيه .

وعلى هذا فإن حركة الاسترداد بلغت ذروتها فى عهد "فرناندو" ، وبدا للناس أجمع أن أيام المسلمين فى شبه الجزيرة معدودات ، ويشير ابن عذارى إلى ذلك قائلاً "ولم يزل ثغر الأندلس يضعف والعدو يقوى والفتنة بين أمراء الأندلس تُسعَّر إلى أن كلب العدو على جميعهم ومَلَّ من أخذ الجزية ولم يقنع إلا بأخذ البلاد" [٢] .

ولولا وفاة فرناندو سنة ٤٥٨هـ/٢٧ديسمبر ١٠٦٥م ، وتفرق ملكه عقب وفاته لزالت دولة المسلمين بالأندلس .

ولم تستفد الإمارات الإسلامية من وفاة "فرناندو" والفرقة التى أصابت النصارى، بل ظلوا متفرقين متناحرين يحاربون بعضهم ، حتى بدأ النصارى ، يستردون أنفسهم وقوتهم فى الفونسو السادس (٤٦٥-٥٠٣هـ/١٠٧٢-١١٠٩م) الذى عمل جاهداً على توحيد كلمة النصارى ، والتعاون فى سبيل الخلاص من المسلمين والتقرب إلى الكنيسة الرومانية ليستعيد عطف الأوربيين .

وبدأ الفونسو السادس أعماله الحربية بمدينة طليطلة ، فحاصرها سبع

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ٢٣٨ .

(٢) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق ٣ ، ص ٢٣٨ .

سنوات حتى سقطت في يده في مستهل صفر ٤٧٨هـ/٢٥مايو ١٠٨٥م [١] .

واحدث سقوط طليطله في يد النصارى دوياً هائلاً في العالم الإسلامى ، وبات المسلمون في حالة من الضياع التام لايعرفون كيف يتصرفون ، وبدأوا بمغادرة المناطق المجاورة لألفونسو .

كذلك أقفرت مملكة طليطلة من السكان الذين هجروها جماعات إلى بطليوس هرباً من الاضطهاد وحفاظاً على دينهم ، وشعر الفونسو بأن أضحى قادراً على تحدى دول الطوائف جميعاً والقضاء عليها ، فغير خطته السابقة من أخذ الأموال إلى محاولة الاستيلاء على الحصون والمدن ، ورأى أن زمام الأندلس قد صار في يده ، فشن الغارات على جميع البلاد ، ونجح في الاستيلاء على المدن والقرى فيما بين وادى الحجارة [٢] إلى طليبرة [٣] وفحص اللجج [٤] وشنتمريه .

ولاح لألفونسو أن نهاية دول الطوائف قد دنت ، وبدأ بالضغط على الدول

---

(١) كان الفونسو قد لجأ إلى طليطلة هرباً من أخيه شانجة سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م ، ودخل في خدمة صاحبها ابن ذى النون ، وأثناء إقامته فيها درس طبيعتها واطلع على منافذها ، وبعد أن خرج منها جهز جيشاً وسار إليها وحاصرها حتى سقطت في يده .

الضبى : المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٢) وادى الحجارة : هى مدينة بالأندلس ، تُعرف بمدينة الفرج ، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً، ولها أسوار حصينة . (خريطة ٣) .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦٠٦ .

(٣) طليبرة : تقع في جنوب غرب الأندلس وإلى الجنوب الشرقى لمدينة شلب ، وهى أقصى ثغور المسلمين، وهى مدينة كبيرة وقلعتها حصينة وبينها وبين طليطلة سبعون ميلاً . (خريطة ٤) .

ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ ، ص ٣١٨ ، ج ١ .

(٤) فحص اللجج : تقع على مقربة من مدينة جنجالة بالأندلس .

ابن الأبار : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

المجاورة له (مملكتى بطليوس وإشبيليه) وأرسل إلى المتوكل الأفطس صاحب بطليوس يطلب إليه تسليم بعض الحصون والقلاع المتاخمة لحدوده ، وتأدية الجزية ويتوعده بشر العواقب إذا رفض [١] ، فرفض المتوكل تهديده السافر [٢] .

ثم وجه اهتمامه إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيليه وقرطبة فهو أقوى ملوك الطوائف وأرسل إليه بعثه من خمسمائه فارس برئاسة اليهودى ابن شالب لأخذ الجزية [٣]، وتجرأ السفير وأغلظ فى القول للمعتمد ، فأمر المعتمد بقتل جميع أفراد البعثة وصلب اليهودى [٤] .

أثار ذلك حفيظة الفونسو ، وصمم على غزو إشبيليه ،فأدرك المعتمد خطورة ذلك فلجأ إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين [٥] .

---

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٢) مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٢١ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ١٤٢ ؛ الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١٢.

(٤) مجهول : الحلل الموشية ، ص ٢١ .

(٥) مجهول : الحلل الموشية ، ص ٢٢ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

موقعة الزلاقة [1] ٤٧٨هـ/١٠٨٥م :

أحدث سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م فى أيدى القشتاليين دويا هائلا فى المغرب والأندلس على السواء ، وقرعت نواقيس الخطر تنذر ملوك الإسلام فى الأندلس بسوء المصير ، فأحسوا بضعفهم وتنبهوا بعد فوات الأوان إلى نهايتهم الوشيكة ، وأن سقوط طليطلة كان نذيرا بالنهاية المحتومة لدولة الإسلام فى الأندلس .

واستفحل خطر الفونسو السادس على دويلات الطوائف ، وعزم على فتح مدن الأندلس كلها ، وعمد إلى إذلالهم بفرض الإتاوات والجزية عليهم ، وبدأ بالمعتمد بن عباد كبير ملوك الطوائف ، فكتب إليه يطلب منه تسليم بعض حصونه وأعماله إلى رسله وعماله [2] .

ولما رأى ابن عباد الأخطار التى تهدد ملكه ، بادر بالاستنجاد بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فحذره ملوك الطوائف من ذلك وقالوا له "الملك عقيم والسيفان لايجتمعان فى غمد واحد" [3] .

وشاور المعتمد ابنه وولى عهده الرشيد ، فقال له ابنه " ياأبت تدخل علينا فى أندلسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا فقال له المعتمد "أى بنى والله لايسمع عنى أبدا أنى أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى فتقوم على اللعنه فى

---

(١) فحص الزلاقة : شمال بطليوس وجنوب فورية ، أى بين ضفتى وادى آنه ووادى تاجه (خريطة٤) .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ ؛ ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٩٣٩ .

(٢) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٢٢ .

(٣) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

منابر الإسلام مثل ما قامت على غير ى" [١] .

وفى جمادى الأول ٤٧٨هـ/١٠٨٥م كتب المعتمد لأمير المسلمين يوسف يستصرخه على الفونسو ويدعوه إلى الجواز إلى الأندلس .

سارع الأمير يوسف لنجدة ابن عباد ، فخرج من مراكش ، وعبر البحر إلى الجزيرة الخضراء بجنوده ، ثم اتجه إلى إشبيليه [٢] وخلال إقامته القصيرة بها بعث إلى ملوك الأندلس يستنفرهم للجهاد [٣] .

وقد ساهم الأسطول الأندلسى فى هذه المعركة فى نقل الجنود والمعدات والإمدادات إلى الأندلس لأن الأسطول المرابطى كان ناشئاً [٤] .

وقد أبرزت هذه المعركة النتائج العسكرية الآتية:

-محت قوات المرابطين بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين العار الذى لحق بملوك الأندلس من مذلة الفونسو السادس لهم.

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٤٥ ؛ مجهول : المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ٦ ؛ ص ٩٥ ، الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١٤؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٣) الأمير عبد الله : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٤) للاستزادة عن معركة الزلاقه ونتائجها راجع

ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٩٣ ؛ ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص ١٨٦ ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ١٥٣-١٥٤ ؛ المراكشى : المصدر السابق، ص ١٣٣ ؛ ابن خلكان: المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٩ - ٣٠ ؛ مجهول : الحلل الموشيه، ص ٣٥:٤١؛ الحميرى: المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، جـ١٠ ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ، المراكشى ص ١٨٦ ، ابن الأثير: المصدر السابق ، ص ١٣٣ ، ابن خلفان : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٩ - ٣٠ ، مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٣٥:٤١ الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

- تم تحرير سرقسطة وحماها من الوقوع فى أيدى القشتالين الذين كانوا يحاصرونها عندما نزلت قوات المرابطين الأندلس .
- أحدث تغييراً مفاجئاً فى مجرى حركة الاسترداد التى خططها الفونسو الثالث.
- رفع من شأن المرابطين أمام العالم الإسلامى وصورهم فى صورة المجاهدين عن الإسلام والمدافعين عن أرضه.
- أسقط من قدر ملوك الطوائف فى نظر رعيتهم ومهد السبيل الى اسقاط دويلات الطوائف وضم الأندلس إلى دولة المرابطين فى المغرب.

أولاً : جهاد المرابطين ضد مملكتي قشتاله وليون [١] :-

أ- موقعة إقليش [٢] ٥٠١هـ/١١٠٨م :

اتخذ الفونسو السادس من مدينة طليطلة بعد استيلائه عليها سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م قاعدة لمهاجمة المدن والحصون الإسلامية المجاورة [٣] .

بناء على أوامر أمير المسلمين على بن يوسف ، أعد تميم بن يوسف العدة للغزو ، وجهز جيشاً مكتمل العدد والعدة ، وخرج من غرناطة في ٢٠رمضان ٥٠١هـ/١٠مايو ١١٠٨م متوجهاً لغزو أراضي قشتاله .

توجه الأمير تميم إلى جيان ثم إلى بياسة وتابع سيره شمالاً صوب أراضي قشتاله ، وفى الطريق واتته قوات مرسيه بقيادة القائد ابن عائشة وقوات بلنسيه

---

(١) مملكة قشتالة : من أكبر الممالك النصرانية ، ومن أشهر ملوكها سانشو غرسيه الذى حكم حتى سنة ٤١١هـ/١٠٢١م وسانشو الكبير الذى حكم حتى سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م .

- أما مملكة ليون : وكان يحكمها برمود الثانى منذ سنة ٣٧٢هـ/٩٧٢م واستمر يحكمها حتى سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م ، وخلفه فى الحكم ولده الفونسو طفلاً وتولى الوصاية عليه الكونت منتديث كونثالث أحد أشراف المملكه ، ومن أشهر حكامها الفونسو الخامس (٨٣٢-٨٦٥هـ/٢٨-١٤٦٠م) الذى غزا أراضى المسلمين المجاورة فى شمال البرتغال .

محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ .

(٢) إقليش : مدينة لها حصن فى ثغر الأندلس ، تقع شمال جبال طليطلة وجنوب غرب وبذه ، أنشأها الفتح بن موسى بن ذى النون سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م واختارها معقلاً ومستقراً ، ولما سقطت طليطلة من أيدى القشتاليين سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م كانت إقليش ضمن القواعد والحصون العديدة التى استولوا عليها (خريطة٥) .

الحميرى : المصدر السابق ، ٥١ - ٥٢ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

بقيادة واليها محمد بن فاطمة [(١)] .

وفى ١٤ شوال ٥٠١هـ/١٦مايو ١١٠٨م وصلت هذه القوات إلى إقليش ، وكان أسطول المرابطين يرابط على نهر البريخة ، وأقام حولها منازل لجنده [(٢)] ، وحاصر المدينة حصاراً شديداً ، ولجأ بعض المدافعين عنها إلى قصبة المدينة وتحصنوا فيها [(٣)].

وعندما وصلت هذه الأحداث إلى مسامع الفونسو السادس ، أعد القوات الأسبانية لمقاومة المرابطين وأطلق جماعات من رجاله ليقوموا بأعمال النهب والسلب والقتل فى معسكر المسلمين [(٤)] .

ولكن المسلمين استمروا فى حصار المدينة براً ، وأسهم فى هذا الحصار الأسطول المرابطى على نهر البريخة الذى كان يتألف من اثنتى عشرة سفينة حربيه[(٥)] وشرع الأمير تميم فى بناء الأبراج لاقتحام المدينة ، واستمر الحصار أكثر من أربعة أشهر[(٦)].

وأشارت بعض المصادر أن الفونسو السادس قاد هذه القوات بنفسه وعاد مهزوماً إلى بلاده ومات غماً وحزناً على مقتل وُلده الوحيد شانجه [(٧)] .

---

(١) مرانده : وقعة إقليش ومصرع الأمير صون شانجه ، مجلة تطوان ، العدد الثانى ، ١٩٥٦ ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٢) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١١٤ ، الحلل : ص ٩٣.

(٣) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(٤) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٥) ابن ابى زرع : المصدر نفسه ، ص ١٥٤ .

(٦) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١١٤-١١٥ .

(٧) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٩ ؛ ميرانده : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

والحقيقة أن الفونسو السادس لم يشترك فى هذه المعركة لكبر سنه ومرضه، بل عهد بقيادة الحملة إلى ولده الوحيد شانجه ، وسير معه كبار قواده مثل "الكونت البرهانس ، "وغرسيه أوردوينث" "ورامون دى بورجونيا" وقادة منطقة طليطلة (قلعة النسر ، قلعة النهر وقلعة عبد السلام وكونت دى قبره) .

وتشير بعض المصادر أن الفونسو السادس حينما علم بأن تميم بن يوسف هو قائد القوات الإسلامية أشارت عليه زوجة أن يوجه ولده عوضا عنه فيكون مواجها لتميم ، لأن تميم ابن ملك المسلمين ، وشانجه ابن ملك الروم ، فاستجاب لنصحها ولم يشترك فى المعركة [1] .

سارت القوات الأسبانية صوب إقليش ، وكانت تفوق الجيوش المرابطيه عددا[2] .

وفى فجر يوم الجمعة ٦ شوال ٥٠١هـ/٢٠مايو١١٠٨م بدت طلائع المعركة[3] حيث تقدمت الجيوش المرابطية وبدأت الهجوم ، ووقعت الصدمة الأولى على قوات قرطبة التى كانت على رأس الجيش الإسلامى فتخلخلت صفوفها وارتدت إلى الوراء ، وعندئذ تقدمت قوات مرسية وبلنسية وتوغل الأمير تميم بقواته إلى قلب المعركة ودارت الحرب بشدة [4] .

---

(١) ابن أبى زرع : المصدر نفسه ، ص ١٠٤ ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٥٠ .

(٣) ذكر ابن عذارى أن الموقعة كانت صباح يوم الجمعة ١٧ شوال سنة ٥٠١هـ/٦يونيه ١١٠٨م .
ابن عذارى : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ٥٠ ، مرانده : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٤) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٤ ؛ عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص ٥٣٧ .

ومن الجانب الأسبانى رمى الأمير شانجة بنفسه فى قلب المعركة ، فأحاطت به فرقة من المسلمين فطعن الأمير الأسبانى وسقط ميتاً [١] .

وفى رواية أخرى أن الأمير الأسبانى أفلت من قلب المعركة ومعه ثمانية من الأسبان ولجأوا إلى حصن "بلنشون" فأختبأوا فيه لعله ينجو هو وأتباعه من القتل ، فلحق بهم المسلمون وقتلوهم [٢] .

انهارت معنويات الجيش الأسبانى وكثر قتلاهم ولجأ الكثير منهم إلى الفرار ، وسقط معظم القادة والكونتات قتلى ، وارتد "البرهانس" فى فلول الأسبان صوب طليطلة [٣] .

وانتصر المسلمون انتصاراً ساحقاً ، وأعادت موقعة إقليش بروعة انتصاراتها ذكريات معركة الزلاقة [٤] وجمعت رؤوس القتلى فكانت ثلاثة آلاف قتيل وأذّن من فوقها [٥] . واعتقد أن هذا العدد مبالغ فيه خاصة أنه جمعت رؤوس القتلى وأذن من فوقها وهذا يتعارض مع سماحة الإسلام.

وتعرف هذه الموقعة بموقعة القوامس السبعة ، لأن من بين القتلى سبعة قواس من خيرة قادة الفونسو السادس [٦] . وهذا يمثل التدخل الدينى الصليبى الذى يعتبر جهاد صليبى ضد جهاد إسلامى.

---

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١١٥ ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١١٨ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٥٠ ؛ مرانده : المرجع السابق ، ص ١١٧ .
(٣) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١١٥ ، عبد الله عنان: عصر المرابطين.الموحدين، ق١، ص٥٣٧.
(٤) يحدد ابن أبى زرع عدد القتلى ثلاثة وعشرين ألف قتيل ، وهو عدد مبالغ فيه جداً . ابن أبى زرع : المصدر نفسه ، ص ١٥٩-١٦٠ .
(٥) عبد الرحمن الحجى : المرجع السابق ، ص ١٤٥.
(٦) نفس المرجع والصفحة .

وفى مستهل سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م توفى الفونسو السادس ملك قشتاله بعد ثلاثة شهور من مصرع ولده [١] .

وفى محرم ٥٠٣هـ/أغسطس ١١٠٩م عبر الأمير على بن يوسف البحر إلى الأندلس فى جيوش جرارة ، واستقرت غرناطة حتى يكتمل إعداد الجيوش المرابطيه المتطوعة ، فلما تكاملت سار بها صوب قرطبة ، وأقام بها يضع الخطط لمهاجمة قشتاله [٢] .

وفى ربيع الأول ٥٠٣هـ/سبتمبر ١١٠٩م [٣] ، سارت الجيوش الإسلامية تجاه طليطله عاصمة مملكة قشتاله فى محاولة لإرجاع المدينة خاصة بعد وفاة ملكها "الفونسو" وحاصرت القوات الإسلامية أولاً مدينة "طليبرة" غربى طليطلة ودخلوها وخلصوا أسرى المسلمين بها [٤] ولجأ بعض المحاصرين إلى قصبة المدينة ورموا بأنفسهم فى نهر التاجة [٥] ليلاً ناجين بأنفسهم فاستولى المرابطون على القصبة ، وسيطروا على مافى المدينة من المتاع والسلاح وردوا كنيستها جامعاً [٦] .

ثم اتجه الأمير على إلى مدينة طليطلة (الواقعة على نهر التاجه) وضرب حول المدينة حصاراً شديداً [٧] .

---

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١١٥ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٥٠ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٥٢ .

(٣) ذكر ابن القطان انه فى محرم ٥٠٣ هـ
ابن القطان : المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٤) ابن الخطيب : الإحاطه ، جـ٣ ، ص ٢٥٤ .

(٥) نهر التاجه : نهر عظيم يشق طليطله وعليه قصبه المدينة (خريطه٦) .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٦) ابن عذارى : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ٥٢ ؛ مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٧٠ .

(٧) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٧٠ ، يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

وكان يدافع عن المدينة القائد القشتالى "البرهانس" الذى دافع عنها دفاعاً مستميتاً [١] وتمكن من فك هذا الحصار البرى والبحرى على المدينة ، وأرغم المرابطين على الانسحاب ، وفشل المرابطون فى فتح طليطله [٢] .

وتشير بعض المصادر أن سبب انسحاب الأمير على إلى قرطبة ، ومنها إلى عدوة المغرب يعود إلى انتشار الوباء فى قواته [٣] .

وفى سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م واصل القشتاليون زحفهم صوب الوادى الكبير[٤]. وأحكموا الحصار على بياسة (تقع على نهر الوادى الكبين) وأبدة [٥] واستعدوا لدخول المدينتين بالأبراج المنصوبة ، كما استعدوا لعبور النهر ، ولكن الأمطار هطلت بغزارة واستمرت عشرين يوماً حتى فاض النهر فحال دون عبور القشتاليين وانصرفوا عائدين[٦] .

ب) الحملة البحرية للاستيلاء على المرية [٧] :

قامت القوى المسيحية بتنظيم حملة بحرية ضخمة للاستيلاء على مدينة المرية أعظم قاعدة بحرية للأسطول فى الأندلس ، وكان أهل المريه قد عارضوا

---

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٥٢ ، ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١١٧ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٨٨ .

(٢) ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٩٠ .

(٣) ابن عذارى : المصدر نفسه ، جـ ٤ ، ص ٥٢ .

(٤) الوادى الكبير : نهر قرطبة الأعظم (خريطة٦) .

(٥) أبده :مدينة بالأندلس، تبعد عن بياسه سبعة أميال ، وهى مدينة صغيرة وعلى مقربة من النهر الكبير.
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦ .

(٦) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(٧) خريطة ٢ .

فكرة الارتباط فى وحدة سياسية مع المغرب ، وأعلنوا استقلالهم بإماراتهم ، وكان حكامها من رجال الأسطول وغزاه البحر واستطاعوا تكوين إمارة بحرية مستقلة، وصاروا يغيرون منها بأساطيلهم على شواطىء أسبانيا المسيحية وفرنسا وإيطاليا[1].

وهذا يفسر سبب اشتراك أساطيل جنوة وبيزة ومونيليه بالإضافة إلى أساطيل أرغونة وبرشلونة وتكالب هذه القوى البحرية مجتمعة للاستيلاء عليها ، وتولى الفونسو السابع ملك قشتاله المعروف بالسليطين بنفسه قيادة جيوش ليون وقشتاله التى تقدمت لحصار المدينة من البر ،. بالإضافة إلى مشاركة أمير برشلونة رامون برنجير الرابع [2] بقوات قطلونية وأرغونة وحاصر الجميع المرية من البر والبحر لمدة ثلاثة اشهر وتمكنوا من الاستيلاء عليها عنوة فى ٢٠ جمادى الأول ٥٤٢هـ/١٧اكتوبر ١١٤٧م[3] .

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١١، ص٤٦؛ د.أحمد العبادى: البحرية الإسلامية فى المغرب ص٣٣٠.

(٢) رامون برنجير الرابع (٥٣٢-٥٥٨هـ/٣٧-١١٦٢م) هو أمير برشلونة وأرغونة ، ومن أعظم أمراء أسبانيا النصرانية وأوفرهم ذكاءً وعزماً ومقدرة ، ويعتبر المؤسس الحقيقى لملكة أرغونة ، وكان حكمه يتسم بالقوة والحكمة والعدل ، وكان يضطرم تعصباً ضد المسلمين ، واستطاع أن ينتزع آخر القواعد الإسلامية فى الثغر الأعلى ويقضى نهائياً على سلطان المسلمين . وقد استطاع توحيد مملكتى برشلونة وأرغونة سنة ٥٣٢هـ /١٠٣٧م حتى يجد لنفسه منفذاً على البحر.
عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٥١٤ – ٥١٨ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ١٢١ ، ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٦ ؛ د. عبد العزيز سالم و د. العبادى ، البحرية الإسلامية فى المغرب ، ص ٢٤٩ .
ذكر المراكشى والمقرى أنه كان يوم الجمعة ١٧ جمادى الأولى سنة ٥٤٢هـ/١٤أكتوبر ١١٤٧م .
المراكشى : المصدر السابق ، ص ٣٨٠ ؛ المقرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٦١ .

ثانياً : جهاد المرابطين ضد مملكتى أرغون والنافار [١] :-

فى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م عقد بمدينة "تولوشة" مؤتمر من الأساقفة النصارى، قرروا خلاله إرسال حملة صليبية بحرية وبرية إلى أسبانيا يقودها "الكونت دى تولوز" تعاونها قوات أسبانيا من النافار وقطلونية [٢] .

ووصفت المصادر الإسلامية هذه الحملة "أنها كانت أمماً كالنمل والجراد"[٣] .

وفى مستهل صفر ٥١٢هـ/٢٤مايو ١١١٨م ، شرعت القوات المشتركة فى محاصرة سرقسطة [٤] وحاصرتها لمدة سبعة أشهر [٥] ، ووضعت أبراجاً من الخشب تجرى على بكرات ونصبت عليها عشرين منجنيقاً [٦] ، وقد أصاب منظر هذه الأبراج وكثرة الحشود أهالى سرقسطة بالهلع وانهارت معنوياتهم وضعفت عزيمتهم ورغبتهم فى الاستمرار فى المقاومة .

ويصف ابن ابى زرع ذلك بأن هذه القوات حاصرت المدينة بأبراج

---

(١) مملكة أرغون : تمتد بحذا مملكة نافار ، خكمها راميرو بن سانشو الكبير حتى قُتل سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، وخلفه ابنه سانشوراميرز واستمر حاكماً عليها حتى قتل سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م. ومن أشهر ملوكها بيدرو الأول والفونسو المحارب ..

أما مملكة نافارا ، فكانت تتبعها ولايات كتبربا وسوبرانى ورباجورسا ، ومن أشهر ملوكها غرسيه المتوفى سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م وسانشو الثالث الملقب بالكبير .

للاستزادة راجع

عبد الله عنان : الطوائف ، ص ٣٧٧:٣٨٢ .

(٢) ابن القطان : المصدر السابق ، ص ٨ .

(٣) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٤) سرقسطه : تتبع مملكة الثغر الأعلى ، وتقع على نهر إبرة (خريطة ٥) .

(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٦) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١١٨ .

خشبيــة عالية تجرى على بكرات لكى يستطيع المهاجمون بــها محــاذاة الأسـوار العالية لينصبــوا فوقــها الرعـدات وجـاءوا كذلـك بعشـرين منجنيقـاً ضخمـة لـدك الأسوار[1] .

واشار ابن أبى زرع إلى أن "الحصار استمر سـبعة أشـهر عـانى فيـها أهـل سرقسطه ويلات الحصار داخل الأسوار نظراً لإحكـام الحصـار حـول المدينـة مـن ناحية النهر (نهر ابــره) ونلحيــة الـبر حتـى فنيـت الأقـوات وفنـى أكـثر النـاس جوعاً[2] ".

ودافع واليها عبد الله مزدلى عن المدينة دفاعاً مستميتا [3] ولكنه توفى فجأة فى شهر جمادى الآخرة سـنة ٥١٢هـ سـبتمبر ١١١٨م [4] . وتـولى حكمـها بعـده الأمير تميم بن يوسف (الذى كان والياً على شرق الأندلس) فــى وقـت اشـتد فيـه الحصار علـى المدينـة ، فخـرق المسـلمون قنطـرة سرقسـطة لإعاقـة عبـور الجيـش الأسبانى عليها .

اتجه الأمير تميم إلى سرقسطة يتود جيشـاً مرابطيـاً لإنقاذهـا ، ووصـل إلى حصن "سانتا ماريا" [5] ولكنه لم يحسن الدفاعَ عنـها [6] ، ممـا أدى إلى سـقوطها فى يد الأسبان .

---

(١) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٣) ابن ابى زرع : المصدر نفسه ، ص ١٠٥ ؛ عبد الله عنان، المرجع السابق، ق ١،ص ٩٣-٩٤.

(٤) ابن أبى زرع : المصدر نفسه ، ص ١٠٦ ، عبد الله الحجى ، المرجع السابق ، ص ٤٢٨ .

(٥) حصن سانتا ماريا : يقع على بعد ثمانية عشر كيلومتراً من مدينة سرقسطة .

(٦) ابن أبى زرع : المصدر نفسه ، ص ١٠٦ ، عبد الله ألحجى : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ .

وذهب الأستاذ / عبد الله عنان إلى أن الأمير تميم تقاعس عن إنقاذ سرقسطة بسبب عدم ولاء هذه المدينة للمرابطين [١] .

وأرجح أن الأمير تميم قدَّر أن المعركة لن تكون فى صالحه ؛ فآثر انتظار الإمدادات المرابطية التى تحركت بالفعل من عدوة المغرب إلى الأندلس لإيقاف هجمات الأسبان لكنها وصلت بعد سقوط المدينة يؤيد ذلك ما ذكره ابن ابى زرع من أنه بعد سقوط سرقسطة وصل من العدوة جيش قوامه عشرة آلاف فارس بعثه أمير المسلمين على لاستنقاذها فوجدها قد فرغ منها وملكها العدو ونفذ حكم الله فيها[٢] .

وفى يوم الأربعاء ٣ رمضان سنة ٥١٢هـ/١٨أغسطس ١١١٨م دخل الفونسو المدينة [٣] وحول مسجدها إلى كنيسة سيمت "بكنيسة لاسيو" [٤] .

أ- موقعة كتندة [٥] :-

كان لسيطرة الفونسو الأول المحارب على قواعد الثغر الأعلى والمحن التى أصابت المسلمين ، أن أمَّر الأمير على بن يوسف أخاه ابا اسحاق إبراهيم بتجهيز الجيوش البرية والأسطول المرابطى لوضع حد لاعتداءات الفونسو الذى استطاع

(١) عبد الله عنان : دولة المرابطين ، ق ١ ، ص ١٠٠ .

(٢) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٣) ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤٨ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢١١.

(٤) أرسلان : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٢٧ ، يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٥) كتندة : تقع على مقربة من دورقه (خريطة٧) .

الاستيلاء على قلعة أيوب [١] وسار إلى كتندة .

وفى ٢٤ ربيع الأول سنة ٥١٤هـ/٣٠يونيه ١١٢٠م حشد الفونسو قواته البرية وأسطوله البحرى ، ودارت موقعة بحريه بين السفن الأسبانية والمرابطين على نهر جالون المتفرع من نهر إبرة ، مُنيت القوات المرابطية بهزيمة ساحقة استشهد فيها الآلاف من المسلمين [٢] .

وانسحب الأمير إبراهيم بن يوسف مع البقية الباقية من جيشه إلى بلنسية، وكانت نكبة جديدة ساحقة للأندلس ولهيبة المرابطين العسكرية .

ومن نتائج هذه الموقعة استيلاء الفونسو على قلعة دورقه [٣] ، وأنشا على مقربة منها قلعة حصينة بأسم "مونريال" لتكون حاجزاً لصد الجيوش الإسلامية التى تنساب من بلنسيه ومرسيه ، ولتكون منزلاً لجمعية دينية من الفرسان أسست لحماية ديانته[٤] .

توالت النكبات على المسلمين فى الثغر الأعلى بسبب الهزائم المتتالية

---

(١) قلعة ايوب : مدينة فى ولاية سرقسطة ، كان اسمها القديم "لبلة" ثم أعاد بناءها والى الأندلس أيوب بن حبيب اللخمى سنة ٩٧هـ/٧٠٣م (خريطه ٥) فسميت باسمه ، واشتهرت بصناعة الفخار المذهب الذى كان يصدر إلى جميع الجهات .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١١٨ ؛ المراكشى : المصدر السابق ؛ ص ٢٩٩، المقرى: المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٦٠ – ٤٦١ .

(٣) قلعة دروقة : تقع فى سفح الجبل ، وبينها وبين قلعة أيوب ثمانية عشر ميلا .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

(٤) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

للمرابطين على يد الفونسو وسقوط سرقسطه فأخذت طوائف الأسبان المعادون فى التحفز لإخراج المسلمين من الأندلس ، وتحالفت مع الفونسو المحارب ملك أرغون وأمدته بالمساعدات لتحقيق الأهداف المشتركة بينهما [١] .

وكانت دعوة المعاهدين (عرفوا بالمعاهدين بعد الفتح الإسلامى) لألفونسو المحارب ماهى إلا مؤامرة كبرى دبرها الأسبان لضرب الأندلس المسلمة فى الصميم ، خاصة وأن الأسبان المعاهدين نعموا بحسن المعاملة وسياسة العدل والإنصاف فى المجتمع الإسلامى وفى ظل حكمه[٢]

بعث المعاهدون إلى ملك أرغون يحثونه على الاستيلاء على غرناطة عاصمة الأندلس ، ولما تمتاز به من حسن الموقع وروعة البناء ، كذلك للانتقام بما نزل بهم من صنوف الاضطهاد الدينى كما يزعمون ، وأن المسلمين بموافقة الأمير على بن يوسف هدموا كنيسه خارج غرناطة سنة ٤٩٢هـ/١١٠٨م [٣] .

وفى شعبان سنة ٥١٩هـ/سبتمبر ١١٢٥م خرج الفونسو الأول بقواته وأسطوله من نهر إبرة من سرقسطة [٤] ، ومعه رجال الدين وفى مقدمتهم أسقفا سرقسطة ووشقة وتعاهدوا جميعا وتحالفوا بالإنجيل على ألا يفر منهم أحد [٥] وهكذا طبعت الحملة بالطابع الصليبى شأن سائر الغزوات والحملات الأسبانية منذ حصار سرقسطة واتجه ملك ارغون شرقا حتى دخل أراضى بلنسيه جنوبا

---

(١) عبد الله الحجى : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ ؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ق ١، ص١٠٦.

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٦٩ .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص ١١٤ .

(٤) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٦٣ .

(٥) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

مدمرا كل ما يقع أمامه [١] .

وسارعت جموع المعاهدين للانضمام إليه ، ودلته على الطرق والمسالك ومواطن الضعف لدى المسلمين ، فغادر بلنسية حتى وصل إلى غرناطة في شهر ذى القعدة سنة ٥١٩هـ/نوفمبر ١١٢٥م [٢] .

وكان المشرف على شئون الأندلس الأمير أبو الطاهر تميم :فحشد قواته البريه ورابض أسطوله على نهر شينل للدفاع عن المدينة ، وأمده الأمير على بن يوسف بقوات كثيرة وتلاحقت به قوات مرسية وإشبيلية وأحاطت الجيوش المرابطيه بمدينة غرناطة حتى صارت كالدائرة [٣] .

ونشبت بين القوتين معركة عنيفة أبلى فيها المرابطون بلاء حسنا ، فاضطر الفونسو المحارب إلى مغادرة غرناطة [٤] عائدا إلى سرقسطة .

لم يحقق ملك أرغون من حملته هذه أية نتيجة ولكنها كشفت عن ضعف نظم الدفاع فى الأندلس ، وخطط القيادة المرابطيه منذ كارثة سرقسطة وكتندة ، وكشفت أيضا عن خطر المعاهدين الذين نعموا بالأمن والسلام فى ظل الحكومة الإسلامية [٥] .

---

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٣٤٥ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٠٨ ؛ مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٦٤ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٧٨ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ٢٢٤ .

(٥) عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١١٣ .

ب) موقعة أفراغة [1] :

كان ثغر طرطوشه هدف الفونسو المحارب ملك أرغون للسيطرة على ما بقى من مجرى نهر الإبرو ، وليضمن سلامة الملاحة فيه ، ويصل مابين مملكته وبين البحر[2].

لذا شن الفونسو المحارب حملة كبيرة على ثغر طرطوشة اشترك فيها الفرسان الفرنسيون ، كان هدفها الاستيلاء على لاردة [3] وأفراغة أولا ثم الاستيلاء على ثغر طرطوشة ثانيا .

حاصر الفونسو المدينة وأحكم الحصار عليها برا وبحرا من ناحية أسطوله المرابط على نهر سنكا [4] ، ولقى الفونسو مقاومة عنيفة من واليها سعد بن محمد بن مردنيش [5] فأضطر إلى رفع الحصار أكثر من مرة وإلى مضاعفة جهده في التضييق على المدينة ، وأقسم ومعه عشرون من رجاله تحت أسوار المدينة أن

---

(١) أفراغة : مدينة بالأندلس ، تقع غربى لاردة ، بينها وبين لاردة ثمانية عشر ميلا ، وبها حصن منيع ، وهى تقع على الضفة اليمنى لنهر سنكا (خريطة٧) .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٨-٤٩ .

(٢) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١١٧ ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٣) لاردة : تقع بثغر الأندلس الشرقى ، وهى مدينة قديمة وحصنها منيع .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٠٧ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٣٤ ؛ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص ١٢١

(٥) سعد بن محمد بن مردنيش : كان واليا على أفراغة فى الثغر الأعلى فى عصر المرابطين ، توفى سنة ٥٣٣هـ/١١٣٩م .
ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٢٣٥ .

يفتحها أو يموت دونها [١] .

نشب بين الفريقين قتال مروع وعنيف ، وقدرت الروايات الإسلامية القوات الإسلامية بعشرة آلاف فارس ، والقوات الأسبانية بأثنى عشر ألف فارس[٢] ، وأبدى المسلمون بقيادة يحيي بن غانيه [٣] الذى أرسله أمير المسلمين على بن يوسف لمساعدة والى أفراغة ضروبا رائعة من البطولة ، وكثر القتلى فيهم، وهلك الكثير من قادة الأسبان وأصيبوا بهزيمة منكرة ، واستولى المسلمون على عتادهم وأسلحتهم وقطعة من أسطولهم الرابض على النهر وذلك فى ٢٣ رمضان سنة ٥٢٨هـ/١٧يونيه ١١٣٤م [٤] .

لجأ الفونسو المحارب بعد هزيمته فى أفراغة إلى دير القديس "فون دى لابنيا" فى سرقسطة ، وهناك توفى غما بعد ثمانية أيام من المعركة [٥] .

أحدث النصر فى أفراغة صدى عميقا فى جميع أنحاء الأندلس وعادت سمعة المرابطين العسكرية إلى سابق مكانتها فى الأندلس [٦] .

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطه ، جـ٤ ، ص ٣٤٤ ؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص ١٦٤-١٦٥؛ د. حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، ص ١١٩ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٣٣-٣٤ .

(٣) يحيى بن غانية : كان واليا على بلنسيه ومرسيه وقائدا للجيوش المرابطية سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م، واجه غارات الفونسو السابع على قرطبة وأرباضها ، توفى فى ١٤ شعبان ٥٤٣هـ/٢٩ديسمبر ١١٤٨م.

ابن الخطيب : الاحاطه ، جـ٤ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطه ، جـ٣ ، ص ٢٥٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٣٤

(٥) ابن القطان : المصدر السابق ، ص ٢٢٣ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٦) ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٥ .

ويلاحظ أن المرابطين لم يستفيدوا من هـذا النصـر الكبـير لكـى يزحفـوا إلى سرقسطة ويعيدوها إلى حظيرة الإسلام ، نفس الشيء الذى حدث لهم عقب النصر فى موقعة الزلاقة .

ويعلق الأستاذ عبد الله عنان على ذلـك قـائلا " أن إحجـام المرابطـين فـى السير نحو سرقسطة واستغلال نصر أفراغة قد ارتكبوا خطأ عسكريا ، كما ارتكبوه من قبل فى الزلاقة ، وكانت له فى الحالتين نتائج بعيدة المدى [١] .

---

(١) عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١٢٦ .

ثالثا : جهاد المرابطين ضد إمارة قطلونيا [(١)] :-

منذ سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م واصلت إمارة قطلونيا توسعها على حساب أراضى الثغر الأعلى ، فسيطرت على مدينة طركونة [(٢)] فى عهد رامون برنجر الثانى (٤٦٨-٤٨٩هـ/١٠٧٥-١٠٩٦م) ، وحاولت القوات المرابطية إسترجاع هذا الثغر فلم تفلح .

وفى سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م سقطت المرية بيد الأسبان ، فشجع هذا البرتغاليين على غزو ثغر طرطوشه لأهميته القصوى عند الأسبان باعتباره أعظم ثغور الشمال الشرقى ، ووقوعه على حدود مملكة برشلونه ، كما أنه ملاذ للمسلمين المجاهدين الذين كانوا يرابطون فى هذا الثغر ، ويكررون هجماتهم على مملكتى برشلونة وأرغون وشواطىء فرنسا .

لهذا انتهز الأسبان فرصة صداقتهم للأمير محمد بن سعد بن مردنيش [(٣)] حاكم شرق الأندلس ، وزعيم الثورة ضد المرابطين ، وهاجموا مدينة طرطوشه

---

(١) إمارة برشلونة ، كانت تقوم فى النصف الشمالى من شبه الجزيرة الأسبانية ، وكانت أول ثغر عظيم يفقده المسلمون فى شمالى شبه الجزيرة ، واتسعت رقعة هذه الإمارة فى عهد الكونت رامون برنجير الكبير من سنة ٤٢٧-٤٦٩هـ/١٠٣٥-١٠٧٦م .

عبد الله عنان : ، ص ٤٠٦ .

(٢) طركونة : مدينة بالأندلس ، بينها وبين لاردة خمسون ميلا ، وهى قاعدة تقع على ساحل البحر المتوسط (خريطة٧)

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٩٢ .

(٣) محمد بن سعد بن مردينش : تولى إمارة شرق الأندلس فى ٢ جمادى الأولى سنة ٥٤٢هـ/أكتوبر ١١٤٧، وواجه أقوى وأخطر الثوار ضد المرابطين وهم الموحدون ، واستمر مسيطرا على شرق الأندلس حتى وفاته سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م .

ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٣٢ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

بزعامة ملك برشلونة رامون برنجير الرابع فى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م [١] تسانده قوات أرغون وأساطيل بيزة وجنوة [٢] رحاصرت المدينة لمدة أربعين يوما حصارا شديدا ، ولم تستطع المدينة الصمود أمام هذه الأساطيل البحرية والقوات المسيحية وسقطت فى ١٦شوال ٥٤٣هـ/أكتوبر ١١٤٨م [٣] .

المعارك البحرية فى جزر البليار :

استقل عبد الله المرتضى [٤] بحكم جزر البليار (٤٦٨-٤٨٦هـ/١٠٧٦-١٠٩٤م) فى وقت سيطرت فيه الأساطيل الإيطاليه والفرنجية القطلانية على الحوض الغربى للبحر المتوسط .

ولم تعد هناك قوة بحرية إسلامية فى المغرب والأندلس يمكنها التصدى لهذه القوة البحرية المتفوقة سوى أساطيل جزر البليار [٥] التى تصدت ببسالة لغارات تلك الأساطيل وردتها مدحورة . ونتيجة لهذا الصمود حافظت جزر البليار على استقلالها طيلة عهد المرتضى .

ولم يتعرض المرابطون بعد جواز قواتهم إلى الأندلس لجزر البليار وأميرها

---

(١) ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٤ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٢٦ ؛ابن الكردبوس: المصدر السابق ، ص ١٠٠.

(٣) عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٤) عبد الله المرتضى : كانت العلاقات بينه وبين المرابطين وديه ، تصدى لغارات أساطيل بيزة وجنوة ، ببسالة وشجاعة .

المغربى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٣ .

(٥) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٣٧٢-٣٧٣.

عبد الله المرتضى ومن بعده مبشر بن سليمان ناصر الدولة الذى استطاع التصدى لحملتى "رمنجول كونت أرقلة البحرية [(١)] وحملة أمير قطلونية رامون برنجير الثالث" سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م [(٢)] .

ويتضح أن المرابطين لم يتدخلوا فى شئون جزر البليار بل وطدوا علاقاتهم بعبد الله المرتضى ومن بعده مبشر بن سليمان لبطولتهما فى الدفاع عن جزر البليار التى كانت السد المنيع والدرع الواقى لثغور ساحل الأندلس الشرقى فى مواجهة الأساطير المسيحية المتربصة [(٣)].

الحمل الصليبية على جزر البليار :-

أصدر البابا باسكال الثانى (٤٤٩-٥١٢هـ/١١٠٥-١١١٨م) سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م نداء إلى جمهورية بيزة يدعوها إلى إعداد حملة بحرية كبرى للاستيلاء على جزر البليار والقضاء على المسلمين وتطهير البحر المتوسط منهم لاعتداءاتهم البحرية المتواصلة على الساحل الشمالى لحوض البحر المتوسط [(٤)] .

وأختار البابا البيزيين للقيام بهذه الحملة لما بلغه اهتمامهم الشديد بالاستيلاء على جزر البليار ، ولوضع حد لغارات المسلمين المتكررة على الشواطىء

---

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣-١٢٤ .

Companer : Bosquejo Historice de la .
Dominacian Islamita ensles Islas Baleares , palma , 1888 , p. 93-94 .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٥٥ ؛

Companer : op - cit , p. 99 .

(٣) ابن سعيد المغربى: المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ص ٤٦٧، محمود مكى، وثائق جديدة من عصر المرابطين ، ص ١٥٨.

(٤) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

الإيطالية [١]، ولم يتردد البيزيون فى الاستجابة السريعة لنداء البابوية وبدأوا يعدون حملة بحرية للاستيلاء على الجزائر الشرقية التى جهزت لها بيزة ثلاثمائة سفينة من مختلف الأنواع [٢] .

وذكر ابن الكردبوس "أنه اجتمع أهل بيشة "بيزه" وجنوة وعمروا ثلاثمائة مركب وخرجوا إلى يابسة من عمل ميورقة [٣] وانضم إلى أسطول بيزة قوات بحرية من برشلونة ومونبلييه وأربونة وسردانية حتى بلغ مجموع سفن الأسطول المشارك خمسمائة سفينة [٤] .

وبعد أن أتمت الأساطيل البحرية استعداداتها منح البابا "باسكال الثانى" لواء البابوية إلى "بلدرو" قائد القوات البيزية والمشرف على إعداد الحملة ، وأذن لهم بالإبحار لمحاربة المسلمين القاطنين بجزر البليار [٥] .

وفى غرة ربيع الأول سنة ٥٠٨هـ/١٦أغسطس ١١١٤م أبحر الأسطول البيزى من خليج "أرنو" واتجه غربا إلى جزيرة سردانية حيث انضمت إليه قوات برية وبحرية من تلك الجزيرة ، وواصل الأسطول مسيرته غربا باتجاه جزر البليار [٦] بعد أن اتفق كبار قادة الحملة على إسناد الرياسة وحمل الرايه الكبرى إلى

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٢) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

(٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) Campaner : op - cit , p. 104-105 .

(٥) Campaner : op - cit , p. 104

(٦) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٦٥ ؛

Campaner : op - cit , p. 104 .

"رامون برنجير الثالث"[١] قمط برشلونة القائد العام للقوات فى كل العمليات العسكرية التى تقوم بها الحملة ضد مسلمى البليار [٢] .

وعندما بلغ "مبشر بن سليمان" خبر هذه الحشود الضخمة والأعداد الكبيرة للأساطيل المسيحية ، بعث رسله يعرض الصلح على الغزاة ويعدهم بتسليم مالديه من الأسرى المسيحيين ، وأن يعوضهم عن نفقات الحملة ورفض القادة المسيحيون[٣] .

تجمعت الأساطيل المسيحية فى ميناء "سالو" على ساحل قطلونية ، ثم أبحرت إلى ثغر "سان ماتيو" [٤] ، وفى ربيع الثانى ٥٠٨هـ/٢٤سبتمبر ١١١٤م تحركت السفن بعد ثلاثة أيام نحو جزر البليار ، ولكن سوء الأحوال الجوية دفع السفن إلى مياة دانيه ، مما أجبر قادة الحملة على العودة إلى برشلونة وقضاء فصل الشتاء هناك [٥] .

وفى شوال ٥٠٨هـ/مارس ١١١٥م تحركت وحدات الأسطول الصليبى من ساحل قطلونية إلى الجزر الشرقية وهاجمت بعنف وضراوة يابسة وتمكنت من الاستيلاء على يابسة فى ربيع الأول سنة ٥٠٩هـ/يوليو ١١١٥م [٦] .

---

(١) رامون برنجير الثالث (٤٨٥-٥٢٥هـ/١٠٩٢-١١٣١م) أسهم بدور كبير فى الحملة الصليبية الكبرى على جزر البليار وفى حروبه فى الأندلس ضد المرابطين .
عبد الله عنان : المرجع السابق ، ق١ ، ص ٤٩٩ .

(٢) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٤) Campaner : op - cit , p. 107 .

(٥) مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت القدس ، ترجمة وتقدين حسن حبشى ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٨م ، ص ٦ .

(٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٠٥ .

حصار ميورقة :-

فى ٢٥ ربيع الأول سنة ٥٠٩هـ/٢٢أغسطس ١١١٥م توجه الغزاة بقواتهم المكونة من خمسمائة سفينة نحو جزيرة ميورقة ، ونزلت على ساحل الجزيرة وفرضوا حصارا شديدا حول المدينة [١] .

وفى نفس الوقت كان مبشر بن ناصر الدولة يحاول إنقاذ المدينة ، ولشدة وإحكام الحصار تطلع مبشر بن ناصر الدولة إلى الاستنجاد بالمرابطين [٢] ووجه كتابه اليهم مع قائد البحر "أبو عبد الله محمد بن ميمون " ، وكان قائد غراب، وخرج بالغراب ليلا من دار الصناعة [٣] ولم يشعر العدو به ، ووصل بالكتاب إلى أمير المسلمين فأمر فى الحين بتعمير ثلاثمائه قطعة [٤] .

وأرسل أبو الربيع سليمان بن لبون سفارة تفاوض كبار القادة فى المعسكر الصليبى ، واستغل الصليبيون هذه الفرصة واندفعوا نحو الأسوارمستخدمين كافة أنواع آلات الحصار ، واستولوا على معقل المدينة [٥] مما أضطر حاميتها إلى الاحتماء فى قلعة القصر ، فأقتحمة الغزاه ودمروا كل محتوياته [٦] .

وعندما أيقن أبو الربيع سليمان بسقوط المدينة استقر عزمه على الهرب بطريق البحر مع عدد من أعوانه ولكن ماكاد يضع قدمه فى المركب الذى أراد أن

---

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٢ – ١٢٤ ، ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٧٩–٨٧ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٦٧ .

(٢) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٠– ١٠١ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٤) ابن أبى زرع : المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٦٧ .

(٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٠٦ .

ينجو به حتى وقع فى قبضة الغزاة [١] ، وانطلق الغزاة فى أرجاء المدينة يقتلون ويأسرون ، ولم ينج من أهلها إلا من تمكن من الهرب إلى الجبال المحيطة بالمدينة ، ودمرت المدينة تدميرا تاما ، وأصبحت أكواما خاوية على عروشها محترقة سوداء مظلمة [٢] .

وكان أمير المسلمين على بن يوسف قد تلقى أثناء الحصار الصليبى لميورقة استغاثة مبشر بن سليمان كما سبق القول ، فأمر بتجهيز أسطول من ثلاثمائه سفينة بقيادة أمير البحر ابن تافرطاش [٣] إلا أن هذا الأسطول لم يصل إلى جزر البليار إلا بعد أن سقطت ميورقه تماما فى أيدى الغزاه ، وعندما علم النصارى بقدوم الأسطول المرابطى غادروا المدينة سريعا [٤]، وأقلعت سفنهم عن الجزيرة وقد أثقلت مما حصلوا عليه من السبى والغنائم [٥] .

ووصل الأسطول المرابطى إلى ميورقة بقيادة أمير البحر ابن تافرطاش بعد فرار الصليبين عنها ، ومن شدة هلعهم وارتباكهم بعد إقلاعهم العاجل من جزيرتى يابسة وميورقة أخطأت أربع سفن من أسطولهم الطريق وتوجهت شرقا إلى دانية فى ساحل الأندلس بدلا من أن تتجه إلى بيزه ، وتمكن أبو السداد عامل دانيه وقائد أسطولها من إغراق واحدة منها وأسر الثلاث الأخرى وضمها لأسطوله[٦] .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٢) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٢٤ ؛ الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٥٦٧ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ؛ د. محمود مكى ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٤) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٢٤ ؛ ابن القطان : المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٦٧ ، يوسف أشباخ المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٦) ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

واستقر المرابطون فى جزر البليار بفضل الجهود التى بذلها ابن تافرطاش الذى قام بتعمير المدينة وأعاد إليها الفارين من أهلها [١] .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٥٥ ؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق، ص ١٠٥ ؛ الحميرى: المصدر نفسه ، ص ٥٦٧ .

رابعا : جهاد المرابطين ضد قدسية البرتغال :-

فى صفر ٥٠٥هـ/أغسطس١١١١م ، قام المرابطون بحملة بحرية ضخمة تساندها حملة برية كبيرة إلى مملكة البرتغال بقيادة الأمير سير بن أبى بكر والى إشبيليه الذى سار بقواته تجاه يابره وفتحها بسهوله ، ثم اتجه إلى أشبونه وسيطر على مدينة شنترين (١) بعد معركة بحرية عنيفه ، ويشير المراكشى إلى ذلك قائلا "أن المرابطين حاصروا المدينة فامتنعت عليهم ، فشددوا الحصار عليها بحرا حتى فتحت بعد مقتل الكثير منها (٢) .

وأخيرا تعرضت سبته فى نهاية عصر المرابطين لهجوم بحرى كبير قام به غزاة الشمال أو الفايكنج (٣) ، إذ يذكر ابن عذارى "أنه فى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م وصلت قراقر المجوس فى مائه وخمسين مركب بين كبار وصغار إلى سبته فخرجت أجفانها فتقاتلوا فقتل من الفريقين خلق كثير (٤) ".

ولم يوضح ابن عذارى لنا نتيجة هذه الغارة البحرية ، إلا لأنه يبدو أن هؤلاء الغزاة لم يتمكنوا من النزول بسبته نظرا للمقاومة الشديدة التى واجهتهم من قبل أسطول سبته ، ويبدو أن هؤلاء الغزاة اضطروا إلى العودة إلى بلادهم بعد فشل غارتهم على سبته .

---

(١) خريطة ٦ .

(٢) المراكشى : المصجر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٣) الفايكنج أو غزاة الشمال : وهم مجموعة من الشعوب التى سكنت شبه جزيرة اسكنديناوه ، وهم شعب يتوتونى أو جرمانى ، ينقسمون إلى ثلاث مجموعات السويديون.، النرويجيون ، الدانماركيون والمجموعة الأخيرة هى التى هاجمت سبتة .

د. محمد محمد الشيخ : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ ، ص ٢٩٣ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٠٣ .

كذلك نجد أن المرابطين أوقفوا أطماع النورمان في ممتلكات الزيرين بافريقية، فقد استنجد الزيريون الصنهاجيون بأبناء عمومتهم المرابطين للدفاع عنهم، فأمر أمير المسلمين على بن يوسف قائدا أسطوله أبا عبد الله بن ميمون بالتوجه إلى جزيرة صقلية سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م، فشن الغارة على بعض نواحيها وافتتح مدينة نقوطره Nicotra التابعة لرجار الثاني وسبى نساءها وأطفالها وقتل شيوخها وسلب جميع ما وجد فيها[1].

ومن خلال استعراض جهاد المرابطين للممالك الأسبانية نلاحظ الآتى :

١- تزعم الفونسو السادس ملك قشتالة جبهة الأسبان ضد المرابطين حتى وفاته سنة ٥٠١هـ/١١٠٦م ، ثم تزعمها بعده الفونسو الأول المحارب ملك أرغون ، وبعد وفاته سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م تزعمها الفونسو السابع ملك قشتالة .

٢- اتسمت المعارك الحربية (البرية والبحرية) بين الجانبين بعنفها وقوتها ، وعزز كل جانب معاركه بروح دينية عاليه يتزعمها رجال الدين من الطرفين من أجل احراز النصر وكسب المعركة وإن كان من جانب الأسبان أكثر .

٣- بالرغم من الروح الجهادية العالية التى تمتع بها المرابطون فى الأندلس ، وانتصاراتهم فى معارك مهمة ضد الأسبان إلا أن المرابطين لم يستطيعوا استرجاع أن مدينة أندلسية مهمة سيطر عليها الأسبان خلال مراحل هذا الصراع ، إبتداء من مدينة طليطلة ومرورا بغربى الأندلس والى منطقة الثغر الأعلى .

-اثقلت الحروب الجهادية كاهل الجيوش المرابطية فى الأندلس ، وفقدت يرة

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١١، ص ٥٦-٥٨.

-قادتها في معارك الجهاد ، مما أضعف هذه الجيوش فيما بعد والتي انشغلت في مقاومة ثورة أهل الأندلس ، وثورة المهدى في عدوة المغرب مما شجع الأسبان على مواصلة توسعهم على حساب الأراضي الإسلامية والسيطرة تباعا على أهم قواعد الأندلس .


الباب الثانى
دور البحرية الإسلامية
فى بلاد المغرب
والأندلس فى
عهد الموحدين

الفصل الأول

"التنظيمات البحرية فى عصر الموحدين"

إهتمام الخلفاء الموحدين بالأسطول :-

برع الموحدون فى الفنون الحربية حيث استخدموا فى كثير من المواقع شئون الهندسة [١] وطبقوها فى شئون الحرب وهى معلومات لايستغنى عنها أمراء البحر أو قواد الأساطيل ، كما استخدموا علوماً أخرى كالميقات ورسم الخرائط وآلات القياس[٢].

وعلى هذا فقد لعب الأسطول الموحدى دوراً كبيراً طوال فترة التقدم الحربى

(١) كان نظام المعركة يقوم عند الموحدين على فكرة التربيع ، وكل قسم من الجيش يوضع تحت قيادة قائد خاص ويؤلف جانباً من الزوايا الأربع لترتيب المعركة . وكانت قوة الجيش الرئيسية تتألف من المشاة النظاميين وتوضع فى الصفوف الأولى وتسلح بحراب طويلة ويلى هؤلاء صفوف من الجند مسلحون بالسيوف والدروع ثم يليهم حملة النبال والقسى . وكانت قوة الفرسان تحتل المكان الأوسط من المربع ويخصص لها أمكنة معينة فى جميع جوانب المربع وتفتح لها مخارج سريعة بحيث تستطيع صفوف الفرسان أن تنطلق منها كما تنطلق من القلعة المحصورة ثم تعود إلى أماكنها الداخلية دون أن تخل بنظام المشاة ويقوم بالهجوم الأول المتطوعون فإذا أستطاع العدو أن يهزمهم وأن يتقدم نحو مواقف الجنود النظاميين وقف حملة الحراب أمامه كالسد الحديدى ويقوم حملة القسى والنبال برميهم بالسهام والحجارة ، فإذا استطاع العدو أيضاً أن يخترق صفوف حملة السيوف والدروع ، يخرج الفرسان من أماكنهم الداخلية للدفاع ، وحتى لو تمكن العدو أن يتغلب على القلب والجناحين ولاح له بعد احتلال الأماكن الداخلية أنه قد أحرز النصر ففى الإمكان أن تستمر المقاومة وحينئذ تتقدم قوات الضلع الرابع من المربع وهو الاحتياطى المكون من صفوة الجند وخاصة جند الحرس الخاص ويقودها الخليفة للقتال بنفسه وكانت هذه القوات تمتنع أحياناً داخل دائرة من السلاسل الحديديه تبرز منها الحبال الطويلة يوسف أشباخ : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤٥،٢٤٦ .

(٢) عبد الحق حموشى : القوى البحرية فى المغرب الإسلامى ، الدار البيضاء ، ١٩٦٥ ،ص١٢٨ - ١٢٩.

للموحدين حيث قام بدور حاسم فــى تدعيـم القـوات البريـة ، وفـى نقـل القطـع الحربية وآلات الحصار والعدد والجنود والخيـل والمـؤن مـن المغـرب إلى الأندلـس وبالعكس .

وكان اهتمام الموحدين بالأسطول والجيش اهتمامـاً كبـيراً، لأنـهما درعهـا الواقـى ضد أطماع النصارى ، وهما هيبتها أمام القبائل المغربية فى بلاد المغرب، لذا أولى الموحدون الجيش اهتماماً خاصاً واستلزم ذلك بذل الكثير من الأموال التـى تنفق عليه وكانت شئون الأسطول والجيش توكل إلى ديوانين أولهما ديوان العسكر ويشرف على كل ما يتعلـق بشـئون الجيـش والأسـطول [١] ، والثـانى هـو ديـوان التمييز [٢] ومهمته إختيار الصفوة من الجند . وكان يجرى التمييز قبيل كل غـزوة أو حرب هامة . وقد أعطانا ابن صاحب الصلاة [٣] وصفاً دقيقاً لعملية التمييز التى قام بها الخليفة يوسف بن عبـد المؤمـن [٤] عنـد الاسـتعداد للعبـور إلى الأندلـس سـنة

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) كان يتولى ديوان التمييز كاتب يسمى صاحب ديـوان التميـيز ، أو كـاتب العسـكرية ، وكـان الموحدون يلجأون إلى التمييز عند العمليات الحربية .

(٣) ابـن صـاحب الصـلاة : تـاريخ المـن والإمامـة علـى المسـتضعفين ، دار الأندلـس ، بـيروت ، ١٩٦٤،ص ١٠.

(٤) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن : تولى الخلافة بعد وفاة والده عبـد المؤمـن ،.كـان واليـاً علـى اشبيليه من قبل أبيه ، وكان محباً للجهاد فى سبيل الله ، استشهد فى موقعـة شـنترين عندمـا أصيب بسهم مسموم، ومات بعد ليلتين من هـذه المعركـة فـى ٧ رجـب ٥٨٠هـ/١١٨٤م وحملـت جثته إلى إشبيليه فى تابوت إلى تينملل حيث دفن بجوار أبيه .

المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٣٢، ٢٥٨، ٢٦١ ؛ ابن عذارى : المصدر السـابق ، جــ٣ ، ص ٥٥، ٥٨ ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٥٧ – ١٥٨ .

٥٦٦هـ/١١٧٠م "ولما كان غرة جمادى الآخرة من السنة المؤرخة (٥٦٦هـ) أمر سيدنا الخليفة بتمييز للموحدين على عدد قبائلهم ومنتهى مناولهم وتربية صفاتهم. فامتُثِل ذلك وتمادى تمييزهم مدة خمسة عشر يوماً وقسم عليهم الخيل . وكذلك على العرب الوافدين وأعطى للجميع الرماح والدروع والبيض والسيوف وأنعم على الجميع بما استعد به لهذه الغزوة الحافلة من الآلات المذكورة الكاملة على أتم النظر المبارك حتى كمل على أتم العزم والحزم ثم أمر لهم باعطاء البركة عن الزاد لهذه الغزوة (١) ".

ومن عناية الموحدين بجنودهم أن الخليفة كان يجلس بنفسه ليعاين توزيع الأموال على الجنود وجلس أمير المسلمين (يوسف بن عبد المؤمن) فى مجلس وأشياخ الموحدين وأمر وزيره أبا العلا إدريس (٢) أن يأمر الخزانين بإحضار الأموال بين يديه من الدنانير والدراهم فأحضرت أمامه وعلت أكداساً ، وجنَّسها من الذهب والفضة أجناساً ، وقدم الموحدين فى تنفيذ البركة لهم فخرج للفارس الكامل منهم عشرة دنانير ولغير الكامل ثمانية دنانير وللراجل خمسة دنانير ولغير الكامل ثلاثة دنانير ، وأمر للعرب ببركتهم وللفارس الكامل خمسة وعشرون ديناراً ولغير الكامل خمسة عشر ديناراً والراجل سبعة دنانير وخرج لأشياخ

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٦٥ – ٤٦٦ .

(٢) أبو العلا إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن : كان أميراً على تونس (إفريقية) وعنى بتدبير شئون الدفاع عنها وهو الذى انشأ البرجين على باب المهدية ، وباب سبته الجديد ، وأنشأ بإشبيليه برج الذهب .

ابن عذارى : المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ٢٤٣، ٢٧٣ ؛ ابن خلدون: العبر ، جـ٦، ص ٢٥، ابن ابى زرع : المصدر السابق ،ص ١٦١.

العرب لكل شيخ خمسون ديناراً ولكل رئيس منهم على قبيلته مائتا دينار وكسا جميعهم بالقباطى والعمائم [١] .

ويتضح من النص السابق مدى ضخامة الأموال والعطايا التى كانت تمنح لرجال الجيش والأسطول الموحدى بالإضافة إلى السلاح والملبس فضلاً عن المنح والعطايا التى كانت تمنح للجيوش والأساطيل البحرية الموحديه عقب الانتصار فى المعارك المختلفة.

فنجد الخليفة عبد المؤمن بن على [٢] يأمر للموحدين بعد انتصارهم على ابن همشك [٣] أثناء غزوه لغرناطه بالأموال والعطايا .

ويشير ابن صاحب الصلاة إلى ذلك قائلاً "واتصل فى أثر هذا الفتح العظيم نظر الخليفة أمير المؤمنين رضى الله عنه لمدينة غرناطة وقصبتها فملأ مخازنها فى

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢) عبد المؤمن بن على : ولد آخر سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، قام بتنظيم شئون الموحدين ، قضى زهاء عشر سنوات يحارب المرابطين حتى تم القضاء عليهم ، وتولى الخلافة فى ٢٩رمضان ٥٢٤هـ/١١٢٩م ، وفى عهده تم فتح المغرب والأندلس ، توفى فى ١٠ جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ/١٥مايو ١١٦٣م ودفن فى تينملل بجوار قبر المهدى .
البيذق : كتاب أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق ليفى‌بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٤٥ ،
المراكشى : المصدر السابق ، ص ١١٧، ١١٨ .
مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٤٢، ١٤٣ .

(٣) إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك : همشك جده نصرانى أسلم على يد بنى هود بسرقسطة ، وكان فى جملة الثوار الذين كانوا يطمعون فى إقصاء الموحدين عن الجزيرة ، وتزوج ابن مردنيش من ابنته ثم اختلفا فيما بعد ، وتسميه بعض المصادر عبد الله .
المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

القصبة بها القمح والشعير والملح وآلات الحرب من الرماح والدروع والسيوف والقسى والسهام والترسة بما أبهرت الناظرين وأوصل أمره العزيز ذلك كله إليها من العدوة فى المراكب فى البحر إلى حصن المنكب [١] وانتقل جميع ذلك من المنكب إلى غرناطة وتحصل فى قصبتها مخزونا فحييت بعد موتها بهذا النظر والحزم الموصول والنبل المبذول . واستنقذ من كان فيها من الموحدين من علة الحصار وبعد الانتظار وأجزل لهم الزيادة فى بركاتهم والنماء لهم فى مواساتهم وأنعم عليهم بالإحسان أحسانا [٢] ".

وقد بلغت البحرية الموحدية شأنا عظيما فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على الخليفة الأول للموحدين ، فقد استحوذ على سائر أسطول المرابطين بعدته ورجاله الأكفاء . كما واصل على بذل كل قدراته لإرساء قواعد الدولة الموحدية فى المغرب والأندلس واستطاع خلال ذلك أن يؤسس قوة بحرية وبرية هائلة[٣] .

كما وجه عنايته نحو إنشاء وتعمير المراسى ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية .

ويرجع اهتمام الخليفة عبد المؤمن بإنشاء بحرية قوية إلى ضرورة حتمية فرضتها عليه طبيعة تلك الدولة الدينية التى قام بها الموحدون والتى اتسمت بطابع العظمة والتوسع والزعامة الإسلامية ، كما لم يجد الخليفة أى صعوبة فى الحصول على طاقات الحديد والخشب وكل ما هو ضرورى لبناء السفن إذ أن كل

---

(١) حصن المنكب : مرسى صيفى يقع غربى المريه وشرقى مالقة .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٣) الناصرى : المصدر السابق ،جـ ٢، ص ١٠٤.

ذلك كان يتوافر فى جبال وغابات العدوتين، واستطاع أن ينشىء أقوى أسطول فى البحـــر المتوســـــــط [١].

وقد بلغت قوة الأساطيل البحرية فى عـهده إلى أنـه أنشـأ بـالبحر مراكـب بلغت سبعمائه مركب وأمر بضرب السهام فى.جميع عمله حتـى يضـرب لـه فـى كل يوم عشرة قناطير ، واستجلب الأجناد من سائر عمله فاجتمع له من الموحدين وقبائل زناته من المرتزقة أزيد من ثلاثمائة ألف فارس ومن المطوعـة ثمـانون ألـف فارس ومائة ألف راحل حتى ضاقت بهم الأرض [٢] .

ومن مظاهر اعتناء الخليفة عبد المؤمن بالأسـطول والجيـش أنـه قـام بمسـح أراضى مملكته وفرض الضرائب على كل ولاية حسب ثروتها وحالتــها ، وكذلـك ما يجب أن تقدمه كل ولايه من الجند من مختلف الأجناد [٣] .

وكان الخليفة عبد المؤمن يشرف بنفسه على تكوين رجـال البحريـة وعلـى تدريبهم تدريباً خاصاً حتى يستطيعوا القيام بالمهام التى توكـل إليـهم علـى خـير وجـه ، وبواسـطة هـذا الأسـطول استطاع الموحـدون نقـل عسـاكرهم ومعداتـهم وفرسانهم إلى الأندلس وحماية سواحلهم فى المغرب والأندلس [٤] .

ومن اهتمام الخليفة عبد المؤمن بالأسطول أنه شرع فى إنشاء قطع بحرية

---

(١) ابـن ابـى زرع : المصـدر السـابق ، ص ٢٠١ ؛ د. العبـادى : تـاريخ البحريـة الإسـلامية فـى المغرب، ص ٣٣٦ ، د. العبادى : المرجع السابق، ص ٢٥٤.

(٢) الوزير السراج : المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

(٣) ابن صاحبه الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢١٣-٢١٥ .

(٤) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٥٠ .

بلغت أربعمائة قطعة وزعت على جميع سواحل بلاده ، ومنها في مرسى المعمورة[١] بحلق البحر على وادى سبو [٢] بمقربة مائه وعشرون قطعة ، ومائه قطعة بموانى سبته وطنجة ومراسى الريف [٣] ، ومائه قطعة بسواحل إفريقيه (تونس) ووهران ومرسى حنين ، وثمانون قطعة بعدوة الأندلس [٤] .

ومن مظاهر اهتمام الخليفة عبد المؤمن بالأسطول والجيش أمره بإنشاء عدة مدارس حربية لتخريج القادة الأكفاء والبحارة المدربين على استعمال السلاح وركوب الخيل والسباحة وأساليب الحصار براً وبحراً [٥] . نشير إلى واحدة منها بالتفصيل :-

---

(١) مرسى المعمورة : المقصود بها المدينة التى تحمل اليوم اسم المهديه على الضفة اليسرى لمصب وادى سبو شمال سلا على بعد نحو ثلاثين كيلو متراً منها ، ولم يكن هناك وجود لاسم المهدية إلا أيام السلطان إسماعيل سنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م عندما حاصر المرسى وضيق على جيش الأسبان المحتل فخرج راهبها مستسلماً وبيده مفاتيح المدينة ، جاء بها هدية للمولى إسماعيل فأمنه ودخل المدينة وسماها بالمهدية .

ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢١٠ ، ح (٢) .

(٢) وادى سبو : منبعة من المحيط الأطلسى ، طوله ستمائه كيلو متر ويتراوح عرضه مابين ١٥٠ : ٣٠٠م ويصب في المحيط بالمعمورة قرب مدينة القنيطرة .

ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢١٠ (ح٣) .

(٣) الريف : مدينة على ساحل البحر المتوسط ، غربى مدينة الحسيمة ، خربت ولم يبق منها إلا الأطلال ، وفى نهايتها تقع جزيرة صغيرة تسمى "باديس" احتلها القائد الأسبانى "بيدرونافازو" سنة ١٥٠٨م ، ثم استردها المغاربة سنة ١٥٢٢م ، واحتلها الأسبان مرة ثانية ولازالت تحت الاحتلال الأسبانى .

الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٨١ ؛ د. ابتسام مرعى : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامى ، دار المعارف ، ١٩٨٥ ، ص ١٥٢ .

(٤) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٢٨ .

(٥) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

المدرسة الحربية بمراكش :-

أنشأها الخليفة عبد المؤمن بن على فى مراكش ملحقة بقصره .

وكان مهمتها تخريج قادة الجيش والأسطول ويشير صاحب الحلل الموشيه إلى ذلك قائلا "إنه كان يستدعى (عبد المؤمن بن على) إليها الشبان الحفاظ من أبناء إشبيليه وقرطبة وفاس وتلمسان ، ويتولى تربيتهم على حفظ القرآن والحديث وتآليف المهدى بن تومرت الخاصة بعقيدة الموحدين ، وكان يجمعهم كل يوم جمعة فى قصره وهم نحو ثلاثة آلاف فيمتحنهم فيما درسوه ويزودهم بنصائحه تشجيعاً لهم على الاجتهاد ثم يتدربون على فنون الحرب كالطعن بالحراب والرمى بالقوس والسهام والمبارزة وركوب الخيل وتعلم السباحة وخوض المعارك البحرية ذلك فى بحيرة خاصة أنشأها لذلك الغرض على مقربة من قصره . كذلك أعد بالمدرسة طائفه من السفن الكبيرة والصغيرة ليتمرن فيها الشباب على القتال فى البحر والتجديف وقيادة السفن والوثب إلى سفن العدو ومزاولة جميع التمارين البدنية التى تقتضيها الخدمة البحرية وكان تعليمهم على نفقة الدولة [١]".

واستطاع الخليفة عبد المؤمن الذى يعتبره المؤرخون من أعظم قواد العصور الوسطى أن يخلق من المغرب الإسلامى فى الأندلس قوة موحدة مجاهدة فى البر والبحر تمهيداً لغزو الممالك النصرانيه فى شمال أسبانيا [٢] .

ويؤكد ذلك ابن صاحب الصلاة قائلاً "إنه أمر بإنشاء قطع الأسطول

(١) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٥٥ .

(٢) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٥١ ؛ د. العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية ،ص ٢٦١.

الموحدى فى جميع دور الصناعة على سواحل المغرب والأندلس" [١] .

وعندما تولى الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٣-١١٨٤م)استمر على سياسة أبيه الجهادية ، واهتم بتقوية بحريته، وكان الأسطول فى عهده متفوقاً وفى ذلك يقول ابن خلدون "ولما استفحلت دولة الموحدين فى المائة السادسة وملكوا العدوتين ، أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ماعرف وأعظم ما عهد، وانتهت أساطيل المسلمين على عهده فى الكثرة والاستجادة مالم تبلغه من قبل ولابعد فيما عهدناه" [٢] .

واستمر الاهتمام بالبحرية فى عهد الخليفة المنصور يعقوب بن يوسف [٣] .

ويشير المراكشى "أن ملك صقلية وليام الثانى صالحه وأرسل إليه بإتاوة بعد أن خافه خوفاً شديداً فقبل منه ماوجه إليه وهادنه" [٤] .

كما تظهر براعة المنصور بن يوسف فى أنه استطاع أن يتجنب لقاء أعدائه فى أسبانيا مجتمعين ، وأن ينفرد بهم واحداً بعد الآخر ، وهذه الخطة سار عليها نابليون بونابرت فى العصور الحديثة ، وكانت سر عظمته [٥] .

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٥ .

(٣) أبو يوسف يعقوب بن ابى يعقوب يوسف الملقب بالمنصور ، تولى الحكم بعد وفاة أبية فى ٧ رجب ٥٨٠هـ/١١٨٤م وكان عمره خمسة وعشرين عاماً . واجه حكمه الكثير من المهام الصعبة فى المغرب والأندلس معا ، وانتصر أعظم انتصار فى موقعة الأرك توفى فى مراكش فى ٢٢ ربيع الأول ٥٩٩هـ/ ٣٠نوفمبر ١٢٠٢م .
المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٥٠ - ١٦٢ .

(٤) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٥) د. العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٣٦٢ .

وقد شرح الخليفة المنصور بن يوسف هذه السياسة في خطاباته الرسمية التى وجهها إلى رعاياه إذ بين فيها أنه قد آثر التحالف مع ملكى قشتاله وأرجون كى يتفرغ لمحاربة ملك البرتغال ، ثم رأى أن يتحالف مع ملكى ليون وأرجون كى ينفرد بملك قشتاله فى المعركة [١] .

وبلغت دولة الموحدين فى عهده أوج قوتها السياسية الدفاعية براً وبحراً ، فيذكر الناصرى "أن جميع انتصارات القوات البرية للموحدين دليل على مدى القوة البحرية التى كانت تواكب القوة البرية وتزودها بالمعدات والإمدادات العسكرية ، أو نقل الجنود أو حماية الثغور والمضايق ، ونقل الرقاصين [٢] بسرعة[٣] ".

وليس أدل على عظمة الأساطيل البحرية الموحدية وتفوقها على القوى البحرية فى عصر يعقوب المنصور من نص الرسالة التى أرسلها الفونسو الثامن [٤] ملك قشتالة إلى الخليفة يعقوب المنصور يطالبه بإرسال أسطول من المراكب والشوانى والطرائد والمسطحات كى يجوز إليه بجيوشه ويقاتله فى بلده [٥] .

---

(١) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٠٩ .

(٢) الرقاصين : هم عمال البريد .
القلقشندى المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١١٨ .

(٣) الناصرى : المصر نفسه ، جـ٢ ، ص ١١٤ .

(٤) الفونسو الثامن : الملقب بالفونسو النبيل ، تولى حكم قشتالة وعمره أربعة عشر عاما سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، أعلن الحرب على الموحدين بضراوة حتى وفاته فى شعبان ٦٢٠هـ/٦أكتوبر ١٢٢٦م ، كما اعتنى بشئون الاصلاح فى مملكته وأنشأ أول جامعة أسبانية هى جامعه بلنسيه .
عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٥٩٠ ، ٥٩٢ .

(٥)ابن ابى زرع :المصدر السابق ، جـ٢ ،ص١٤٠.

هذا فضلاً عمارواه ابن سعيد المغربى عن تجنيد المغاربة المقيمين فى مصر للعمل فى الأسطول المصرى استناداً إلى الفكرة التى كانت شائعة فى المشرق عن اختصاصهم لهذا العمل لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر [١] .

سفارة صلاح الدين الأيوبى إلى الخليفة المنصور :-

ومما يدل على اختصاص الموحدين فى ذلك الوقت بالأساطيل البحرية هو استنجاد السلطان صلاح الدين الأيوبى بالخليفة المنصور ، يطلب المساعدة البحرية بعدد وافر من السفن لتحول بين أساطيل الصليبيين وبين إمداد النصرانيه بالشام وحمل رسالته الأمير الكبير شمس الدين أبو الحارث عبد الرحمن بن منقذ[٢] فى سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م .

وكان الغرض من هذه السفارة طلب المدد البحرى من الخليفة الموحدى ضد الصليبيين فى الشرق نظراً لضخامة الأسطول الصليبى إلى جانب المساعدات والإمدادات البحرية القادمة للصليبيين عن طريق صقلية ، وعجز أسطول صلاح

---

(١) نقلاً عن المقرى

المقرى: المصدر السابق جـ ٣،ص ١١١-١١٢،العبادى: المرجع السابق، ص٣٥٦.

(٢) هو الأمير شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن الأمير الأجل نجم الدولة ابن عبد الله محمد بن رشد على ابن مقلد بن نصر بن منقذ ، ولد بشيزر سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م سمع من علماء الإسكندرية ، وكان صاحب نثر رائق ونظم فائق ومن بيت فضيلة وشجاعة وإمرة توفى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م .

ابن كثير : البداية والنهاية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣م ، جـ١٢ ، ص ٣٣٩ .

الدين عن مواجهة هذه القوى البحرية الضخمة [١] .

أحسن ابن منقذ شرح مهمته والغرض من قدومه ، ونجح في الاشادة بخليفة الموحدين ومآثره خصوصاً ما رآه من حنكته وحزم سياسته وضبطه لأمور البلاد والرعية، فمدح الخليفة الموحدى بقصيدة رائعة منها[٢] . :

ومع كل ما قام به ابن منقذ في أداء مهمته ومدحه للخليفة بالقصيدة الرائعة السابقة والتى نالت استحسانه وإعجابه فإنه لم يظفر بطائل منه وفشلت مهمته في الحصول على المساعدة البحرية المنشودة [٣] .

أثارت عدم استجابة الخليفة الموحدى لطلب صلاح الدين استفسارات كثيرة وجدل ونقاش طويل بين المؤرخين ومن ذلك :

أولاً :- أن صلاح الدين لم يلقب الخليفة الموحدى بلقب الخلافة وفى ذلك يقول

---

(١) سأشكر بحراً ذا عباب قطعته ... إلى بحر جود مالنعماه ساحل

إلى معدن التقوى إلى كعبة الهدى ... إلى من يمت بالذكر منه الأوائل

إليك أمير المسلمين ولم تزل ... إلى بابك المأمول تزجى الرواحل

قطعت إليك البر والبحر مؤمناً ... بأن نداك الغمر بالنجح كافل

فما راعنى من رجية البر رائع ... ولا هالنى من زاخر البحر هائل

ومن كان غايات المعالى طلابه ... يهون عليه كل أمر يحاول

رجوت بقصديك العلى فبلغتها ... وأدنى عطاياك العلى والفضائل

فلازلت للعلياء والجود بانيا ... تبلغك الآمال ما أنت آمل[١]

(٢) أبو شامة: المصدر السابق ، جـ ٢ ،ص ١٧٤ ،الناصرى: المصدر السابق، جـ٢، ص ١٨١.

(٣) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٦٤ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ٢٠٩ .

أبو شامة :وبلغنى أنه عز عليه كونه لم يخاطب بأمير المؤمنين على جارى عاداتهم[١] ".

وأرجع ابن خلدون وأبو شامة فشل المهمة إلى عدم دعوتهم له بألقاب الخلافة، ومع أن الأمر قد يكون له نصيب من الصحة ، فهو دليل على حرص الموحدين على أن يلقبوا بألقاب الخلافة إظهاراً لمدى قوة حكامهم ودورهم فى المغرب الإسلامى [٢] .

ونحن من جانبنا إذا أخذنا بهذا الرأى فإنما نعزو عدم دعوة الخليفة المنصور بألقاب الخلافة إلى كراهية رجال البلاط الأيوبى فى الاستنجاد بحكام المغرب [٣] على اعتبار أنها السابقة الأولى التى يحدث فيها ذلك منذ الجهاد ضد الصليبيين فى المشرق الإسلامى .

ثانياً : مساعدة الغز أتباع تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أخى صلاح الدين لبنى غانية فى ثورتهم ضد الموحدين [٤] .

وهو أمر غير مقبول ولانوافق عليه من وجهة النظر الأيوبية نظراً لما عرف عن شخصية صلاح الدين من تقى وورع وخدمة المسلمين وجهاد فى سبيل الله ،

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٤ ؛ المقرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٤٥ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٥٥-٢٥٦ ، أبو شامة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٣) أبو شامة : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٧٤ ، ١٧٦ .

(٤) انظر الفصل الثانى من الباب الثانى من الرسالة .

بالإضافة إلى حرصه على وحدة المسلمين وتماسك الجبهة الإسلامية ضد العدو المتربص بالمسلمين فى المشرق والمغرب على السواء [١] .

وكان صلاح الدين يشعر مسبقاً أن أمر الغز وماقاموا به فى الجزء الشرقى من الدولة الموحدية قد ترك شيئاً فى نفس الموحدين ، فلذلك حرص فى تعليماته لابن منقذ رسوله اليهم أن يبعد شبهة ذلك عنه وذكر له مايقوله أن سئل عن قائدى الغز (يوزبا وقراقوش) "وإن سئل عن المملوكين يوزبا وقراقوش ذكر ما فعلاه فى أطراف المغرب بمن معهما من نفايات الرجال الذين نفتهم مقامات القتال فيعلمهم أن المملوكين ومن معهما ليسوا من وجوه المماليك والأمراء ولامن المعدودين فى الطواشية والأدلياء....." [٢] .

ومن هنا يظهر عدم صلة صلاح الدين بهما إذ أن المملوكين هربا إلى المغرب طمعاً فى إحراج السلطان وتشييد دولة باسمهما ، وكان خطبتهما فى البداية باسم صلاح الدين لإضفاء الشرعية على أعمالهما ضماناً لنجاحهما ، ومن ناحية أخرى حجة لإقناع المشتركين فيها بانتمائها إلى جهة معينة لأن إظهار هدفها الحقيقى معناه القضاء عليها ولابأس لديهما من إخفائه لبعض الوقت انتظاراً للفرصة المناسبة لذلك[٣].

ثالثاً : قيل أن السر فى عدم استجابة المنصور الموحدى أن الخليفة العباسى

---

(١) د. عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٧١٧ ؛ د. سعد زغلول : العلاقة بين صلاح الدين الأيوبى وأبى يوسف يعقوب ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ٩٣؛ عبد الله كنون ، النبوغ المغربى فى الأدب العربى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٥م ، ص ١١٦ .

(٢) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧١ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٢٦٠ .

أصدر أمراً فى سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م بإسناد السلطة إلى صلاح الدين لأعلى مصر والنوبة وغربى الجزيرة العربية وفلسطين وسوريا والمغرب .

وقد فسر المنصور هذا الأمر برغبة صلاح الدين أن يحل محله على المغرب فى حالة انتصاره على الصليبين ، وقد كان لوجود شرف الدين قراقوش فى إفريقية تأثير كبير فى تدعيم هذه الفكرة لدى المنصور الموحدى [١] .

ولكنى أرى أن السبب الأساسى فى عدم إجابة المنصور لطلب صلاح الدين هو انشغاله بالجهاد ضد البرتغال ورغبته فى الحفاظ على أسطوله للاستفادة منه فى الجهاد ضد النصارى [٢] .

ومهما كان فإن الموحدين لم يتقاعسوا قط عن الجهاد ضد القوى الصليبية فى المشرق الإسلامى ، ولكن بالأسلوب الحربى الخاص الذى يوافق سيطرتهم البحرية على الملاحة فى غرب البحر المتوسط ، ويشير إلى ذلك المراكشى قائلاً "أن المنصور أرسل أسطوله فى البحر ليمنع الصليبيين من الوصول بكثرة إلى بلاد الشام ، ولم يرد أن يشتبك معهم فى المعركة لغرض حربى" [٣]. وهذا الغرض الحربى هو انشغال المنصور بمحاربة ابن غانيه [٤] .

وليس أدل على الهموم التى كان يواجهها المنصور عند قدوم سفير صلاح

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١١٨ ؛ أحمد عيس : المعجزة المغربية ، دار القلم ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ ، ص ١١٨ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٣) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

(٤) انظر الفصل الثانى من الباب الثانى من الرسالة .

الدين إلى المغرب من إعداده لمعركة الأرك [١] التى خاضـها المنصور الموحدى فـى أعقاب سقوط مدينة شلب فى أيدى البرتغاليين سنة ٥٨٠هـ/١١٨٦م وانتصر فيـها انتصارا يماثل انتصار المرابطين فى موقعة الزلاقة .

وقد حرص الخليفة عبد المؤمن على تدعيم الأسطول فى العمليات الحربيـة التى قام بها فى المغرب وإفريقية والتى كللت بدخول المغرب الكبير من الحـدود المصرية شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا تحت طاعة الموحدين [٢] .

وفى الأندلس لعب الأسطول الموحدى دورا هاما فى حصـار مدينـة المريـة سنـة ٥٥٢هـ/١١٥٧م ، وساهم الأسطول فى عهد الخليفة أبى يعقوب يوسف فى معظم العمليات الحربية التى قام بها الموحدون والتى تركزت بالأخص فى منطقـة غرب الأندلس [٣] .

كما قام الأسطول الموحدى بدور هام فى مراحل الصراع المختلفة بين مملكة البرتغال والموحدين [٤] ، كما أسندت إليه مهمـة أخـرى هامـة وهـى قمـع حركـة القرصنة التى كانت منتشرة بين المسيحيين والمسـلمين علـى السـواء لأن السياسـة الموحدية للبحرية كانت تقوم على مبدأ احترام نواميس التجارة الدولية ، وضمـان السلامة والطمأنينة فى البحار [٥] .

---

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الثانى من الرسالة .

(٢) مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار .،ص ١١٨

(٣) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(٤) انظر الفصل الثالث من الرسالة .

(٥) د. العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٢٦٣.

ونختم الكلام عن أسطول الموحدين بنص هام يدل على مدى نشاط هذا الأسطول والدور الذى كان يلعبه على سواحل بلاد النصارى : يقول صاحب صبح الأعشى عن أسطول الموحدين "وبالبلاد البحرية أسطول الحراريق المغرق فى البحر الشامى ، يزكيها الأنجاد من الرماة والرؤساء المهرة فيقاتلون العدو على ظهر البحر وهم الظافرون في الغالب ، ويغيرون على بلاد النصارى بالساحل وماهو بقربه ، فيأسرون أهلها ذكورهم وإناثهم ويأتون بهم بلاد المسلمين فيبرزون بهم ويحملونهم إلى غرناطة إلى السلطان فيأخذ منهم ما يشاء ويهدى ويبيع" (١).

وفى نفس المعنى يقول ابن خلدون عن قائد الأسطول الموحدى "ابن ميمون" أنه كان يبعث بالأسارى للخليفة أبى يعقوب الموحدى (٢) .

ونستشف من هذين النصين أن أسطول الموحدين كان مسيطرا على ساحل البحر المتوسط حاميا لسواحله وثغوره من أى اعتداء عليها . وإنه كان يقوم بغارات مستمرة على سواحل بلاد النصارى فيأسر من أهلها أعدادا كبيرة ترسل للعمل فى خدمة السلطان .

القواعد والمراسي البحرية ودور الصناعة :-

لم يكن اهتمام الموحدين بأمر قوتهم البحرية بأقل من اهتمامهم بقوتهم البرية ، وكان لهذا الاهتمام ما يبرره فطبيعة الصراع بينهم وبين الممالك المسيحية فى أسبانيا لاسيما مملكة البرتغال وقطالونية من ناحية وبعض الثائرين عليهم فى داخل الأندلس مثل بنى غانية وبنى مردنيش من ناحية أخرى ، اقتضت

---

(١) القلقشندى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٧٢ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٤٣ .

بالضرورة امتلاك قوى بحرية ضخمة تدعم قوتهم البرية وتسهل عملية عبور القوات المحاربة وآلات الحرب من المغرب إلى الأندلس .

ووجه خلفاء الدولة الموحدية عنايتهم نحو إنشاء دور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية وتعهدوا المراسى والقواعد البحرية بالرعاية والتعمير وساعدهم على ذلك اتساع رقعة دولتهم التى تطل على سواحل امتدت من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا بالإضافة إلى سواحل شبه جزيرة الأندلسى الشرقية والغربية والجنوبية .

كما توفرت لديهم المواد الخاصة اللازمة لصناعة السفن فى جبال وغابات العدوتين المغربية والأندلسية واستخدموا دور الصناعة التى كانت موجودة فى العصر المرابطى فى قصر أبى دانس ، شلب ، المرية ، بلنسيه ، دانية ، طرطوشه ، سبته وغيرها ، ومن ثم استطاعوا أن ينشئوا فى زمانهم أقوى أسطول فى البحر المتوسط [١].

وتشير المصادر إلى وفرة أعداد السفن الحربية وتنوعها مما أنتجته دور الصناعة فى المغرب والأندلس فى عصر عبد المؤمن وخلفائه ، من ذلك النص الذى أورده صاحب روض القرطاس قائلا "إنه فى سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م أنتجت دور الصناعة فى العدوتين أسطولا من أربعمائه قطعة (٢) .

ويؤكد ذلك ابن صاحب الصلاة قائلا "إن الخليفة عبد المؤمن أضمر غزوة

---

(١) اندريه جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالى البشير بن سلام ، الدار التونسية، ١٩٧٨م ، جـ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٤-١٦٥ .

عظمى للروم بجزيرة الأندلس برا وبحرا فأمر بإنشاء القطائع في سواحل العدوة والأندلس فصنع منها زهاء مائتى قطعة أعد منها فى مرسى المعمورة بحلق البحر على وادى سبو بمقربة سلا مائة وعشرين قطعة وقفت عليها وعددتها بالمراسى المذكورة ..... وأعد باقى العدد الذى ذكرته فى أرياف العدوة والأندلس وأمر الرجال والرؤساء والأبطال لعمارتها والقيام بحمايتها والنظر فى آلاتها .... [١] ".

دور الصناعة فى عصر الدولة الموخدية :-

أولا : دور صناعة أنشئت فى عصر الموحدين :

أ- شلطيش :-

تقع مدينة شلطيش بالأندلس ، وهى غير مسورة وبها مرفأ للسفن وركاب البحر ، وهى كثيرة السفن وبها دار صناعة لإنشائها [٢] .

وتشتهر شلطيش بصناعة الحديد الجيد الذى يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفائه وهى صنعة المراسى التى ترسى بها السفن والمراكب [٣] .

ب- مالقة :-

مدينة بالأندلس،وتقع على شاطىء البحر،عليها سور صخرى ويقع البحر فى جنوبها.

وكانت مالقة من أهم ثغور إقليم غرناطة فى عصر الموحدين ، حيث أقيمت بها دار لصناعة السفن التجارية إلى جانب السفن الحربية وخاصة الحراريق [٤] .

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٤٤ .

(٣) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥١٧ ، ٥١٨ .

سـلا (١) :

تقع ببلاد المغرب ، بينها وبين مراكش على ساحل البحر تسع مراحل .

أنشأ المعلم أبو عبد الله بن على بن عبد الله بن الحاج الإشبيلى مدينة بالعدوة الشرقية وهى المعروفة بسلا الحديثة ، وهى على ضفة البحر ، وهى منيعة من جهة البحر لايقدر أحد من أهل المراكب على الوصول إليها .

ويقلع من سلا مراكب أهل إشبيليه وسائر المدن الساحلية من الأندلس ، ويحيطون بها بضروب من البضائع ، ومرساها مكشوف وترسى المراكب الواردة عليها فى الوادى (٢) .

قصر مصمودة :-

حصن كبير يقع بين سبته وطنجة ، وهو على ضفة البحر ، كانت تنشأ فيها السفن التى تنقل الجنود ومعداتهم إلى الأندلس (٣) .

لقنت :-

مدينة من مدن الأندلس ، بينها وبين دانيه على الساحل سبعون ميلا .

وهى مدينة صغيرة عامرة ، ولها قصبة منيعة مرتفعة جدا فى أعلى جبل يصعد إليه بصعوبه وهى مع صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق (٤) .

---

(١) خريطة ٩ .

(٢) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣١٩ .

(٣) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٩٨ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٧٦ ،ابن خلدون: العبر، جـ ٦،ص٢١٠ -٢١١.

(٤) الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٩٥ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥١١ .

شاطبـــة :-

مدينة من مدن الأندلس ، وهى متقنـة وحصينـة لهـا قصبتـان ممتنعتـان ، وهـى قريبـة مـن جزيـرة شـقر ، وأنشـئ بـها دار لصناعـة السـفن فـى العصـر الموحدى[١] .

الحبـــالات :-

أنشأها الخليفة عبد المؤمن بن على سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م ، وهى تقع شرقى فاس عند ملتقى وادى فاس بوادى سبو .

وكانت تنشأ بها القوارب والسفن الصغيرة ، ثم تنساب منها إلى وادى سبو وتصعد فيه حتى مصبه فى المحيط الأطلسى [٢] .

قلصـــة [٣] :-

اشتهرت قلصة بكثرة أشجار الصنوبر الصالح لصناعة السفن الحربية فكـان يقطع بها الخشب ، ويلقى فى الماء ويحمل إلى دانيه وبلنسـية فـى البحـر وتفـرغ هناك[٤].

المهدية ٥٤٥ هـ/١١٥٠م :-

شيدها الخليفة عبد المؤمن بن على سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م .

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

(٢) أبو الحسن على الجزنائى : زهرة الآس فى بناء مدينـة فـاس ، طبع الجزائر ، ١٩٢١ ، ص ٢٧.

(٣) قلصة :- تبعد عن قونقة ثلاث مراحل شرقا ، وهى حصن منيع تتصل بـه جبال كثـيرة بـها شجر الصنوبر .
الإدريسى : المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٥ ،ابن ابى زرع: المصدر السابق، ص ١٩٨.

وقد سماها بالمهدية تيمنا باسم المهدى بن تومرت ، وأجرى إليها الماء فى سرب تحت الأرض من عين غيولة التى تقع جنوب غرب الرباط بنحو تسعة عشر كيلو مترا [(١)] .

ونقش الخليفة عبد المؤمن على الباب الشرقى لهذه القصبة نصا قرآنيا هو "يأيها الذين ءامنوا هل أدلكم على تجرة تنجيكم من عذاب أليم ◆ تؤمنون بالله ورسوله تجهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرلكم إن كنتم تعلمون ◆ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنت تجرى من تحتها الأنهار ومسكن طيبة فى جنت عدن ذلك الفوز العظيم ◆ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين◆" [(٢)] .

وقصد الخليفة الموحدى من إطلاقه اسم المهديه على هذه القلعة هو تقليد الفاطميين فى تسميتهم للمهديه الشرقيه "بتونس" .

فقد كانت الرواية السائدة تقول بأن أهل الأثر وكذلك المهدى بن تومرت كانوا قد بشروا ببناء مدينة فى هذا المكان والزمان [(٣)] .

وقد ربط الخليفة عبد المؤمن بين قصبة المهدية وبين مدينة سلا [(٤)] المقابل لها بجسر من السفن المشدود ببعضها ببعض السلاسل عبر وادى الرمان وعليها ألواح خشبية كى تمر عليها جيوشه ومعداته المتجهة إلى الأندلس [(١)] .

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٧٢ .

(٢) سورة الصف : الآيات ١٠:١٣ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٤٧ .

(٤) مدينة سلا : هى مدينة بالعدوة الشرقية ، وهى المعروفة بسلا الحديثة وهى على ضفة البحر .

مدينة الفتح (رباط الفتح) [٢] ٥٥٥هـ/١١٦٠م :-

أمر ببناء هذه المدينة البحرية الحصينة الخليفة عبد المؤمن سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م على سفح جبل طارق .

وقد سماها مدينة الفتح لتكون قاعدة عسكرية كبرى لتجمعات جيوشه القادمة من المغرب [٣] .

وقام ببناء هذه القلعة البحرية عدد كبير من العمال والبنائين الأندلسيين ، كما أشرف على بنائها مجموعة من العرفاء والمهندسين المشهورين منهم الحاج يعيش المالقى [٤] والمهندس العريف أحمد بن باسه [٥] .

وكان يوسف بن عبد المؤمن أمر ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التى أحدثها عبد المؤمن ، وفى هذه المدينة قيسارية عظيمة وحمام وفنادق وبها معبر وعلى هذا المعبر قنطرة مركبة على ثلاث وعشرين معدية مدت عليها أوصال الخشب وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذى لايؤثر فيه الحافر تجوز عليه العساكر والمسافرون ، ويمد البحر فترتفع القنطرة ويغطى الجسر فتقوم عليه المراكب وترسى دونه الأجفان ، ويقابله من مراسى بلاد الأندلس وادى شلب .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣١٩ .

(١) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) خريطة ٩ .

(٣) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢١٣ ؛ مجهول : الحلل الوشيه ، ص ١٢٩ .

(٤) الحاج بن يعيش المالقى : من أشهر المهندسين الذين تألق نجمهم فى عصر الموحدين ، وهو الذى صنع بأمر عبد المؤمن مقصورة المسجد الجامع بمراكش التى كانت تتحرك بطريقة آلية فترتفع عند خروج الخليفة عبد المؤمن وتنخفض عند دخوله وهو الذى قام فى سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م بعملية تسريب الماء لسقى البحيرة الملكية وتوصيله إلى داخل إشبيليه من قلعة جابر .

ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ١٣١ ، هامش (١) .

(٥) أحمد بن باسه : من أبرز الخبراء الذين اعتمد عليهم الموحدون فى مشاريعهم المعمارية الكبرى ، وهو الذى قام ببناء جامع إشبيليه وصومعته الشهيرة باسم الخيرالدا .

وحينما تم بناء مدينة الفتح ركب الخليفة عبد المؤمن سفينة من أسطوله وطاف بها حول جبل طارق ليتفقد حصون المدينة الجديدة ويعاين أحوال البناء فيها [١] .

وعندما تولى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن اهتم بتوسيعها والزيادة فيها حيث بدأ ببناء أسوارها من جهة الشمال والغرب [٢] .

ولما تولى المنصور الموحدى شهدت المدينة على يديه تقدما وازدهارا . ويقول المراكشى "وأما المدينة رباط الفتح – فتمت فى حياة أبى يوسف وكملت أسوارها وأبوابها وعمر كثير منها ، وهى مدينة كبيرة جدا تجىء من طولها من فرسخ وهى قليلة العرض ، ثم خرج بعد أن رتب أشغال هذه المدينة وجعل عليها من أمناء المصامده من ينظر فى أمر نفقاتها وما يصلحها فلم يزل العمل فيها سنة ٥٩٤هـ" [٣] .

ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ١٣١ ، هامش (٣)

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٤٤٩ .

(٣) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

ثانيا : دور صناعة من العصر المرابطي وأضاف إليها الموحدون :-

إشبيليـــــه :

أهتم الخليفة أبو يعقوب يوسف بمدينة إشبيليه حاضرة الموحديـن المتصلـة بالأندلس ، فأمر عامله في إشبيليه أبا داود بن جلداش [1] ببناء دار صناعة للقطائع تتصل من سور القصبة الذى على الوادى بباب القطائع إلى الرجل السفلى المتصلة بباب الكحل [2] .

وأكد المؤرخ الإشبيلى "أورتث دى توز" أن دار الصناعة الإسلامية كانت فى الموضع نفسه الذى ذكره ابن صاحب الصلاة [3] .

وقامت هذه الدار فى عهد الخليفة الناصر لدين الله بصناعة عدة سفن حربية، وكان يحميها برج الذهب الذى بناه أبو العلا إدريس سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م ، إلا أن هذه الدار هدمت عندما قام رامون بونيفاس قائد أسطول قشتالة بالهجوم على مدينة إشبيليه سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م [4] .

---

(١) أبو داود بن جلداش ، ولاه الخليفة أبو يعقوب يوسف النظر على النفقة على الجامع الأعظم الذى شيده الخليفة فى إشبيليه فى رمضان ٥٦٧هـ/١١٧١م واستغرق فى بنائه ثلاث سنوات وانتهى من بنائه ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، كما ولاه الخليفة أبو يعقوب فى سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م أعمال إشبيليه .
ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٠٨ ؛ ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص١٣٩؛ ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢٧١.

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤١٨.

(٣) د. عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الأندلس، ص ٢٢١ .

(٤) المقرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٨ .

وفى سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م شرع الفونسو العاشر [١] فى إعادة بناء دار الصناعة بإشبيليه متبعا فى ذلك النظام القديم [٢] .

وكانت دار الصناعة بإشبيليه تتألف من عدة أروقة عمودية على الوادى الكبير تفصل فيما بينها دعائم قوية من الآجر وتعلوها قبوات مرتفعة من البناء ، إذ كان المسلمون يحرصون على تجنب الخشب فى أبنيتهم الحربية لقابليته للحريق [٣] .

المريـــة :-

لم تكن المريه فى العصر الموحدى تحتل نفس المكانة الحربية السابقة التى كانت تحتلها ايام المرابطين ، فقد أخذت فى الذبول بعد أن استردها الموحدون سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م فقد بدأت إشبيليه تشق طريقها نحو المجد وتتطلع إلى العلا.

وأصبحت المرية منذ بداية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى الميناء التجارى الأول فى الأندلس الذى يتعامل مع الدول المسيحية ، وكانت تصلها السفن من أرغون والجمهوريات الإيطالية ، ومن أقطار أخرى محملة بالبضائع فتفرغها المريه وتحمل بضائع أخرى أندلسية [٤] .

وذكر المقرى "وبها كان محط مراكب النصارى ، ومجتمع ديوانهم ومنها

---

(١) الفونسو العاشر : ملك قشتاله ، وعرف بالحكيم ، تولى ملك قشتالة وليون بعد وفاة والده فرناندو الثالث فى محرم ٦٤٣هـ/٣٠ مايو ١٢٤٥م .
عبد الله عنان : عصر المرابطين وبداية الموحدين ، ق ٣ ، ص ٥٩٩ .

(٢) د . عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الأندلس ، ص٢٢١ .

(٣) د. عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الاندلس ، ص ٢٢٢ .

(٤) د. عبد العزيز سالم : المريه ، ص ٩٩ .

كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التى تصلح لهم وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فـى أعشـارهم ولم يوجـد بـهذا الشـأن مثلها لكونها متوسطة ومتسعة وقائمة على الوارد والصادر [١] ".

سبتــــه :-

قاعدة من قواعد الأسطول الموحدى ، ومركز من مراكز صناعة السفن ، فقد أشار ابن أبى زرع أن الخليفة الموحدى عبد المؤمن أمر فـى سـنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م بإنشاء عدة قطـع للأسـطول الموحـدى مـن مختلـف دور الصناعـة ، فـأنتجت دار صناعه سبتــه وقادس ومراسى الريف مائه قطعة [٢] .

وقد شيد فيها الخليفة أبو يعقوب يوسف دارا لصناعة السفن [٣] .

بلنسيـــــه :-

تقع شرق الأندلس ، وهى مدينة سهلية ، وقـاعدة مـن قواعـد الأندلـس ، تقع على مصب نهر تجـرى فيـه السـفن وهـى مينـاء تجـارى هـام ، وأنشـأ بـها الموحدون دار صناعة السفن [٤] .

شلــــب :-

مدينة من مدن الأندلس ، وهى متقنة البناء ، وبها مرسـى فـى الـوادى ، وأنشأ بها الموحدون دار صناعة السفن [٥] .

---

(١) المقرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٢٠٦ .

(٢) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(٣) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٤) الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، بطرسبورج ، مطبعة الأكاديمية الإمبراطوريـة ، ١٩٦٥م ، ص ٨٨ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٥) الإدريسى : ص ١٨٠ ، الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٤٢ .

ومن دور الصناعة التى كانت فى العصر المرابطى وظلت تؤدي دورها فى العصر الموحدى بجاية ، شنتمرية ، دانية وطرطوشة .

قادة الأسطول الموحدى :-

ضم الأسطول الموحدى عناصر متميزة من القيادات ، فقد أسند الموحدون قيادة أساطيلهم إلى ملاحين عملوا من قبل وتمرسوا فى قيادته ، أمثال بنو ميمون[١] قادة الأسطول المرابطى ، وأشار ابن خلدون إلى ذلك قائلا "وكان الجانب الغربى من هذا البحر موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة فكان قواد الأسطول به لعهد لمتونة (أى المرابطين) بنى ميمون رؤساء جزيرة قادس ومن أيديهم أخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم [٢] " .

وضم الأسطول الموحدى فى عهد الخليفة عبد المؤمن قادة من أشياخ الموحدين، فقد عين الخليفة عبد المؤمن أحد "أهل خمسين" [٣] وهو عبد الله بن سليمان قائدا على أسطول سبته [٤] .

---

(١) انظر الفصل الأول من الباب الأول .
أورد المراكشى أن أهل المرية حاولوا إقامة القائد أبى عبد الله محمد بن ميمون واليا عليهم ، ولكنه اعتذر بقوله "إن وظيفتى البحر وبه عرفت ، فكل عدو جاءكم من البحر فأنا لكم به فقدموا على أنفسكم من شئتم غيرى"
المراكشى : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٣) أهل خمسين : هم الطبقة الثانية حسب تصنيف المهدى . لأصحابه ، وهذه الطبقة لاتجمعها طبقة واحدة بل هم قبائل شتى ، وكان المهدى يسميهم "المؤمنين"
المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٤) مثلث مدينة سبته مركز قيادة الأسطول الموحدى فى المغرب ، كما كانت مدينة إشبيليه مقر قيادة الأسطول الموحدى فى الأندلس .

عبد الله بن ميمون [١] :

من أبرز قواد الأسطول الموحدى ، قاد الأسطول الموحدى فى فتح المهدية[٢]، وفى سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م كان قائد الأسطول الموحدى عندما حاصر الصقليون المهدية .

وتكون الأسطول الموحدى بقيادة عبد الله بن ميمون من سفن أندلسية ومغربية، واستطاع هذا الأسطول هزيمه الأسطول النورماندى وإحراق عدد من سفن صقلية وإغراق عددا آخر [٣] .

عبد الله بن سليمان :-

هو أبو عبد الله بن سليمان التينمللى ، من كبار قادة الخليفة عبد المؤمن، تولى أسطول سبته فى عهد الخليفة عبد المؤمن بعد قضائه على الثورة التى قام بها القاضى عياض سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م . كما قضى على ثورة يصلان بن المعز ، والثائر على بن قسى [٤] .

ولعب هذا القائد دورا كبيرا فى استرجاع مدينة المرية سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م، فقد أشارت الرسالة الموحدية الخامسة إلى "أن أبا محمد عبد الله بن سليمان قائد الأسطول الموحدى وبعض أصحابه ركبوا القطائع نحو المريه ، فلما

---

(١) انظر الفصل الأول من الباب الأول .

(٢)مجهول: الحلل، ص١١٧، البيذق: المصدر السابق، ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) مجهول : الحلل الموشية ، ص ١١٧ .

(٤) البيذق : المصدر السابق ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٢٥ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٤ ، ٥٥ .

شاهدهم النصارى تحصنوا بشخاتيرهم (سفنهم) فملئوها سلاحا ورجالا . ولكن أبا محمد ورجاله تمكنوا من قطع أحبال هذه الشخاتير ففر النصارى إلى داخل المدينة فتبعهم الموحدون ودخلوا المدينة من باب البحر واخترقوا المدينة وأشعلوا النيران فى منشآتها واستأصلوا بالقتل كل من أدركوه منهم حتى وصلوا إلى المسجد الجامع ثم عادوا إلى قطائعهم واجتثوا ماكان راسيا بالمرسى من الغراب والشخاتير فأحرقوا مالم يمكنهم جلبه معهم وغنموا من الآلات الحربية الشيء الكثير وعادوا إلى سبته منتصرين [(١)] ".

وقاد هذا القائد الأسطول الموحدى عند حصار المريه سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م[(٢)].

أبو العباس أحمد الصقلي :-

أصل هذا القائد من جزيرة جربة من أسرة نصرانية ، تولى قيادة الأسطول الموحدى فى عهد الخليفة عبد المؤمن ويشير ابن خلدون إلى ذلك "قلده الخليفة عبد المؤمن أمر أساطيله فجلى من جهاد أمم النصرانيه وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة فى دولة البحرين [(٣)] .

وفى جمادى الأولى سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م تولى قيادة الأسطول البحرى إلى طريف وكان أسطوله يتكون من ثلاث عشرة قطعة [(٤)] .

وفى غرة رجب سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م استطاع أسر مائة وخمسين من أسارى

---

(١) رسائل موحدية : الرسالة الخامسة ، ص ١١ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥٢ .

(٤) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١٧١ .

الروم بأجفانهم بساحل مجر إشبيليه [١] .

وفى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م غزا بالأساطيل المنصورة ، يابسه واستطاع الاستيلاء عليها والقبض على ابن نجاح القائد الميورقى [٢] .

على بن الربرتير :-

هو أحد أبناء القائد القطلانى الأصل الذى تطلق عليه المصادر الإسلامية اسم الربرتير أو الأبرتير Roberto – El Revrter اختاره أمير المسلمين على بن يوسف قائدا لفرقة المرتزقة النصارى إلى أن قتل سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م .

اعتنق أحد ولديه الإسلام وتسمى عليا وأصبح من كبار قادة الموحدين وأسهم بدور كبير فى افتتاح جزر البليار ، توفى مقتولا على يد بنى غانية سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م [٣] .

عبد الله بن اسحاق بن جامع :-

أسند إليه الخليفة أبو يعقوب يوسف قيادة الأسطول الموحدى فى سبته[٤].

أبو العلا بن جامع :-

تولى قيادة الأسطول الموحدى عند إخضاع ميورقة لحكم الموحدين [٥] .

---

(١) المصدر السابق : ق ٣ ، ص ١٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٣ ، ص ١٩٧ .

(٣) ابن القطان : المصدر السابق ، ص ٩٦ ؛ح١، ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٩٣؛ح١.

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٧٧ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ؛ ابن خلدون: العبر ، جـ٦ ، ص ٥٠٧ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥١٦ .

محمد بن ابراهيم بن جامع :-

تولى قيادة القوات البحرية التى أرسلها الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى إفريقية والمغرب الأوسط ونزلت القوات البحرية الجزائر واستولت عليها [١] .

محمد بن عطوش :-

هو أحد قادة الأسطول الذى خاض المعارك فى إفريقية والمغرب الأوسط [٢].

يحيى بن الشيخ إبراهيم الهزرجي :-

تولى قيادة الأسطول البحرى الذى أرسلة الخليفة أبو يعقوب بن يوسف إلى ميورقة وهزم أمام عبد الله بن إسحق بن غانية [٣] .

غانم بن مردنيش :-

تولى قيادة الأسطول الموحدى فى سبته سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م ولعب دورا بارزا فى التصدى لأسطول مملكة البرتغال [٤] .

ويذكر ابن عذارى "أنه فى سنة ٥٧٥هـ اشتدت فتنة النصارى فى البر والبحر فولى أمير المؤمنين غانم بن مردنيش على الأسطول بسبته فعبر البحر أولا غازيا مدينة أشبونه وتغلب فيها على قطعتين من قطائع الروم وانصرف إلى سبته"[٥] .

وكان له دور بارز فى معركة الأرك سنة ٥٩٥هـ/١١٩٥م [٦]

---

(١) المصدر السابق : جـ٦ ، ص ٥١٦ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ١٧٧ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥٠٧ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥١٦ .

(٤) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١٤٣ ؛ ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥٠١ ؛ الناصرى: المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٦١ .

(٥) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١٤٠ .

(٦) انظر الفصل الثالث من الباب الثانى .

أبو العلا إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن :-

تولى قيادة الأسطول فى عصر الناصر الموحدى [١] فكان قائد الأسطول الذى أرسل إلى جزيرة ميورقة سنة ٥٩٥هـ/١٢٠٢م للقضاء على قوات عبد الله بن إسحق بن غانيه ، وتكون هذا الأسطول من ثلاثمائة جفن منها سبعون غرابا وثلاثون طريدة وخمسون مركبا كبارا [٢] واستطاع هزيمة عبد الله بن اسحق بن غانيه وقتله .

كما تمكن هذا القائد من الاستيلاء على جزيرة منورقة وأسر عاملها ابن نجاح . ويشير ابن عذارى إلى ذلك قائلاً "أسرى السيد أبو العلا بأسطول سبته وبطش بهم الأسطول قبل التئام أحوالهم وترتيب قتالهم فدخل البلد (منورقة) عنوة وقبض على ابن نجاح وصيره مع أصحابه إلى الحضرة (مراكشى) فهلك بها[٣] ".

وفى سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م كان قائد أسطول جزر البليار وقائد أساطيل البرين الأندلس والمغرب فى الإغارة على سواحل مملكة أرغون وقطلونية التى كانت تتحرش بجزر البليار . ويشير ابن عذارى قائلا "وفيها تحرك السيد أبو العلا الكبير قائد أساطيل البرين إلى برشلونة بجميع أجفان العدوة والأندلس فكانت أحسن حركة للمسلمين وأوحش فجيعة وأعم وقيعة وأوقع خسارة

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥١٦،٥١٧ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ٥١١ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٥٧ ، الحميرى : المصدر السابق ، ٥٦٧ .

(٢) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٣١٤ ؛ الحميرى : المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢١٦ .

بقلوب الكافرين [١] ".

عبد الله بن طاع الله :-

تولى قيادة أسطول سبتة قبل سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م [٢] .

أبو عبد الله بن عبد السلام الكومي :-

تولى قيادة أسطول سبته سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣ بدلا من القائد عبد الله بن طاع الله [٣] .

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٣٤ .

(٢) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق ٣ ، ص ٢٤٢ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥١٦ .

(٣) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق ٣ ، ص ٢٤٣ .

أنــــواع السفــن :-

تعددت أنواع السفن الحربية الموحدية واختلفت مهامها ومن أهم أنواعها :-

الأجفــــان :-

تطلق كلمة "أجفان" فى المغرب والأندلس عامة على السفن عامة [١] ، وورد ذكر الأجفان فى العديد من المصادر على إنها مجموع قطع الأسطول الموحدى على اختلاف أنواعها [٢] .

وغالبا ما كان أهل المغرب الإسلامى يحولون الأجفان التى يستولون عليها من أعدائهم إلى أجفان إسلامية ، ويشير إلى ذلك ابن عذارى "أن الخليفة أبا يعقوب فى سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م استطاع أن يحرز نصرا على الأسطول البرتغالى ويعكس عدة من أجفانه فيصيرها إسلامية بعد أسر جميع ما فيها [٣]".

وأشار ابن عذارى إلى الخفة والسهولة التى امتازت بها تحركات قطع الأسطول الموحدى فى حملة الخليفة المنصور على مملكة البرتغال سنة ٥٨٧هـ/١١٩٢م . قائلا "ووصلت الأجفان البحرية بالعدد الحربية وقد تسابقت لدخول الوادى بتيسير يعجز العقول عن تكييفه" [٤] .

وأشار الحميرى عند وصفه لاستعدادات الخليفة محمد الناصر لاسترداد

---

(١) درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف العجم ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ، ص ٢٤ ؛ رضوان البارودى : الحياة الحربية فى عصر الدولة المرينية ، ص ٣٠١ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٥٩ ، ١٧٢ ؛ مجهول :الحلل الموشية ، ص ١١٧ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٦٧ .

(٣) ابن عذارى : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ١٧٧ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ١٨٤ ،المراكشي: المصدر السابق ،ص٢٨٠ .

جزر البليار قائلا "وكان الأسطول فى ثلاثمائه جفن منها سبعون غراب وثلاثون طريد وخمسون مركبا كبارا [١]".

وكثيرا ما يلحق لفظ الأجفان بكلمة الغزوانية إشارة إلى استخدامها فى الحروب[٢] .

الطريدة :-

جمعها طرائد : وهى سفينة حربية صغيرة الحجم سريعة الحركة [٣] .

وذكر ابن أبى زرع على لسان الملك الفونسو الثامن ملك قشتالة فى رسالة إلى الخليفة المنصور الموحدى يطلب منه فيه على سبيل التحدى والسخرية أن يبعث إليه بقطع من أسطوله من ضمنها الطرائد ليغزوه بها فى عقر داره وكان ذلك قبيل موقعة الأرك [٤] .

وتستخدم الطريدة فى حمل الخيول وتحمل حوالى أربعين فرسا ، ولم تقتصر مهامها على ذلك بل كانت تحمل الأفراد أيضا [٥] .

---

(١) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٥٦٧ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ،ص ١٥٩ ؛ د. رضوان البارودى : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

(٣) أخذ الأفرنج عن العرب هذه التسمية فعرفت بالأسبانية باسم Tarida وبالإيطالية باسم Tartama .

محمد ياسين الحموى : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٤) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٥) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢١١ ، ياسين الحموى : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

الغـــــراب :-

جمعها "أغربه" وهى سفينة شراعية صغيرة من طبقة واحدة ذات صارى أو صاريين ، وكانت تستخدم عادة فى الأغراض العاجلة لسرعتها [١] .

واستخدمه الموحدون لهذا الغرض ذاته ووصفه بـن صـاحب الصـلاة "بأنـه طيـار لسرعته [٢] . كمـا كـان يسـتخدم فـى عمليـات الاسـتطلاع البحـرى قبـل القتال[٣] .

الشينــــى :-

جمعها "شوانى" وهى سفينة حربية ضخمة [٤] وقد ورد ذكرها كأحد قطـع الأسطول الموحدى والبرتغالى [٥] .

القــــارب :-

جمعها "قوارب" والقارب عبارة عن مركب صغير يستخدم لربط الصلة بين السفن الكبيرة والشاطىء [٦] وهو أحد القطع الملحقة بالأسـطول الحربـى يسـتخدم فى القتال للرمى وقت الحرب فى البحز وذلـك لسـرعة دورانـه وخفـه حركتـه ، ويمكن استخدامه لنقل العساكر فيه أو لعمليات الإنزال إلى البر [٧] .

---

(١) ياسين الحموى : المرجع نفسه ، ص ٣٨ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .

(٣) درويش النخيلى : المرجع السابق ، ص ١٠٩ ؛ رضوان البارودى : المرجع السابق ، ص ٢٩٩

(٤) النويرى السكندرى : المصدر السابق ، لوحه ١٢٣أ .

(٥) المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، ١٨٥ ؛ ابن الأثـير : المصـدر السـابق ، جـ١١ ، ص ٢٤٢ .

(٦) رضوان البارودى : المرجع السابق ، ص٣٠٣ .

(٧) د. درويش النخيلى : السفن الإسلامية ، ص ٦٠ .

وورد ذكر القوارب عندما ذكر الحميرى استعدادات الأسطول الموحدى للتحرك نحو جزر البليار [١] .

الحمـــالات :-

مفردها حمالة كانت من ملحقات الأسطول الحربى وهى مخصصة لنقل مؤونة الجيش والصناع والخدم الملحقين بالجيش والأسطول [٢] .

البطســـــة :-

هى سفينة عظيمة الحجم ، كثيرة القلوع ، يصل عدد القلوع فى البطسة الواحدة إلى أربعين قلعا .

وتشحن هذه السفن بالغلال والأقوات والمير والأموال والنفقات خاصة للمدن الساحلية المحصورة بالإضافة إلى شحنها بآلات الحرب والقتال من أسلحة وذخائر وأدوات الحصار [٣] .

القراقيـــر :-

مفردها قرقور أو قرقورة ، وقد استعمل الفاطميون هذا النوع من السفن فى أسطولهم الحربى [٤] ، واستعملة الموحدون فى أسطولهم الحربى أيضا [٥] .

المراكب السفرية :-

هى نوع من السفن التجارية التى ألحقت بالأسطول وقت الحرب ، وكانت مكلفة بنقل المؤن والعتاد للمقاتلين [٦] .

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦٧ .
(٢) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .
(٣) درويش النخيلى : المرجع السابق ، ص ١٤ .
(٤) د. عبد المنعم ماجد ، سفن الأسطول الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٥٠ .
(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٥٣ .
(٦) د. عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

الفصل الثانى

"دور البحرية فى تكوين دولة الموحدين"

توحيد المغرب الأقصى وإفريقيه :-

كان للبحرية المغربية الموحدية دور كبير وأساسى فى نجاح الموحدين فى السيطرة على بلاد المغرب وأفريقية

أولاً : المغـــــرب :

أ- فاس [1] :

يعتبر تولية الخليفة عبد المؤمن بن علـى رياسـة الموحديـن حدثـاً كبيراً ، وفاتحة عهد جديد فى تاريخ الدولة الموحدية وهو عهد التوطد والنماء .

وفى ربيع الأول ٥٢٦هـ/يناير ١١٣٢م ، بدأ الخليفة عبد المؤمن فتوحاته لتوحيد المغرب ، فخرج من تينملل [2] فى جيش كبير من الموحدين يبلغ حوالى ثلاثة آلاف جندى إلى درعة [3] واستولى عليها .

---

(١) فاس : تقع على مقربة من وادى سبو ، وظلت الطريق الطبيعى الذى يربط العاصمة الموحدية وجزيرة الأندلس من جهة ، وبين إفريقية وباقى أطراف الدولة من جهة أخرى . (خريطة٩) .
الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٢) تينملل : هى مؤلفة بالبربرية من تين بمعنى ذات و "ايمل" بمعنى الحواجز التى توضع فى سفوح الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسقى ، وهو الجبل الذى كان مهد دولة الموحدين أول الأمر ، وبها بنى الإمام ابن تومرت داره ومسجده ثم حصنها عبد المؤمن حتى غدت أمنع حصن، هذا إلى جانب وعورة مسالكها الأمر الذى يجعل الوصول إليها من أصعب المحاولات . (خريطة٩) .

الإدريسى : المصدر نفسه ، ص ٦٤ ؛ مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٨ ، الناصرى: المصدر السابق، جـ٢ ، ص ٧٨ .

(٣) درعة: مدينة بالمغرب بالقرب من سجلماسة،وهى عامرة بالسكان وبها أسواق كثيرة ومتاجر رائجة (خريطة٩) .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

وفى أواخر سنة ٥٣٨هـ/١١٤٤م سار الموحدون إلى فاس [١] ، وكان واليها يحيى بن أبى بكر الصحراوى [٢] وحاصروها لمدة سبعة أشهر [٣] ، وقاوم أهلها بقيادة واليها وقواته الموحدين مقاومة شديدة ، وكانوا يخرجون من وقت لآخر لقتال الموحدين ثم يعتصمون بمدينتهم .

لجأ الموحدون إلى عملية استراتيجية ، ذلك أنهم قطعوا مجرى النهر الذى يدخل المدينة ، وأقاموا عليه سداً منيعاً من الحطب والخشب ، فسالت مياه النهر إلى الوادى وتعالت حتى صارت بحراً تتلاطم أمواجه وانهارت بعض أجزاء السور من ضغط الماء المندفع وسقط معها باب السلسلة [٤] ، فبادر يحيى الصحراوى وجموعه إلى إصلاح ماتهدم من السور واجتمع المدافعون فوق الأسوار ، ونشبت بينهم وبين الموحدين معارك عديدة .

وحدث خلاف بين يحيى الصحراوى وبين أبى محمد عبد الله بن خيار الجيانى [٥] المشرف على المدينة الذى اتصل سراً بالموحدين وفتح لهم باب الفتوح

---

(١)الحلل الموشية ، ص ٢٠٦ .

(٢) يحيى بن أبى بكر بن على المعروف بالصحراوى ، كان حفيداً ليوسف بن تاشفين وتلقب بالصحراوى نسبة لأمه المعروفة بالصحراوية ، ولهذا سمى أيضاً ابن الصحراوية ، تولى قيادة المرابطين بالمغرب بعد مصرع تاشفين بن على ولكنه فر إلى الأندلس بعد سقوط فاس فى يد الموحدين وعمل هناك تحت إمرة يحيى بن غانية إلى أن كلفه الأخير بأمر سبته ، وعندما هُزم أمام الموحدين دخل فى طاعتهم وأمنه الخليفة عبد المؤمن .
البيذق : المصدر السابق ، ص ٦١٠ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٣) البيذق : المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٤) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٥) أبو عبد الله محمد بن خيار الجيانى ، كان مشرفاً على مدينة فاس عند دخول الموحدين لها ، وساعد الخليفة عبد المؤمن فى ذلك باتصاله به سراً ، توفى فى مراكش سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م .
ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

فتدفق منه الموحدون إلى داخل المدينة ، وخرج الجيانى فانضم إليهم ، ولما شعر الصحراوى بسقوط المدينة بادر بالفرار مع بعض أصحابة إلى طنجة [١] .

وكان دخول الموحدين فاس فى ١٢ ذى القعدة سنة ٥٤٠هـ/٢٦أبريل ١١٤٦م[٢].

ب- سبته [٣] :-

حرص الموحدون على ضم سبته باعتبارها معبراً ومجازاً لقواتهم إلى الأندلس ، وقد حاول الخليفة عبد المؤمن الاستيلاء عليها أثناء صراعه مع المرابطين سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م ووصلت القوات الموحدية إلى ريف سبته ولكنها لم تتمكن من اقتحامها[٤] .

ثم حاول الموحدون مرة أخرى فتحها حيث حاصرها عبد المؤمن فامتنعت عليه، وتولى الدفاع عنها واليها القاضي عياض [٥] ، ولكنه أعلن الدخول فى

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ٥٠ .

(٢) ابن خلدون : العبر : جـ٦ ، ص ٢٣٢ ؛ مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٣٦ .

(٣) خريطة ١٠ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ،جـ٤ ، ص ٩٩ .

(٥) القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى ، كان إمام وقته فى الحديث وعلومه والنحو واللغة ، دخل الأندلس طالباً للعلم ، تولى قضاء سبته ، واشتهر بالنزاهه ، توفى فى مراكش سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م .

ابن خلكان: المصدر السابق، جـ٣ ، ص ٤٨٣،٤٨٥ ؛ ابن الأبار: المصدر السابق،جـ٢ ،ص٢٢٠.

طاعته سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م [١] ، وقبل الخليفة عبد المؤمن بيعتهم ، وبعث معهم يوسف بن مخلوف التينمللى [٢] من مشيخة هنتانة والياً عليهم [٣] .

ولم يلبث أهل سبته أن خلعوا طاعة الموحدين فى العام التالى ٥٤١هـ/١١٤٦م[٤].

ويذكر ابن عذارى أن سبب ذلك ما أشيع أن والى المدينة الموحدى يوسف بن مخلوف قرر قتل قاضى المدينة أبى الفضل عياض [٥] الذى يبدو أنه لم يكن مخلصاً للدعوة الموحدية .

وبدأت هذه الثورة عندما قام أهل سبته بإلقاء القبض على من كان بقصبة المدينة من الموحدين وأشعلوا النيران فى البرج الذى تحصّن فيه بقية الجنود الموحدية ثم صلبوهم ، وقام القاضى عياض بعبور المضيق إلى الأندلس حيث التقى

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٣٠ .

(٢) يوسف بن مخلوف التينمللى : كان والياً على سبتهْ من قبل الموحدين وعندما قامت ثورة أهل سبته على الموحدين قُتل سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م .
ابن خلدون : نفس المصدر والجزء ، جـ٦ ، ص ٢٢٣ ؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٤، ٢٦ ، المقرى ؛ أزهار الرياض فى أخبار عياض، نشر: عبد الحفيظ شلبى وآخرون ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، جـ١ ، ص ٢٣، ٢٤ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٣٣ ؛ مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٤٦ .

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٣٢ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٣٣ .
وقد برر الناصرى خلع القاضى عياض طاعة للموحدين والدعوة لابن غانيه بالقول أن القاضى عياض عاد إلى طاعة المرابطين لأن لهم الحق فى الإمامة بطريق الأصالة .
الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

مع يحيى بن غانيه المسوفى (١) فى الجزيرة الخضراء، وطلب منه أن يرسل واليا من قبله إلى سبتة، فبعث معه يحيى بن أبى بكر بن يوسف بن تاشفين الملقب بالصحراوى (٢) ، فانضم إلى الصحراوى قبائل برغوطة ودكالة ، واستطاع الصحراوى إخضاع طنجة وسلا لطاعته (٣) .

وإزاء هذه التطورات أرسل الخليفة عبد المؤمن إلى قائد البحر أبى الحسن على بن عيسى بن ميمون يأمره بحصار سبته بحرا والقضاء على ابن الصحراوية وإعادة سبته إلى طاعة الموحدين (٤) .

حاصر على بن عيسى سبته حصارا بحريا شديدا ، فخرج إليه ابن الصحراوية وتودد إليه وأوهمه أنه يريد الدخول فى طاعة الموحدين وأن يكون توحيده على يديه وفى اليوم التالى نزل ابن ميمون من سفينته إلى البر ، فاستقبله ابن الصحراوية استقبالا حسنا ثم هاجمه فجأة وطعنه برمحه فأرداه قتيلا ، وصلب جثته فى برج المدينة (٥) .

---

(١) يحيى بن غانيه : هو أبو زكريا يحيى بن على بن غانيه ، من قبيلة مسوفة ثانية قبائل الصنهاجية الكبرى ، كان فارسا شجاعا وعاملا على مرسيه وبلنسيه .

ولما اشتد ضغط النصارى على قرطبة جاهدهم حتى استطاع ردهم ، ولما اشتط ملك قشتالة فى مطالبته ببعض المدن والحصون التابعه له اتصل بالقائد الموحدى براز محمد المسوفى وتنازل للموحدين عن قرمونة وقرطبة سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، ولجأ إلى غرناطة حيث توفى فى العام نفسه.

المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

(٢) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٣٢ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٣١ .

(٤) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٠٢ .

(٥) البيذق : المصدر السابق ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

ولذلك بعث الخليفة عبد المؤمن جيشاً كبيراً بقيادة يصلاسن بن المعـز [١] ، وأسطولاً بحرياً بقيادة أبى العباس أحمد الصقلى للقضاء على هؤلاء الثائرين .

حاصر الموحدون المدينة براً وبحراً ، ولما رأى ابـن الصحراويـة ذلـك طلـب الأمان من الخليفة الموحدى فأمنه ودخل فى طاعة الموحدين [٢] .

أما أهل سبته فقد اضطروا إلى إعادة الدعوة للموحدين خاصة بعد أن حاصر صلاسن بن المعز مدينتهم وقد كتب أهل سبته إلى الخليفة عبد المؤمن بن على مرة أخرى يعلنون له توبتهم ودخولهم فى طاعته ، فعفا عنهم وعن القاضى عياض ، وأمره بسكنى مراكش وأمر بهدم سور مدينة سبته فُهدم [٣] .

وولى الخليفة عبد المؤمن القائد أبا محمد عبد الله بن سليمان التينمللى والياً على سبته وأرسل معه مجموعة من الطلبة الحفاظ وذلك سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[٤] .

---

(١) يصلاسن بن المعز الهرغى : مـن زعمـاء قبيلـة هرغـه ، قـاد الموحديـن إلى عـدة انتصـارات فـى معاركهم ، قتله والى سبته عبد الله بن سليمان سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م بأمر من الخليفة عبد المؤمن. البيذق : المصدر السابق ، ص ١١٥،١١٦ ؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) الناصرى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٠٢ .

(٣) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٤) البيذق : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

ثانياً : فتح إفريقية [١] :-

رأى الخليفة عبد المؤمن أن يمد سيطرة الموحدين على بقية بلاد المغرب فيفتح إفريقيه (تونس) ، وكانت إفريقيه آنذاك مضطربة وغير مستقرة بسبب ضعف حكامها، وعبث العرب واستبداد المتغلبين من الزعماء والقبائل على بعض المدن ، بالإضافة إلى استيلاء النورمان على معظم الثغور من طرابلس حتى تونس[٢].

وكان روجر[٣] ملك صقلية ، قد استولى على جزيرة جربة [٤] فى سنة ٥٢٩ هـ/ ١١٣٥م ، وفى سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م استولى على طرابلس [٥] ، وفى سنة

---

(١) خريطة ١١ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٣٥ ؛ عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٢٠٢،٢٠٣ ؛ مراجع الغناى : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) روجر ملك صقلية : أعظم ملوك أسرة هوتفيل النورمندية فى صقلية وجنوب إيطاليا (٤٩٥،٥٤٨هـ/١١١١،١١٥٤م) تولى الملك بعد وفاة والده روجر الأول الذى استولى على جزيرة صقلية الإسلامية ووطد دعائم الحكم النورمندى فى هذه الجزيرة الاستراتيجية ، وأصبحت صقلية فى عهده قاعدة كبرى للعدوان الصليبى على الثغور الإسلامية فى الحوضين الغربى والشرقى للبحر المتوسط .
التجانى : المصدر السابق ، ص ٣٣١ ، الوزير السراج : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٧٢. ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٣٤،١٣٥ ؛ د. إحسان عباس : العرب فى صقلية ، دراسة فى التاريخ والأدب ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ ، ص ١٤٥ ، د عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة فى العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو ، ط٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٤) جزيرة جربه : تقع بالقرب من قابس ، وبها بساتين كثيرة .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ؛ الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٥) طرابلس: من مدن إفريقيه، وتقع على ساحل البحر المتوسط،وبها سوق وحمامات كثيرة (خريطة ١١).
مجهول : الاستبصار ص ١١٠ ، الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

٥٤٣هـ /١١٤٨م استولى على المهدية وسوسه وصفاقس وقابس [(١)] ، فخشى الخليفة عبد المؤمن أن تمتد سيطرة ملك صقلية على بونه وبجاية [(٢)] لضعف حكامها مما سيشكل خطراً على الموحدين فى المغرب [(٣)] .

ويشير ابن أبى زرع إلى الطريق الذى سلكه عبد المؤمن فى حملة على بجاية بدءاً من فاس إلى نهر ملوية ثم تلمسان التى أقام بها يوماً واحداً ، ومنها إلى الجزائر التى دخلها على حين غفله ، فخرج الأمير الحسن بن على بن يحيى بن تميم وكان قد انتقل إليها بعد سقوط المهدية فى أيدى النورمان ، فتلقاه عبد المؤمن بحفاوة بالغة[(٤)] ، وفر عاملها إلى بجاية وأخبر حاكمها يحيى بن عبد العزيز[(٥)] بمقدم عبد المؤمن واستيلائه على الجزائر ولم يمضى وقت حتى وصلت القوات الموحدية يساندها الأسطول البحرى إلى بجاية ، ودخلها الفتح أبو محمد ميمون بن على المعروف بابن حمدين [(٦)] ، وفتح أبوابها للموحدين ودخل فى

---

(١) صفاقس : مدينة بافريقية وبها أسواق وعمائر وعليها سور حجرى (خريطة١١) .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ ؛ الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) خريطة ١١ .

(٣) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٠٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ٤٤.

(٤) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٩٣ ، البيذق : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٥) يحيى بن عبد العزيز : كان حاكماً على بجاية ، وكان أميراً ضعيفاً ، يعشق اللهو والصيد ، وعندما استولى الموحدون على بجاية ذهب إلى الخليفة عبد المؤمن فى مراكش ودخل فى طاعته .
المراكشى : المصدر السابق ، ص ١١٠ ؛ البيذق : المصدر السابق ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٦) هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن على بن حمدين ، ينتمى إلى بيت عربى عريق ، تعلم بقرطبة، عمل بالقضاء حتى تولى منصب قاضى قضاة قرطبة سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م ، اختلف ابن حمدين مع المرابطين فعُزل من القضاء سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م، وبعد الفتنة فى قرطبة عين =

طاعه الموحدين ، وفر الأمير يحيى بن عبد العزيز إلى قسنطينه [١] ، فدخل عبد المؤمن بجاية وتم تطهيرها ، ودخل أهلها فى طاعة الموحدين [٢] .

وما إن تم لعبد المؤمن السيطرة على بجاية حتى واصل زحفه إلى قلعة بنى حماد [٣] معقل الحماديين [٤] . الأعظم وحصنهم الأمنع فاقتحمتها قوات الموحدين

=قاضياً للمرة الثانية سنة ٥٣٦هـ / ١١٤٣م وظل بالقضاء حتى قيام الثورة فى سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٥م وتسمى بأمير المسلمين وناصر الدين .

ابن الأبار : المصدر السابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(١) قسنطينه ، مدينة حصينه فى إفريقية (شرق المغرب الأوسط) محاطه بخندق عميق يحيط بها من ثلاث جهات ، تقع على جبل مرتفع لها بابان باب ميله فى الغرب ، وباب القنطرة فى الشرق وتشرف على بساتين واسعة ومزارع حنطة وشعير .
ويوجد داخل المدينه عين ماء يستقى منها اهلها من يساعدهم على الصمود أثناء الحصار ، وتحيط بها القرى العامرة والأراضى التى تتميز بخصوبتها ووفرة إنتاجها (خريطة١١) .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ؛ مجهول الاستبصار ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) المراكشى : المصدر السابق ، ص ١١٣ ، ١١٤ ؛ البيذق : المصدر السابق ، ص ٧٣ ، ٧٤ .
ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ ؛ مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١١٢ .

(٣) قلعة بنى حماد : بنى هذه القلعة حماد الصنهاجى على جبل عجيسه من جبال كتامة سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م ، فأصبحت عاصمة للدولة الحمادية فى المغرب الأوسط .
وفى عصر الناصر بن علناس بن حماد (٤٥٤ ، ٤٨١هـ/١٠٥٩،١٠٨٦م) انتقل كرسى المملكة إلى مدينة بجاية ، فقلت أهمية القلعة خصوصاً بعد أن نقل ملوك بنى حماد ماكان بها من آثار وزخرف إلى بجاية (خريطة١١)
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٦٩ ؛ أحمد توفيق المدنى : الجزائر ، دار الكتاب ، الجزائر، ١٩٦٣ ، ص ٢٣٤ .

(٤) الحماديين هم فرع من دولة آل زيرى ابن مناد الصنهاجى وتنسب الى مؤسسها حماد الصنهاجى، قامت بالزاب والمغرب الأوسط، وقد انقسمت دولة الصنهاجين فى المغرب منذ عهد

عنوة ، ودمرت عمائرها وضربت عمرانها وأضرمت بها النيران ، وسقط واليها جوش بن عبد العزيز قتيلا ، وبلغ عدد القتلى نحو ثمانية عشر ألفا من أهلها ، واستولى الموحدون على الغنائم والسبى (١) .

وفى أواخر سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م أمر الخليفة عبد المؤمن ابنه محمد بن عبد الله(٢)، أن يشن الغارات على نواحى إفريقية ، وأن يضيق على تونس ويمنع عنها المرافق التى تصل إليها (٣) ، لذلك سار عبد الله بقوات برية يصاحبها أسطول بحرى كبير ، وضرب الحصار على تونس برا وبحرا وقطع أشجارها ومنع المياه عنها(٤).

ضاق عبد الله بن خراسان والى تونس من شدة حصار الموحدين له برا وبحرا ، فخرج بقواته وأهل تونس لقتال محمد بن عبد الله ، واستطاع هزيمته وفك الحصار البرى والبحرى على المدينة ، وعاد محمد بن عبد الله إلى بجاية وبعث إلى أبيه يخبره بذلك (٥) .

=نصير الدولة باديس بن المنصور بن بلكين سنة ٤٠٥هـ الى شعبتين ، شعبة من آل باديس وكان مقرهم المهدية ، وشعب ومن آل حماد ومقرهم قلعة حماد ، وكان أخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيزى الصنهاجى (٥١٥-٥٤٧هـ/١٢١١-١١٥٢م) الذى انقرضت فى عهده دولة بن حماد .
أحمد توفيق المدنى : المرجع السابق، ص٢٨٣.

(١) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٠٨ .

(٢) محمد بن عبد الله : كان واليا على بجاية ، واستمر واليا عليها إلى أن استشهد فى موقعة "مرج الرقاد" سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م .
ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

(٥) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ١١ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

قرر الخليفة عبد المؤمن بن على الخروج بنفسه لفتح إفريقيه وأراد ان يحقق من هذه الحملة أمرين ، أولهما الاستيلاء على تونس والمناطق الخارجة على سلطانه من قابس وقفصه وشط الجريد والتوسع شرقاً إلى طرابلس [١] ، وثانيهما : تحرير المهدية من سيطرة النورمان [٢] .

وكانت الثورة على الاحتلال النورمانى قد شملت مناطق عديدة من إفريقية (المغرب الأدنى) إبتداءً من جربه وصفاقس على يد عمر بن أبى الحسن الذى أمر بقتل جميع النصارى [٣] فيها سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م إلى طرابلس على يد الشيخ أبى يحيى بطروح الذى أسر جميع الجالية النصرانية فيها فى سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، ثم مدينة قابس ، وكان الموحدون قد استولوا على بجاية و ربونه ولم يبق بأيدى النورمان غير مدينة المهدية [٤] .

وفى اوائل سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م اجتمع أهل زويلة وصفاقس ومن معهم من الأعراب وحاصر المهدية ، فبعث وليم روجر [٥] ملك صقلية أسطولاً لنجدة المهدية

---

(١) المراكشى : المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

(٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ١١ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٣) يذكر التجانى فى رحلته ان الملك روجر الثانى ملك صقلية قد ولى عمر بن الحسن على صفاقس ، وأخذ والده الشيخ أبا الحسن القريانى رهينة عنده ، لكى لايحيد عمر عن طاعته ، ولكن الشيخ أبا الحسن قد أرسل سراً إلى ابنه بأن ينتهز أول فرصة لتحطيم قوة النصارى ولايهتم بمصير أبيه، وبخروج عمر بن الحسن على النصارى عمدوا إلى شنق أبيه الشيخ وهو يتلو القرآن الكريم .
التجانى : المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٤) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١١٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ،ص ٧٦،٧٧،٩١،٩٩، ابن رسته : الاعلاق النفيسه ، ليدن ، ١٨٩١ ، ص ٣٣٨،٣٣٩ .

(٥) وليم روجر : تولى بعد وفاة والده الملك روجر سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م ولم يكن يتمتع بكثير من مقدرة أبيه وحزمه ، واضطربت شئون المملكة فى عهده ، توفى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م .
عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

إخضاع الثوار ، واستطاع إستمالة الأعراب بالمال والعطايا فانسحبوا من المعركة ، وانحصر القتال بين الفرنج وأهل زويلة وصفاقس ، وانسحب أهل صفاقس بطريق البحر ، وقاوم أهل زويلة الفرنجة بمفردهم وارتدوا إلى بلدهم ، وقاتلوا تحت أسوارها حتى فنى معظمهم ودخل الفرنج زويلة [1] .

فر جماعة من أهل زويلة وغيرها من الثغور المنكوبة إلى الخليفة عبد المؤمن وهو فى مراكش يستغيثونه ويستنصرونه لرد عدوان الفرنج عنهم [2] .

وفى أوائل شوال ٥٥٣هـ/نوفمبر ١١٥٨م خرج الخليفة عبد المؤمن من مراكش قاصداً إفريقية ، فأمر ولاته بتخزين الحبوب ، وحفر الآبار التى يستفيد منها الجيش خلال مسيره ، كما بعث إلى أهل الثغور البحرية بإنشاء السفن والأجفان [3] .

وتألف الجيش الموحدى من مائه ألف مقاتل [4] ، وسار الأسطول فى نفس الوقت قبالة شاطىء البحر المتوسط بقيادة أبى عبد الله بن ميمون ، وكان مكوناً من سبعين سفينة حربية من الشوانى والطرائد والشلندات [5] .

وخرج الخليفة عبد المؤمن من مراكش ، وسار إلى رباط الفتح ثم إلى سلا ، وتحرك من سلا فى شهر صفر ٥٥٤هـ / فبراير ١١٥٩م ومعه الحسن بن على الصنهاجى[6] أمير إفريقية السابق [1] .

---

(١) الزركشى : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصيه ، تونس ، ١٣٨٩هـ ، ص ٨ ؛ عبد الله علام : الدولة الموحدية للمغرب ، دار المعارف ، ١٩٧١ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٢) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٤) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ١١ ، ص ٩١ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ١١ ، ص ٩١ .

(٦) الحسن بن على الصنهاجى آخر ملوك بنى زيرى بن مناد أخذ يحث الخليفة عبد المؤمن على فتح إفريقيه واستنقاذها من الفرنجة ، وكان الحسن بن على صاحب المهدية سابقاً قد غادرها سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م إثر وصول الأسطول الصقلى لاحتلالها ، فسار بأهله إلى ابن عمر بن يحيى صاحب بجاية ابن عمه فى جزائر بنى مزغنه ، وعندما استولى الخليفة عبد المؤمن على هذه الجزائر سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م دخل طاعة الموحدين .

بدأت الحملة أحداثها بالوقوف أمام مدينة تونس فحاصرتها القوات البرية، وأحاط بها الأسطول الموحدى بقيادة أبى عبد الله بن ميمون ثلاثة أيام ، وطلب الموحدون من أهل تونس الدخول صلحا فى طاعتهم ، ولكن واليها أحمد بن خراسان[٢] الذى استقل بها لم يرضخ لطلبه ، فبدأ الموحدون يهاجمون المدينة، وعندما أقبل الليل أقبلت فئه من أعيانها تطلب الأمان فأجيبوا إلى طلبهم على أساس الأمان فى أنفسهم وأهلهم فقط،أما الأموال والأملاك فالنصف بينهم وبين الموحدين[٣]، ودخل الموحدون المدينة فى جمادى الأولى سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م وترك عبد المؤمن عليها جيشا من الموحدين [٤] .

أقام الخليفة عبد المؤمن فى تونس ثلاثة أيام ، وغادرها فى قواته إلى المهدية ، والأسطول يلاحقه فى البحر، ووصل إليها فى ١٨ رجب ٥٥٤هـ/ ٥أغسطس ١١٥٩م[٥].

استعد الفرنج بالمهدية للدفاع عنها ، وكان بها حامية تتكون من ثلاثة آلاف مقاتل ، وأخلى الفرنج ضاحيتها الشمالية ، وحاول الخليفة عبد المؤمن

الناصرى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٢٠ .

(١) ابن الأثير : المصدر نفسه ، جـ١١ ، ص ٩١ .

(٢) أحمد بن خراسان : كان واليا على مدينة تونس ، قاوم الموحدين عند محاصرتهم المدينة ثم دخل فى طاعتهم ، توفى سنة ٥٧٩هـ/١١٧٤م .
مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٥٤ .

(٣) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٤٨،١٤٩.

(٤) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٥٤ ؛ البيذق : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٥) المراكش : المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

وقواته اقتحام المدينة ولكنهم فشلوا لمناعة موقعها الطبيعى ، والبحر يحيط بها إلا من لسان متصل بالبر ، وأسوارها الحصينة العالية ، وكان الفرنج يخرجون لمقاتلة الموحدين من وقت لآخر ، ثم يعودون إلى الاعتصام بالمدينة [١] .

أدرك الخليفة عبد المؤمن صعوبة الاستيلاء على المهدية لأن المدينة كانت تتلقى الإمدادات من صقلية عن طريق البحر لذلك قرر فرض الحصار عليها برا وبحرا واستمر الحصار لمدة سبعة أشهر [٢] .

وفى أثناء الحصار قدم أسطول افرنجى مكون من مائه وخمسين سفينة مشحونة بالأقوات والمقاتلة لإمداد الفرنج فتلقاه الأسطول الموحدى ، ونشبت بين الأسطولين معركة بحرية انتصر فيها الأسطول الموحدى بقيادة أبى عبد الله بن ميمون وأسر من الأسطول الفرنجى سبع شوانى وأجبر الباقى على التراجع [٣] .

استمر الحصار على أشده حتى آخر شهر ذى الحجة ٥٤٩هـ/١١٥٩م، ونضبت الأقوات ، ولما ضاق الفرنج من هذا الحصار ورأو من ضخامة جيوش الموحدين وأساطيلهم طلبوا من الخليفة عبد المؤمن النزول عن المدينة مقابل المسير بأمان إلى صقلية ، فوافق الخليفة على ذلك ودخل المهدية فى ١٠ محرم ٥٥٥هـ/٢١يناير ١١٦٠م [٤] .

---

(١) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٢٢ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٣٧ ؛ ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(٣) ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٩١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ١٢ ؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٤) مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١١٧ ، ١١٨ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٤١ ؛ أندريه جوليان : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٤ .

أقام عبد المؤمن فى مدينة المهدية عشرين يوما ، رتب أحوالها وأصلح سورها، ثم نقل إليها الذخائر والأقوات.والرجال وعاد إلى مراكش [١] .

وبذلك ثم توحيد بلاد المغرب لأول مرة منذ الفتح ، العربى وأصبحت دولة الموحدين فى أقصى اتساعها ، تمتد من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا ، ومن الصحراء الكبرى وغانه جنوبا إلى بلاد الأندلس شمالا حتى نهر التاجه .

الموحدون وبنو غانية [٢] فى الجزائر الشرقية :–

أسهمت الجزائر الشرقية بدور كبير فى الجهاد البحرى منذ استقرارها فى طاعة المسلمين ، وخاصة فى عصر مجاهد العامرى ثم دخلت فى طاعة المرابطين سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م ، وتعاقب ولاتهم عليها حتى وليها سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م محمد بن على بن يحيى المسوفى المعروف بابن غانيه [٣] .

---

(١) مجهول : الحلل الموشية ، ص ١١٩ .

(٢) بنو غانيه : ينتمى بنو غانيه إلى قبيلة مسوفه وهم أبناء عمومه قبيلة لمتونة ، وهم من بطون صنهاجه الكبرى وهم أبناء على بن يوسف المسوفى وقد أنجب على هذا ولديه يحيى ومحمد ، وكان يحيى من قواد المرابطين واستقر محمد فى جزر البليار ، وكان يغزو بلاد الروم مرتين فى كل سنة ، فقوى أمره وهابه ملوك أوربا ، وتوفى سنة ٥٧٩هـ/١١٨٥م ولم تخضع شوكة بنى غانية للموحدين إلا فى عصر الناصر وخاصة يحيى بنى غانية .

ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٣٩٠ ؛ المراكشى : المعجب ، ص ١٧٦، ١٧٧،

. Bel: Les Benou Ghania'Paris,1903,P.

(٣) محمد بن على بن يحيى المسوفى ، قائد عسكرى باسل تصدى لقوات ملك أرغون الفونسو سنة ٥١٩، ٥٢٠هـ/٢٥، ١١٢٦م ، كان عاملا على بلنسيه وملحقاتها سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م ثم على مرسيه ٥٢٥هـ/١١٣٠م توفى فى ١٤شعبان ٥٤٣هـ/٢٩ديسمبر ١١٤٨م .

وكانت ميورقة تقف موقف العداء من الموحدين إلى جانب شعورها بالإطمئنان من خطرهم لانشغالهم بثورة ابن مردنيش [(١)] ، فأخذ إسحاق بن محمد بن غانيه [(٢)] فى مهادنتهم ومراسلتهم ، ولقى قبولا لدى الموحدين ، ولكن ما إن استقرت أوضاعهم فى شئون الأندلس حتى اتجهت أنظارهم نحو هذه الجزر لأهميتها البحرية والتجارية. وقام أبو يعقوب سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م بدعوة بنى غانية للأعتراف الرسمى بطاعة الموحدين .

وهنا اختلفت آراؤهم بين مؤيد ومعارض ، وعقب وفاة إسحاق سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م وولاية ابنه محمد [(٣)] ، وجه الخليفة أبو يعقوب إليهم رسوله أبا الحسن على بن الربرتير لمعرفة موقفهم من دعوتهم [(٤)] ، فدخل محمد فى طاعتهم

ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٩١ ، ٩٣ ؛ مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٦٧ ، ٧٠ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٤ ، ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(١) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .

(٢) إسحاق بن محمد بن غانيه ، تولى حكم البليار سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م ، وأصبحت جزر البليار فى عهده قوة بحرية إسلامية كبيرة ، وبنى أقوى أسطول بحرى فى عهده ، وقام بحملات بحرية متواصلة على السواحل والجزر المسيحية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، توفى فى سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م .

ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢١٥ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٥٨، ابن خلكان: المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ١٨ ،زامباور: معجم الأنساب ، ٩١ .

(٣) محمد بن إسحاق : تولى عقب وفاة أبيه إسحاق سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م أعلن طاعته للموحدين مما أدى إلى استيلاء أخيه على السلطة بالقوة ، واعتقله فى صفر ٥٨٠هـ/٣يونيه ١١٨٤م .

المراكشى : المصدر السابق ، ص ٣٤٤ .

(٤) ابن القطان : المصدر السابق ، ص ٦٩ .

ولكن أخاه عليا[1] رفض ذلك وأقصاه عـن الحكم وتولى مقاليد السلطة ورأى أن خير وسيلة للدفاع عن بلاده أمام الموحدين هئ الهجوم وهذا يعنى غزو عدوه فـى عقر داره لانشغالهم عنهم .

أولا :- على بن غانية والموحدون في افريقية :

عظم أمر علـى بـن غانيـه فـى أنحـاء إفريقيـه وبسـط سلطانه علـى سـائر انحائها، ولم يبق للموحدين سوى المهدية وتونس ودعا للخلافة العباسـية وتلقب بأمير المسلمين[2] .

اتجه على بن غانيه ببصره نحو المغرب تنفيذا لمخططه فاتجـه إلى بـلاد الجريد، وفى الطريق استمال طوائف العرب بالعطايا والصلات الجزيلة ، فـالتف حوله عرب بنى رياح وبنى جشم واستولى بمساعدتهم على قفصة [3] .

ووقـع اختيـار علـى بنـى غانيـه علـى مدينـة بجايـة لقربـها مـن الجزائـر الشرقية، وضمانا لسهولة وصول الإمدادات إليه ، وفى نفس الوقت بعدهـا عـن

---

(١) على بن إسحاق بن غانيه الملقب بالميورقى ، اسـتولى علـى السلطة بـالقوة وعـزل أخيـه محمـد لتخاذله وإعلان ولائه للموحدين فى صفر ٥٨٠هـ/يونيه ١١٨٤م ، قاد عدة معارك ضد الموحديـن فى إفريقية وجزر البليار ، قتل سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م .

= الحميرى: المصدر السـابق ، ص ١١٣ ؛ التجـانى: المصـدر السـابق ، ص ١٦٢ ؛ مجـهول : الاستبصار، ص ١٥٥ ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٤٦ .

(٢) محمد المرزوقى : قابس ، تونس ١٩٦٢ ، مكتبة الخانجى ، ص ١٨٦، ١٨٧ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٩١ .

قفصه : مدينة حصينه من بلاد الجريد فى إفريقية ، تحيط بها البساتين الواسعة لكثرة عيـون الماء حولها . (خريطة ١٢) .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٧٧ ؛ مجهول : الاستبصار ، ص ١٥٠ .

مركز الدولة الموحدية فى مراكش ، ذلك البعد الذى جعل من هذه المنطقة مصدر قلاقل وإزعاج للدولة نفسها [١] .

وقد أحسن ابن غانيه استغلال تلك الفرصة والاعتماد على خصوم الدولة ، ويشير إلى ذلك المراكشى قائلا "وخرج أسطول ميورقة إلى العدوة ، وقصد مدينة بجاية حين راسله جماعة من أعيانها يدعونه إلى أن يملكوه ولولا ذلك لم يجسر على الخروج" [٢] .

وفى ٦شعبان سنة ٥٨٠هـ/١٣نوفمبر ١١٨٤م ، أعد أسطولا بحريا مكونا من اثنتين وثلاثين سفينة [٣] وقيل عشرين [٤] وعلى متنها مائتا فارس وأربعة آلاف من المشاة بقيادة رشيد النصرانى متوجها إلى بجاية [٥] سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م[٦]، وقيل سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م [٧] .

وعندما بلغها بعث قائده رشيد للتحرى عن أحوال المدينة ، فلما تحقق من غياب واليها ، اقتربت السفن من البر ومدت مطالع الطرائد ، وخرجت منها جموع الفرسان حتى إذا تكاملت أعدادها على البر ، زحفت على

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٥٠٧ .

(٢) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .

(٣) الزركشى : المصدر السابق ، ص ١٥ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٩٠ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٦٦ .

(٥) المراكشى : المصدر نفسه ، ص ١٥٣ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٦) المراكشى : المصدر نفسه ، ص ١٥٣ ؛ الحميرى : المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .

(٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص١٧٥ ؛ الزركشى : المصدر نفسه ، ص ١٥ .

الأسوار الداخلية مستعينة بالجواسيس حتى استولى على ابن غانية على المدينة بأكملها[١].

ويشير ابن عذارى إلى ذلك قائلا "فأفقرت بجاية بسائطها وقلت مادتها وغلت أسعارها ، وقل سكانها بهجرة كثيرين منهم واشتدت المجاعة وانتشر الوباء وعجز اهل البلد عن تكفين موتاهم وعن مواساة الأحياء فكانوا يصيحون فى الخرب وفى سكك المدينة زمرا أمواتا ذكورا وإناثا" [٢] .

أما ابن أبى زرع فيشير إلى ذلك قائلا "إنه (على بن إسحاق) أقتحم المدينة أثناء أداء الناس لصلاة الجمعة حيث لم تكن المدينة تغلق أبوابها وقت أداء الفريضة ثم حاصر الجامع فمن بايعه أخلى سبيله ومن رفض قام بقتله"[٣] .

وقام على بن غانيه بتنظيم شئون بجاية ودعى لبنى العباسى وللخليفة أبى العباس أحمد الناصر لدين الله [٤] فى ٦شعبان ٥٨٠هـ/١٣ نوفمبر ١١٨٤م .

علم والى بجاية السيد أبو الربيع سليمان [١] وكان راحلا إلى مراكش ، وقرر العودة لاستعادة المدينة وكان معه ثلاثمائه فارس بالإضافة إلى ألف آخرين جمعهم أثناء عودته ، ولما علم ابن غانيه بذلك غادر المدينة لمطاردة السيد (أبو الربيع) [٢]

---

(١) بن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٤٤ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٢٤ ، ص ٣٢٨ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٣) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .

(٤) الخليفة العباسى الناصر بن المستضئ أحمد الحسن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس ابن الإمام المستضىء ، بويع بالخلافة سنة ٥٧٥هـ/١١٩٩م ، توفى سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م .
ابن الساعى: الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد، ١٩٣٤ ، جـ٩ ، ص ٢١١ .

فالتقى الاثنان بموضع يعرف "ياميلول فانحازت العرب أثناء المعركة إلى جانب ابن غانيه [٣] مما نتج عنه هزيمة والى بجاية وقتل عدد كبير من رجاله واستولى ابن غانيه على أمواله وأهله وسيرهم إلى بجاية فى حين فر أبو ربيع إلى تلمسان[٤] .

وعندما بلغ على بن غانية نزول شرف الدين قراقوش [٥] بقواته فى بلدة حمة مطاطة [١] من جهات طرابلس ، وقام بمراسلته وتحالف الطرفان واتفقا على

---

(١) السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن على ، كان شاعرا مشهورا ، كان واليا على بجاية ثم تولى ولاية تادلا ، لم يبايع المنصور عند توليه الخلافة فقبض عليه وأعدم سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م.

ابن أبى زرع: المصدر نفسه ، ص ١٤٣ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ ؛ ابن عذارى: المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٧١ ، ١٧٣ ؛ المقرى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٥،١٠٧.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٦٦ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص ١٦٦ .

(٤) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

تلمسان : قاعدة المغرب الأوسط وهى مدينة عظيمة تقع على سفح جبل يكسوه شجر الجوز ، ويحيط بها القرى والأرباض الحصينة ، وتتميز بحصانتها ومناعة أسوارها ، وتوفر المياه فيها من نهرين أحدهما إلى الشرق منها ، والآخر ينساب من جبل مطل عليها يدعى بجبل الصخرتين وعليه أرجاء كثيرة ، تروى مزارع واسعة وافرة الخصوبة كثيرة الإنتاج (خريطة١٢) .

الحميرى :المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٥) شرف الدين قراقوش التقوى : مملوك تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن أخى صلاح الدين ، استولى على برقة وطرابلس وعاث فسادا فى إفريقية سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م بالتحالف مع الأعراب، قام بدور خطير فى إفريقية وتحالف مع على بن إسحاق بن غانيه ضد الموحدين .

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٢٨٩ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، مكتبة القدسى ، ١٩٥١م ، جـ٤ ، ص ٢٠١ ؛ التجانى : المصدر السابق ، ص ١١١

قتال الموحدين معا ، ثم اقتسما البلاد بينهما نصفين ، فالبلاد الواقعة غربى بونة[٢] أى المغربين الأوسط والأقصى من نصيب على بن غانيه ، أما البلاد الواقعة شرقى بونة من نصيب قراقوش ، وتم التحالف بينهما على ذلك فى سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م [٣] .

سار على ابن غانية واستولى على مدينة توزر سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م ، وسار قراقوش بقواته وبحلفائه العرب إلى طرابلس واستولى عليها [٤] ، كما استطاع على بن غانية بمساعدة قراقوش الاستيلاء على إفريقيه شرقا وغربا إلا مدينتى المهدية وتونس[٥] .

ولما تولى الخليفة يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/٨٤-١١٩٩م) الخلافة كان أول عمل اهتم به هو إعادة الوحدة المغربية والقضاء على بنى غانيه وحلفائهم من

؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ، جـ٣ ، ص ٥٣ ؛ ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، المطبعة الحيدرية ، العراق ، ١٩٦٩ ، جـ٢ ، ص ١١٦ .

(١) حمة مطاطة : مدينة تقع بالقرب من قابس ، وسميت المدينة بالحمة لان بها حمة عظيمة مشهورة (خريطة ١٢) .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) مراجع الغنانى : قيام دولة الموحدين ، المكتبة الوطنية ببنغازى ، ليبيا ، ١٩٧١ ، ص ٢١٤،٢١٥ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٤٣ .

توزر : مدينة كبيرة من كورة قسطيليليه ببلاد الجريد من إفريقية تقع على طرف الصحراء (خريطة ١٢).

مجهول : الاستبصار ، ص ١٥٥ .

(٤) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٢٧١ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٢١١،٢١٢ .

الغز والأعراب [(١)] فى المغرب الأدنى (إفريقيه) لذلك قرر الخروج بنفسه وقيادة الجيش للقضاء على بنى غانيه واسترداد إفريقية .

شرع الخليفة يعقوب بتكثيف كتائبه وانتقاء رجاله [(٢)] ووزع على جيشه أسلحة جيدة كثيرة ، كما فرق عليهم أموالا جمة [(٣)] وبلغت جملة الحشود عشرين ألف فارس ماعدا المشاة .

وإلى جانب البر ، أعد الخليفة يعقوب أسطولا قويا عليه نخبة منتقاه من رجال البحر على رأسهم أبو محمد بن إسحق بن جامع وأبو محمد عطوش الكومى ، وأبو العباسى الصقلى ، ومن دونهم من الرؤساء الأعيان [(٤)] وأسند القيادة العامة فى البر والبحر إلى السيد أبى زيد بن السيد أبى حفص [(٥)] ومنحه حرية التصرف فيما يواجه من مشاكل [(٦)] .

---

(١) كان الأعراب يعيثون فسادا فى أطراف برقة إلى أقاصى المغرب وكانت لاتربطهم رابطة ولايتقيدون بعهد، يخضعون للقوة ويتمردون على كل سلطة عندما يشعرون بأى بادرة ضعف ، أما الغز فهم جنود أتراك تحت قيادة شرف الدين التقوى .

ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٣٥٥ .

(٢) ابن عذارى :المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٨٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٨٨ .

(٤) المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

(٥) السيد أبو زيد بن أبى حفص ، هو قائد الجيوش الموحدية لمحاربة ابن غانيه ، ولاه المنصور على مدينة تونس ، وعلى يديه دخل قراقوش فى طاعة الموحدين .

التجانى : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٨٨ .

وهذا الإعداد الضخم لحملتى البر والبحر يدل على تقدير واع لخطورة الموقف فى إفريقية ، وقد أثارت هذه الضخامة عجب المعاصرين فأيقنوا من النصر الآتى ، ومنهم الشاعر أبو بكر محمد الذى أنشد بهذا الصدد :

ليت الحوادث غدر غيانى تغفل . فأشاهد الفتح الذى يستقبل [١]

وعندما تحرك الجيش والأسطول من مراكش ومشى الجميع على قواعد من تظافر البحر والبر وتلاقى الفريقان على الفتح والنصر فارتجت الأرض برا وبحرا وملأت بالأنباء مسامع الخانقين طبلا وذمرا [٢] .

مهد الخليفة المنصور الطريق أمام الجيش والأسطول فبعث عيونه وجواسيسه بالكتب إلى أهل البلاد ، ويشير ابن عذارى إلى ذلك قائلا "كان أبو يوسف المنصور أتبع أمراء الجيوش البرية والبحرية كتبا لأهل سائر البلاد المغلوب عليها بالأمن والأمان والصفح والإحسان" [٣] ..

وبينما كان على بن إسحاق :يحاول جاهدا الاستيلاء على قسنطينه ، كانت القوات البرية الموحدية والأساطيل البحرية تتجه نحو الشرق تتصدى لابن غانيه [٤] .

بادر الأسطول الموحدى فاستولى على الجزائر قبل أن يصل إليها الجيش[٥]، ثم سار إلى مليانة [١] فاستولى عليها ، وتقدم القائد البحرى أبو العباس

---

(١) المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١٠٢ .

(٢) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٨٨ .

(٣) المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٥٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١٤٩، ١٥٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٣٩٣ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٣٩٣ .

الصقلى بسفينته من ميناء بجاية ، فدس عن طريق أعوانه الكتب إلى أهـل بجايـة يحثهم على الثورة على "ابن غانيه" ويخبرهم بقدوم الجيش والأسـطول الموحـدى ، فاستجاب أهل بجاية له ، واستطاع الموحدون اقتحام أبواب المدينة ، واستولوا على سفن بن غانيه وأطلقوا سراح الموحديـن ، بينمـا فـر يحيـى وأخـوه عبـد الله ولحقا بأخيهما على الذى كان يحاصر قسنطينه فى ذلك الوقت ، فاضطر إلى فـك الحصار عنها وانسحب بقواته إلى صحراء بلاد الجريد فى شـرق إفريقيـة ، واستعاد الموحدون بجاية فى صفر ٥٨١هـ/٢٢مايو ١١٨٥م[٢] .

تعقب السيد أبو زيد بن أبى حفص على بن غانيه ، الذى آثر الانسـحاب وتجنب الصدام مع الموحدين [٣] .

واصل على بـن غانيـه وأخـواه "يحيـى وعبـد الله "الفـرار إلى الصحـراء ، واستطاعوا جمع العديد من طوائفالعرب الناقمين علـى الموحديـن [٤] ، واسـتطاعوا

---

(١) مليانة : مدينة فى أحواز شيرو من أراضى المغرب ، وهى ذات أشجار وأنهار (خريطة ١٢) . الحميرى: المصدر السابق،ص ٥٤٧؛ البكرى: المصدر السـابق، ص٦٩؛ مجـهول: الاسـتبصار، ص١٧١.

(٢) ابن عـذارى : المصـدر السـابق،ق٣ ،ص١٥٠؛ مراجـع الغنـاى: المرجـع السـابق، ص ١٨١ ، ١٨٢.

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٣٩١ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص ٣٩١ .

الاستيلاء على قفصه سنة ٥٨٣هـ/١١٨٦م [١] ، ثم حاصروا توزر واستولوا عليها[٢].

كما واصل على بن غانيه إحراز الانتصارات واستعادة المدن من الموحدين ، فعاث فى معظم مدن إفريقية فسادا وتخريبا ماعدا مدينتى تونس والمهدية [٣] .

وقد دفعت هذه الأعمال والاضطرابات والى تونس عبد الواحد بن عبد الله الهنتانى [٤] إلى الاستعانة بالخليفة المنصور لتخليص الناس مما لحقهم من شر ابن غانيه وأعوانه [٥] .

أدرك المنصور مدى خطورة الأمر على دولته ، فأعد جيشا قوامه عشرون ألف مقاتل ، وسار على رأس هذا الجيش سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م ووصل إلى رباط الفتح ، ثم تابع سيره إلى إفريقية ، وكان قد عهد إلى رجاله بتمهيد الطرق ونصب الجسور وإعداد المؤن وكافة متطلبات هذه الحملة [٦] .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٧١ ؛ ابن عذارى، المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢١٨.

(٢) التجانى : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .
Abun . Nas (J) : A History of the Mghrib , 1971 , p. 15 .

(٣) اندريه جوليان : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٩ .

(٤) عبد الواحد بن عبد الله الهنتانى : والى تونس ، كان شهما صارما ، نكب بعد محاصرة قفصه وسقوطها فى يد المنصور سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م،توفى بنواحى بجاية فى طريقه إلى المغرب مسخوطا عليه.

ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٧٦ .

(٥) التجانى : المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٨٦ .

وفى إفريقيه حشد ابـن غانيـه قواتـه علـى مقربـة مـن القـيروان ، ووصـل المنصور إلى تونس ، ووجه قواته بقيادة السيد أبى يوسف يعقوب بن أبى حفص[(١)] والقائد البحرى على بن الربرتير لقتال ابن غانيه ، فـالتقى الفريقـان علـى مقربـة من موقعة سهل عمره [(٢)] سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م [(٣)]، ظهر فيها مدى افتقـار حملـــة المنصــور إلى التخطيط والتنظيم الحربى السليم ، حيث اندفع ابن الربرتير بجنـده تجاه جند ابن غانيه الذيــن تلقـوه بسـهامهم فسـقط معظـم رجالـه مـا بـين قتيـل وجريح، ووقع ابن الربرتير أسيرا فى يد ابن غانيه [(٤)] .

وانتهت المعركة بهزيمة شديدة للقوات الموحدية ، وفقـد وقتـل عـدد كبـير من رجالها ، فى حين نجا أبو يوسف بن أبى حفص من هول المعركـــة ، وقضـى ابن غانيه على الجرحى فى مدينة قفصه بالإضافة لقتلـه للقائـد البحـرى ابـن الربرتير ، وتركت هذه الموقعة أثرا سيئا فى نفس المنصور [(٥)] .

(١) أبو يوسف يعقوب بن أبى حفص ، ابن عم الخليفه المنصور يعقوب تـولى قيـادة الجيـش لمقاتلـة ابن غانية فى موقعة سهل عمرة ، ثم تولى ولاية إشبيليه ، واشترك فى موقعـة الأرك واستشـهد فيها .

ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١٩٢ .

(٢) سهل عمرة : فحص من أحواز قفصة من بلاد الجريد فى إفريقية .

الحميرى: المصدر السابق ،ص ٤١٤.

(٣) التجانى : المصدر السابق ، ص ١٣٦ ؛ ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١٨٨، ١٨٩ .

(٤) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١٨٩ .

(٥) ابـن الأثـير : المصـدر السـابق ، جــ١١ ، ص٥٢١؛ النـاصرى : المصــدر الســابق ، جــ٢ ، ص١٦٠، ١٦١.

أعد المنصور جيشا جديدا ، وخرج من تونس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م [١] وتوجه صوب القيروان للقاء ابن غانيه ورجاله ، وعندما وصلها بعث إلى ابن غانيه رسولا طالبا منه الدخول فى طاعة الموحدين ولكنه رفض ، فقرر قيادة الجيش بنفسه فى هذه المعركة واستطاع هزيمة ابن غانيه عند حمة مطاطة [٢] فى ٩ شعبان ٥٨٣هـ/أكتوبر ١١٨٧م [٣] .

---

(١) رسائل موحدية : رقم ٣٠ ، ص ١٨٤ ، ١٨٦ .

(٢) مجهول : الاستبصار : ص١٥ ؛ رسائل موحدية : رقم ٣٠ ، ص ١٨٥،١٨٦ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ١٩١ .

(٣) المراكشى: المصدر السابق ، ص ١٤٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٥٠٩ ، ابن الأثير: المصدر نفسه ، جـ١١ ، ص ٥٢١ .

ثانيا : يحيى بن غانيه والموحدون :-

توفى على بن غانية سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م ، وخلفه أخوه يحيى بن غانية[١] الذى سار عل سياسة أخية العدائية للموحدين ، فاستولى على طرابلس[٢] وقابس سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م [٣] ، واستطاع الاستيلاء على المهدية ٥٩٦هـ/١١٩٩م[٤] وتونس سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م [٥] .

بعد سقوط تونس أخذ الخليفة الناصرى الموحدى يستعد لقتال ابن غانيه فى إفريقيه ، فجهز الجيش والأسطول معا ، فجعل على قيادة الأسطول أبا يحيى بن زكريا الهزرجى [٦] وأمره بالاقلاع إلى إفريقيه ، وتولى هو قيادة الجيش[٧] .

---

(١) يحيى بن غانيه : تولى بعد وفاة أخيه على سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م ، عرف عنه الشهامة والشجاعة والإقدام ، وواصل حربة الضروس ضد الموحدين بلا هواده ، توفى سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م .

ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ١٨، ١٩ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ٣٤٩ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٤٠٦ .

(٢) التجانى : المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٣٩٩ ؛ التجانى : المصدر السابق ، ص ١٠٥ ؛ المرزوقى : المصدر السابق ، ص ١٩١، ١٩٢ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص٤٠٢، ٤٠٣ ؛ ابن الساعى : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص٢١١.

(٥) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٩٥ .

(٦) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٩١، ١٩٢ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٤٨

(٧) التجانى : المصدر السابق ، ص ٣٥٦ .

وفى ١٥جمادى الآخرة سنة ٦٠١هـ/فبراير ١٢٠٥م غادر الخليفة الناصر مراكشى على رأس جيشه وسار إلى رباط الفتح ، ثم غادرها متجها صوب إفريقية ، وكانت وحدات الأسطول الموحدى تسير فى نفس الوقت بحذاء الشاطىء صوب بجاية وتونس [(١)] .

وصل القائد البحرى أبو يحيى بن زكريا بالأسطول الموحدى إلى مدينة تونس فاقتحمها واستولى عليها [(٢)] وبلغ ذلك الخليفة الناصر خلال سيره فأمر القائد أبا يحيى أن يسير بالأسطول من تونس ويحاصر المهدية واسترداد قفصه وصفاقس وقابس[(٣)] .

بلغ الخليفة أن ابن غانيه معسكر بقواته على مقربة من مدينة قابس ، فأرسل لقتاله أربعة آلاف فارس من الموحدين بقيادة الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص[(٤)] ونشبت المعركة فى ١٢ ربيع الأول ٦٠٢هـ/٢٨ أكتوبر ١٢٠٥م بالقرب من مدينة قابس فى موقع يسمى "تاجرا" [(٥)] فحلت الهزيمة بابن غانيه وقتل أكثر جنده وأنصاره وبعض قادته [(٦)] وفر هو إلى الصحراء .

عاد الموحدون بقيادة الشيخ أبى محمد عبد الواحد إلى الخليفة الناصر

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٥٩ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢١٩، ٢٢٠ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٥٩ ؛ الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ١٩٢ .

(٣) الناصرى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٩٢ .

(٤) الأندلس : المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .

(٥) تاجرا : موضع من أحواز قابس .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٤٨ .

فوجدوه لايزال يحاصر المهدية دون أن يتمكن من الاستيلاء عليها [١] .

رأى الخليفة الناصر أن يضعف من معنويات جيش بن غانيه ، فأمر بعرض جميع الغنائم والأسلاب والآلات التى غنمها الموحدون من معسكر ابن غانيه بعد هزيمته فى موقعة تاجرا ، وقاموا بإشهار الأسرى من رجال ابن غانيه[٢] مع تشديد الحصار على المهدية حتى اضطر حاكمها على ابن الغانى [٣] إلى التسليم فى ١٧ جمادى الأولى ٦٠٢هـ/١١يناير ١٢٠٦م وأعلن طاعته للموحدين[٤] .

عاد يحيى بن غانيه بقواته من الصحراء ، وأخذ يجمع الأنصار حوله من الأعراب وغيرهم ، ونشبت بينه وبين الموحدين موقعة بالقرب من شيرو [٥] فى شهر ربيع الأول سنة ٦٠٤هـ/أكتوبر ١٢٠٧م أسفرت عن هزيمة ابن غانيه وفراره جريحا إلى الصحراء [٦] .

وهكذا استطاع الموحدون كسر شوكه يحيى بن غانيه وبسطوا سيطرتهم على إفريقيه مرة أخرى .

---

(١) الناصرى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٢٩٢ .

(٢) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٩٢ .

(٣) على ابن الغانى : هو ابن عم يحيى بن إسحاق بن غانيه ، كان واليا على المهدية ، وجنديا جريئا مدافعا ، بذل جهدا كبيرا فى صد الموحدين وخرج لقتالهم عدة مرات ، ولما رأى شدة الحصار طلب الأمان والتسليم ودخل فى طاعة الموحدين وشارك فى موقعة العقاب وقتل فيها .
ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص٢٢٠، ٢٢١ ؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص١٥٣، ١٥٤.

(٤) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص٢٢١ .

(٥) شيرو : موضع على مقربة من تبسة من البلاد الإفريقية .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

(٦) الزركشى : المصدر السابق ، ص ١٣، ١٤ .

٢- فتح الموحدين للأندلس :-

العوامل التى دفعت الموحدين لبسط نفوذهم على الأندلس :-

أ- اعتبر الموحدون عبورهم إلى الأندلس خطوة نحو تحقيق هدفهم الخاص بإقامة وحدة إسلامية شاملة تحت راية خلافتهم [1] ، فبلاد والأندلس تعتبر المجال الطبيعى لتوسيع دولة الموحدين شمالا ، بالإضافة إلى أن الموحدين كفروا كل من لم يعتنق مذهبهم فى التوحيد ، فأحلوا قتاله وسفك دمه إلى أن يعتنق مذهبهم وينضوى تحت لوائهم [2] .

ب- كان فى مسارعة الموحدين إلى بسط نفوذهم على الأندلس حماية لها من السقوط بأيدى الممالك النصرانية مما جعلهم أقدر وأقرب على جهاد النصارى وتوفير الأمن والأمان للمسلمين .

جـ- هذا بالإضافة إلى أن بسط نفوذهم علي الأندلس سيقضى على مخاوف الموحدين من احتمال عبور القادة والجند من المرابطين من الأندلس إلى المغرب لإثارة القلاقل، فقد أخذ الموحدون يبعثون بجيوشهم إلى الأندلس قبل إحتلال مراكش وقبل تثبيت انتصاراتهم فى بلاد المغرب ، لكن أندريه جوليان يقول "دعى الموحدون إلى أسبانيا قبل استيلائهم على مراكش ولم تكن لهم خطة مسبقة لأنه حتى لو سلمنا كما هو محتمل جدا بأن عبد المؤمن كان راغبا فى طرد المرابطين من الأندلس كما فعل فى المغرب فإنه كان أكثر حذرا من أن

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١١٢ .

(٢) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٨٣،١٠٣ ؛ مراجع الغناى: المرجع السابق، ص ٣٩، ٤٠.

يطلب هذه الغايات فى نفس الوقت"[١].

أ- إشبيلية :-

تعتبر مدينة إشبيليه أمنع وأكبر مدن غربى الأندلس ، وكانت فيها حامية مرابطية ، فسار الموحدون اليها بقواتهم وحاصروها من البر ، ثم سار إليها صاحب قادس عيسى بن ميمون بالأسطول الموحدى ، وضرب عليها الحصار من البحر ، واستطاع الموحدون فتحها فى ١٢ شعبان ٥٤١هـ/١٨يناير ١١٤٧م [٢] ، وذهب وفد من أهلها برئاسة القاضى أبى بكر بن العربى المعافرى [٣] فعبر البحر إلى مراكش وحظى بمقابلة الخليفة عبد المؤمن فقبل بيعتهم [٤] .

ب- غرناطة :-

كانت غرناطة آخر ما بقى للمرابطين من مدن ومعاقل ، وامتنع فيها

---

(١) أندريه جوليان : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٣٧ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٣٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٤٣ ، ٤٤.

(٣) أبو بكر بن العربى العافرى ، من أعلام فقهاء الأندلس ، أخذ عنه عدد كبير من العلماء فى الأندلس والمشرق ، وخلف عدة مصنفات منها احكام القرآن ، اشتهر بالحزم والصرامة والعدالة، توفى سنة ٥٤٢هـ/١١٤٨م على إثر عودته من لقاء الخليفة عبد المؤمن .

النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ، كتاب المرقيه العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشر ليفى بروفنسال، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت، ص ٩٥ ، ابن أبى زرع : المصدر السابق، ص ١٠٨ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٢ ؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ؛ ابن أبى دينار : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

واليها ميمون بن بدر اللمتونى [١] الذى بقى معتصما بالمدينة .

وفى سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م وبعد أن توالت انتصارات الموحدين واشتدت قبضتهم على الأندلس ، عرض ميمون على الخليفة عبد المؤمن النزول من غرناطة مقابل الحصول على الأمان ، فوافق الخليفة على ذلك ، وأمر عبد الله بن سليمان صاحب الأسطول بسبته وولده السيد أبا سعيد والى سبته والجزيرة الخضراء بالسير إلى غرناطة فسار إليها وسلمهما ميمون المدينة [٢] .

جـ- المريـــــة :-

كانت المرية تابعة لابن مردنيش قبل أن يغزوها الفونسو السابع ، وكان قد أقام عليها أحد أقاربه واسمه محمد بن سعد بن مردنيش [٣] وفى جمادى الأولى سنة ٥٤٢هـ/أكتوبر ١١٤٧م . اتخذ مجاهدو البحر المسلمون من مرساها ميناء لسفنهم يخرجون معه للإغارة على شواطىء أسبانيا المسيحية وبرشلونة البرتغال

---

(١) ميمون بن بدر اللمتونى: كان واليا على غرناطة، دخل فى طاعة الموحدين سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م، توفى سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م .

ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٣١ ، ٥٢ ، ٦٦ .

(٢) عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٨٦، ١٨٨ .

(٣) محمد بن سعد بن مردنيش : ولد فى قلعة بنشكلة إحدى قلاع طرطوشه المنيعة سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م ، وكان والده سعد واليا على إفراغه فى الثغر الإسلامى فى عهد المرابطين .

استعان بالنصارى بعد استيلائه على شرق الأندلس سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، وكان يقلد نصارى قشتالة فى زيه وسلاحه ويتحدث باللغة القشتالية بطلاقة ، وكان النصارى يلقبونه بالملك الذئب لشراسته وشجاعته الفائقة .

ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٢ ، ص ٨٥ ؛ ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٦، يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

وشواطىء فرنسا وإيطاليا الجنوبية [١] .

وكان محمد بن سعد بن مردنيش وقت غزو النصارى لها مشغولا بمحاربة المرابطين والنصارى فى آن واحد ، فلم يتهيأ له الدفاع عنها وأحاط النصارى بالمرية من البر والبحر [٢] ، وضربوا الحصار عليها طوال ثلاثة شهور ، نضبت خلالها موارد البلاد وفنيت حاميتها واضطر أهلها إلى تسليم المدينة وأوقع الغزاة بالمدينة المستباحة مجزرة دامية ونهبوا ثرواتها وأسروا من بقى حيا من أهلها [٣].

حاول الموحدون استرجاع المرية سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م وحاصروها ، ولكنهم لم ينجحوا فى تخليصها بسبب حصانتها وإن كانوا تمكنوا من اقتحام المرسى وحرق السفن والأجفان [٤] .

وعندما فتح الموحدون قرطبة سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م وغرناطة سنة٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، واستتب نفوذهم فى الأندلس وجهوا اهتمامهم إلى المرية ، خصوصا وأن سفن النصارى صارت تهدد البحرية الإسلامية والشواطىء فيما بين شواطىء المغرب الأوسط وجنوب الأندلس [٥] .

وفى سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م أمر الخليفة عبد المؤمن السيد أبو سعيد عثمان[٦]

---

(١) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ١٢٤.

(٢) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٣) المراكشى : المصدر نفسه ، ص ٧٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ١٢١ ؛ المقرى: المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٦٣ .

(٤) المقرى : المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص ١١٢ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص ٢٠٧ .

(٦) ليفى بروفنسال : رسائل موحدية ، ص ٧٤ .

بمحاصرة المرية برا وبحرا ، فسار إليها فى جيش كبير من الموحدين ومعه قوة أندلسية ، بينما قصد إليها من البحر أسطول سبته الموحدى بقيادة أمير البحر عبد الله بن سليمان ، وضرب الموحدون حصارا محكما حول المرية واستولوا عليها، ولاذ النصارى بالقصبه وتحصنوا فيها خوفا من سيوف الموحدين ، كما حاصر الموحدون القلعة وأقامت عساكرهم بظاهر المرتفع وعسكرت على الجبل الذى يطل على القصبة[١].

ويذكر الناصرى والنويرى "أن أبا سعيد أقام على الجبل الذى احتله زاء المدينة سورا يمتد إلى البحر وأمامه خندق عميق بحيث أصبح يحدق بالقصبة والمدينة فى آن واحد [٢] ثم نصب المجانيق على القصبة" [٣] .

ولطول الحصار ولسوء حالة النصارى المحصورين بالقصبة بعثوا يستغيثون بعاهلهم الفونسو السابع [٤] الذى هرع إليهم على رأس جيش يتألف من إثنى عشر ألف مقاتل ، وانضم إليه حليفه ابن مردنيش أمير شرق الأندلس فى جيش من ستة آلاف من المسلمين ، وتضافرت جموعهم البائدة وجنودهم على المرية "حرسها الله فى أحفل عدد وأوفر مدد فلم يزد الموحدين ذلك إلا شهامة وصرامة"[٥].

ظل الموحدون يقاتلون النصارى والمسلمين داخلا وخارجا [٦] ، واضطر

---

(١) ليفى بروفنسال : رسال موحدية ، ص ٧٥ .

(٢) الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٤٩ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٢٢ ، ص ٢٠٤.

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص ٢٧٩ .

(٤) المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحة .

(٥) ليفى بروفنسال : رسائل موحدية ، ص ٥٥ .

(٦) المقرى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٢٠٧ .

السيد أبو سعيد إلى استمداد الخليفة عبد المؤمن فوجه إليه القائد الكاتب الوزير أبا جعفر ابن عطيه [١] فازدادت قوة الموحدين صلابة .

ويبدو أن ابن مردنيش خجل من نفسه إذ رأى العار على نفسه فى قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى فارتحل [٢] وولى جنود الفونسو الأدبار خوفا ووجلا تاركين حامية القصبة لمصيرها التعس ، وتوفى الفونسو وهو فى طريقه إلى بياسه سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م وتحرج موقف النصارى بالقصبة وأرهقهم الحصار فأذعنوا بالتسليم ودخل الموحدون القصبة [٣] .

وهكذا نجح أبو سعيد فى طرد النصارى من المرية سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م بعد حصار دام سبعة أشهر [٤] بفضل جهود الكاتب الوزير ابن عطيه [٥] وعاد الثغر الإسلامى إلى سلطان المسلمين بعد أن أحتله النصارى زهاء عشر سنين .

الصراع بين الموحدين وابن مردنيش :-

امتدت دولة ابن مردنيش فى شرق الأندلس من مدينة بلنسية شمالا حتى

---

(١) احمد بن أبى جعفر بن عطيه القضاعى : أصله من طرطوشة ، وأقام فى دانيه ، وعرف عنه البراعة فى الكتابة ، وكان كاتبا لإسحق بن على آخر أمراء المرابطين فى المغرب الأقصى ،= = والتحق بعبد المؤمن بن على وأصبح أحد كتابه ووزرائه ، وقتله الخليفة الموحدى بسبب سعايات كاذبة سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م .

ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص ٢٦٣ ، ح١ ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ق ٣ ، ص٣٥.

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص ٢٧٣ .

(٣) المقرى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٢٠٧ .

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٢ ، ص ٧٩ .

(٥) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٩ .

مدينة المرية فى الجنوب ، واشتركت حدود دولته مع حدود النصارى من ثلاث جهات مملكة قطالونيا فى الشمال ، وملكه قشتالة فى الشمال الغربى ، ونصارى المرية فى الجنوب ، أما الجهة الرابعة فكانت تشترك فى الحدود مع البلاد الأندلسية الخاضعة للموحدين .

واستعان ابن مردنيش برجل قوى هو ابراهيم بن همشك .

وعزم ابن مردنيش على الاستقلال بدولة ، ولذا حرص على رد أى اعتداء خارجى عليها ، والقضاء على أى ثورة داخلية بها .

وفى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م عقد معاهدة صلح مع جمهورية بيزة مدتها عشر سنوات ، وعقد معاهدة أخرى مع جمهورية جنوة تعهد بموجبها أن يدفع إتاوة قدرها عشرة آلاف دينار مرابطية خلال عامين [١] .

وعقد اتفاقتين مع النصارى ، الأولى مع ملك قشتالة والثانية مع ملك أرغونة ، مدة كل معاهدة أربع سنوات تعهد بموجبهما أن يدفع لكل منها خمسين ألف مثقال ذهبا جزية سنوية [٢] .

وأخذ ابن مردنيش يغزو بلاد الأندلس الخاضعة للموحدين بغية الاستيلاء عليها، ففى سنة ٥٥٤هـ/١١٦٠م سار بقواته من مرسية وسانده أسطول بحرى أرسله الفرنجة لمساعدته للاستيلاء على مدينة جيان ، منتهزا فرصة انشغال الخليفة عبد المؤمن بفتح إفريقية ، مما مكنه من الاستيلاء عليها [٣] ، ثم اتجه إلى

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٢ ، ص ٨٣ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٤٤ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ١١٥، ١١٦ .

إشبيليه ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها لحصانتها ومقاومة أهلها ومدافعة الأسطول البحرى عنها[١].

وفى سنة ٥٥٥هـ/١١٦١م أرسل قوات برية ضخمة يساندها أسطول بحرى مشحون بالرجال والعقاد ، واستطاعت الاستيلاء على قرمونة وهى حصن إشبيليه من الشمال الشرقى ماعدا قصبتها [٢] .

ولعل الذى دفع ابن مردنيش لأن يقوم بغزو الموحدين فى إشبيليه أكبر قواعدهم – هو علمه أن خليفتهم عبد المؤمن موجود على رأس القوة الرئيسية بعيدا فى إفريقية والمغرب الأدنى ، وفى نفس الوقت كان وجود القوات الموحدية بعيدا عن مراكش العاصمة هو الذى جعل الموحدين فى الأندلس يتخذون خطة الدفاع [٣] .

وفى جمادى الأولى سنة ٥٥٦هـ/أبريل ١١٦١م وصل ابن همشك فى قواته ليلا إلى غرناطة ، وفتح له المتآمرون باب الربض [٤] ، وتمكن من السيطرة على أغلب نواحيها ماعدا القصبة القديمة التى توجد فى العدوة الغربية [٥] ، حيث لجأ الموحدون الموجودون فى المدينة ومعهم من استطاع من أهل المدينة الأندلسيين الذين يكنون الولاء لهم .

اهتم الخليفة عبد المؤمن بأمر سقوط غرناطة لذلك بادر من مقره فى رباط الفتح، بسلا ، بإرسال ابنه السيد أبى سعيد عثمان على رأس جيش موحدى

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٢٠ ، ١٢١ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٦١ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

وعبر بهم الزقاق من قصر مصمودة ، ونزل فى مدينة مالقة حيث وافته قوات مدينة إشبيليه بقيادة أبى محمد عبد الله بن أبى حفص ، واتجهت القوات الموحدية صوب غرناطة فوصلت إلى فحصها الذى يبعد عنها أربعة أميال الذى يسمى مرج الرقاد ، وفى هذا المكان خرج إليهم إبراهيم ابن همشك حيث ناجزهم القتال وفاجأهم بكمين فكان سببا فى إيقاع الهزيمة الشنيعة بالقوات الموحدية ، وقتل فى هذه المعركة أبو محمد عبد الله بن أبى حفص ، اما السيد أبو سعيد عثمان فقد تمكن من النجاة بنفسه واللجوء إلى مدينة مالقة [١] .

ولما وصلت أنباء هزيمة الجيش الموحدى فى "مرج الرقاد" إلى الخليفة عبد المؤمن فى رباط الفتح بسلا ، قام فى التو بإرسال حملة كبيرة تتكون من عشرين ألف فيهم جماعة كبيرة من أعراب بنى سليم بقيادة ابنه السيد أبى يوسف يعقوب ، كما أصدر أوامره إلى قائد الأسطول فى إشبيليه عبد الله بن جامع بالتحرك فورا إلى غرناطة ، ونزلت القوات الموحدية بالجزيرة الخضراء حتى اكتمل عبور الجيش ، ثم سارت إلى مالقة حيث انضم اليهم السيد أبو سعيد عثمان واتجهوا إلى وادى شنيل الواقع جنوب غرناطة [٢] .

وفى هذه الأثناء كان ابن مردنيش قد وصل إلى غرناطة ونزل بالجبل المتصل بقصبتها ، أما ابن همشك ومعه جنود النصارى نزلوا بجبل السبيكة [٣] ، وكان يفصل بين ابن همشك وابن مردنيش وادى حدارة الذى يفصل بين الجبلين المذكورين ، وأخذوا ينتظرون وصول القوات الموحدية الذين فاجئوهم فجر يوم

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .

الجمعة ٢٨رجب ٥٥٧هـ/مارس ١١٦٣م وأعملوا فى قوات ابن همشك والنصارى السيف وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهلك جمع كبير منهم فى وادى حدارة [(١)] .

أما ابن مردنيش فلم يستطع أن يمد يد العون لأصحابه لأن الوادى وقف حائلا دون ذلك ، ولما أيقن بهزيمتهم أقلع من محلته ناجيا بنفسه وجنده ، أما ابن همشك فقد استطاع أن ينجو بنفسه ، واستطاع الموحدون دخول غرناطة .

وقد عزم الموحدون أمرهم على غزو ابن مردنيش والقضاء عليه ، فرأى الخليفة عبد المؤمن أن يعمل على تحقيق مدينة غرناطة وإصلاح مدينة قرطبة بسببين أولهما أنه أدرك أهمية موقع مدينة غرناطة الاستراتيجى ومناعة قصبتها، لذلك ملأ مخازن قصبة غرناطة بالقمح والشعير والملح ومختلف أنواع آلات الحرب، فزودها بالرماح والدروع والقسى والسيوف والسهام وكانت السفن تنقل هذه المؤن والالآت من عدوة المغرب فترسو فى ميناء المنكب ثم تنقل برا إلى مدينة غرناطة وتخزن فى قصبتها[(٢)].

ثانيهما : أن الخليفة عبد المؤمن أمر ولديه بالأندلس أبا يعقوب يوسف وأبا سعيد عثمان بإصلاح مدينة قرطبة واستيطانها وجعلها بدلا من إشبيليه قاعدة لحكم الموحدين فى الأندلس [(٣)] .

وفى سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م حاصر الموحدون مرسية ونشبت بين الطرفين موقعة فى فحص الجلاب على بعد عشرة أميال من مرسية فحلت الهزيمة بابن

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢٠١،٢٠٢ ؛ ابن عذارى: المصدر السابق ، ق٣ ، ص٥٣.

(٣) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٧ .

مردنيش [(١)].

وقد توفى الأمير محمد بن مردنيش فى ١٠رجب ٥٦٧هـ/ديسمبر ١١٧١م وله من العمر ثمان وأربعون سنة [(٢)] وبعد وفاته دخل ابنه هلال فى طاعة الموحدين .

جزر البليار (الجزائر الشرقية) :-

تولى محمد بن على بن غانيه حكم الجزائر الشرقية سنة ٥٢٠هـ/١١٣٦م ، واستمر حاكما لجزر البليار زهاء ثلاثين عاما [(٣)] .

واستطاع محمد بن غانيه أن يدير دفة الحكم فى تلك الجزر بحنكه سياسية بارعة ، ولما دخل الموحدون مراكش شدد قبضته على الجزائر الشرقية ليجعلها نواة لإمارة تحمل اسم قبيلته وتمثل تراث المرابطين [(٤)] .

وعندما تولى إسحاق بن محمد بن غانيه حكم الجزائر الشرقية ازدهرت مواردها، وأضحى أسطولها يحسب حسابه فى الحوض الغربى للبحر المتوسط [(٥)].

وكان أسطول ابن غانيه يحرز الانتصارات تلو الانتصارات على أساطيل الممالك النصرانية ، فغزا ثغر طولوس فى جنوب فرنسا ، لذلك خشيته جمهوريات جنوة وبيزة والبندقية ، فعقدت معه معاهدة صلح وصداقه سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م ، تعهد فيها الطرفان أن لايلحق أحدهما ضررا بالآخر [(٦)] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٤٢ .

(٤) مراجع الغناى : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(٥) عبد الله عنان : عصر المرابطين وبداية الموحدين ، ق٢ ، ص ١٤٥،١٤٦ .

(٦) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .

فتح الموحدين لجزر البليار :-

كان بنو غانيه فى الجزائر الشرقية يشعرون بالأمان والطمأنينه خلال قتال ابن مردنيش للموحدين ، ثم أخذ بنو غانيه فى مصانعة الموحدين بعد وفاة ابن مردنيش وسيطرة الموحدين على شرق الأندلس سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م فسار إسحاق بن غانية يبعث إلى الموحدين بالهدايا من غنائمه ، وكان الموحدون لايحفلون بأمر الجزائر الشرقية ، ثم أدركوا أهمية موقعها البحرى ، فتوالت كتبهم على إسحاق يطلبون الدخول فى طاعتهم [١] .

وعندما توفى إسحاق بن غانية سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م خلفه أبنه محمد الذى أعلن الولاء والطاعة للموحدين [٢] ، مما أدى إلى حنق أخيه على بن إسحاق الملقب بالميورقى الذى استطاع الاستيلاء على الحكم فى أواخر صفر ٥٨٠هـ/١٥يونيو ١١٨٤م واعتقل أخاه محمدا فى أحد سجون ميورقة - لما سبق- [٣] وعزل على بن الربرتير سفير الخليفة الموحدى فى دار الضيافة وأخذ فى مماطلته وتسويقه ، وأمر بسحب قطع الأسطول الموحدى إلى دار الضيافة فى ميورقة وفرض عليها حراسة مشددة [٤] .

وعندما علم بمصرع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فى موقعة شنترين فى رجب ٥٨٠هـ/أكتوبر ١١٨٤م ، قام باعتقال على بن الربرتير واستولى على قطع

---

(١) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٣٤٤ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥٠٧ .

(٣) المراكشى : المصدر نفسه ، ص ٣٤٤ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٤٦ .

الأسطول الموحدى وضمها إلى أسطوله [١] .

وفى أواخـر سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م استطاع على بن الربرتير الفرار من سجنه، وانضم إليه محمد بن اسحاق بن غانيه الحاكم السابق للجزيرة [٢] .

ولما علم على بن غانيه وهو فى إفريقيه بذلك بعث أخاه عبد الله بأسطول إلى ميورقة ، وقدم إليه العون ملك صقليه (غليام الثانى) [٣] لتمكينه من توطيد أقدامه فى جزيرة ميورقة ، والتصدى للأساطيل الموحدية التى أغارت على جزيرة صقلية [٤] .

ويشير ابن عذارى إلى ذلك قائلا "ركب عبد الله بن غانيه من إفريقية إلى صقلية وأعين منها بجفن تجهز فيه إلى جزيرة ميورقة [٥] ".

وفى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م قرر الخليفة يعقوب بن يوسف استرجاع الجزائر الشرقية وتقويض الحكم المعادى هناك بعد أن توافر لديه أسطولا بحرى قوى ساعده فى غزو الجزائر الشرقية ، وهذا يرجع لعاملين أولهما أنها جزيرة لايمكن فتحها إلا بالسفن ، ثانيا كان على هذا الأسطول قطع طريق الإمداد على بنى غانيه فى إفريقية.

وقد كلف الخليفة يعقوب بهذه المهمة القائد البحرى "على بن جامع" ،

---

(١) المراكشى : المصدر نفسه ، ص٣٣٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٥٠٥ ؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق ،ص ١٩١ ، ١٩٣ .

(٢) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١٥٥ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥٠٩ .

(٣) غليام الثانى (وليم الثانى) آخر ملوك أسرة هوتفيل النورماندية (٥٦٢،٥٨٥هـ/١١٦٦،١١٨٩م) . عبد الله عنان : دولة المرابطين ، ق٢ ، ص ٦٠٩ ، ٦١٥ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥١٦ .

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

ولكن عبد الله بن غانيه طلب المعاونه من ملك أرجون بيدرو والثانى (٥٨٣-٦١٠هـ/١١٨٧-١٢١٣م) [1] الذى أمده بأسطول بحرى ، واستطاعا سويا إجبار ابن جامع على الانسحاب من ميورقة ومنورقة ، باستثناء يابسة الذى تمكن القائد البحرى أبو العباسى الصقلى من الاستيلاء عليها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م [2] .

ورغم نجاح عبد الله بن غانية فى صد الموحدين عن ميورقة ومنورقة ، إلا أنه لم يهدأ ، ولم يشعر بالاطمئنان لوجودهم بجواره فى جزيرة يابسه ، لذلك لم يتردد عن بذل كل مالديه من جهود لطردهم منها ، وفى سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م تحرك بأسطوله نحوها وحاصرها من جميع نواحيها ، غير أن أهلها قاوموه بشده واستنجدوا بأسطول الموحدين الذى تصادف وجوده بالقرب منهم ، فأسرع لنجدتهم أمير البحر "ابن ميمون" الذى اشتبك مع ابن غانيه فى معركة بحرية انتصر فيها ، وظفر منه بطريدتين أضرمها نارا ورجع عبد الله خائب الوجه [3].

وهزيمة عبد الله بن غانية فى مياه يابسة تفسر التفوق البحرى الكاسح للموحدين ووصولهم للذروة والقوة والمنعه .

استيلاء الموحدين على جزيرتى ميورقة ومنورقة :-

أدرك الخليفة الناصرى الموحدى أن فشل حملة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م مرجعه أساسا إلى عدم اقتران القوة البرية بقوات بحرية ، فالأسطول يفرض الحصار على الجزر ويمنع اتصالها بالعالم الخارجى ، إلا أن ملاحيه لايستطيعون

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥١٦ .

(٢) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١٢١،١٦٩ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص٩٤ ، رسائل موحدية ، رسالة ٣٤ ، ص ٢١٨ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ؛ ص ٢١٦ .

القيام بعملية الاحتلال لقلة عددهم ، وبساطه الأسلحة التى فى أيديهم ، بعكس القوات البرية التى تملك زادا كبيرا من العتاد اللازم للحرب البرية ، وتلافيا لذلك قرر الناصر توفير جيش من الفرسان لاحتلال الجزر ، وتنقلهم الأساطيل البحرية التى تكون مهمتها إلى جانب ذلك منع اتصال الجزر بالخارج ، وعدم السماح لبنى غانيه بالهرب [١] .

وبناء على أوامر الخليفة الناصر تفرغت دار صناعة "جزائر بنى مزغنان" لبناء السفن اللازمة [٢] وبذلك توافر أسطول مكون من ثلاثمائه قطعة ، منها سبعون غرابا ، وثلاثون طريده ، وخمسون مركبا ، عدا مراكب من أنواع أخرى حملت كميات هائلة من السلاح والطعام [٣] .

حمل هذا الأسطول جيشا من ٢٢٠٠ فارس ، ٧٠٠ من الرماة ، وخمسة عشر ألفا من المشاه ، ذلك عدا جنود الأسطول [٤] .

وتولى قيادة الأسطول "أبو العلا إدريس بن يوسف" عم الخليفة ، أما الجيش فكان على رأسه أبو سعيد عثمان بن أبى حفص من شيوخ الموحدين [٥] .

وتحرك الأسطول من ثغر دانيه حتى وصل إلى جزيرة يابسة التى كانت فى حوزة الموحدين ، وهناك صلوا الجمعة فى ٢٣ ذى الحجة ٥٩٩هـ/٢سبتمبر ١٢٠٣م وباتوا ليلتهم ليقلعوا عصر السبت ٢٤ ذى الحجة ٥٩٩هـ/٣سبتمبر ١٢٠٣م [٦] ، ويبدو أن الجيش البرى نزل بميورقة بعيدا عن العاصمة ، بينما

(١) رسائل موحدية ، رسالة ٣٦ ، ص ٢١٦ .

(٢) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢١٤ ؛ ابن دينار : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(٣) المراكشى : المصدر نفسه ، ص ٢١٤ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٤) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

(٥) المراكشى : المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

(٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

توجه الأسطول نحو الميناء فسد مدخله [١] .

وخرج إليهم عبد الله بن غانيه فنشب القتال بينهم ، وانتصر أسطول الموحدين انتصارا ساحقا وقتل عبد الله بن غانيه [٢] .

بعد سقوط ميورقة توجه "أبو العلا إدريس بن يوسف" قائد الأسطول الموحدى بقطع من أسطوله إلى جزيرة منورقة وتمكن من الاستيلاء عليها [٣] .

وهكذا تم للموحدين فتح الجزر الشرقية وضمها إلى دولتهم .

وهناك ملاحظتان على هذه التحركات العسكرية :

أولا : أن الأسطول بما عليه من قوات برية أبحر من دانيه فى ٢٣ ذى الحجة ٥٩٩هـ إلى يابسة ، ولم يمكث سوى ليلة واحدة أبحر بعدها إلى ميورقة لينزل الجنود إلى البر بسرعة ، ثم يتجه فورا نحو الميناء ليسد المدخل ، ونعتقد أن هذه التحركات السريعة جدا كان الغرض منها فيما يظهر مفاجأة بنى غانيه ، وعدم إتاحة الفرصة لهم للاستعداد للمقاومة أو الاتصال بعناصر أخرى معادية للموحدين كنصارى برشلونة لانجادهم ، وهذه السرعة تدل أيضا على تنظيم فائق للتشكيلات الموحدية العسكرية .

ثانيا : التنسيق البديع ما بين العمليات البرية والبحرية والتعاون التام بين قائدى البر والبحر ، فالقوات البرية تزحف فور نزولها ميورقة لمحاصرة العاصمة وتوفق فى ذلك فى نفس اللحظة التى فوجىء فيها بنو غانيه بأسطول الموحدين يقتحم عليهم ميناءهم هم الحصين ، وبذلك انحصر بنو غانيه برا وبحرا ، وانقطع الأمل فى وصول نجدات إليهم من أى مكان

(١) رسائل موحدية : رسالة ٣٦ ، ص ٢٤٦ ؛ المراكشى : المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

(٢) المراكشى : المصدر نفسه ، ص ٣٩٤ .

(٣) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٣٩٧ .

وبدت نهايتهم مؤكدة .

ويتضح مما سبق فى هذا الفصل الدور الكبير الذى لعبه أسطول الموحدين فى التمكين لدولتهم ووحدة أراضيهم فى كل من إفريقيه والمغرب والأندلس وفى جزر البليار .

الفصل الثالث

"جهاد البحرية الموحدية ضد الممالك النصرانية فى الأندلس"

جهاد البحرية ضد مملكة قشتالة :-

في شهر رجب سنة ٥٤٥هـ/يناير ١١٥١م اجتمع ملك قشتالة الفونسو السابع (٥٣٠-٥٥٢هـ/٣٥-١١٥٧م) مع ملك أرغونة رامون برنجير الرابع (٥٢٧-٥٥٨هـ/٣٢-١١٦٢م) في مدينة تطليه [1] ، وعقدا اتفاقية عرفت باسم "اتفاقية تطليه، فاتفق الملكان على تقسيم القواعد والأراضي الإسلامية بينهما ، فحصل ملك أرغونة بموجب هذه المعاهدة على حق غزو الأندلس الإسلامية ، وتعهد أن يحكم مدينتي بلنسية ومرسية بصفته تابعاً لملك قشتالة ، أما ملك قشتالة فيخصه ما بين غرناطة والوادى الكبير [2] وتعهد كل من الملكين باحترام حقوق الآخر والتعاون معاً على قتال المسلمين[3] .

---

(١) تطليه : مدينة بالأندلس وهى قريبة من سرقسطة ، ويجرى بها نهر كالش .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٢) عبد الله عنان : عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين ، ق٢ ، ص ٤٩٣،٤٩٤ .

(٣) Callaghan : A History of Medieval Spain , p. 120 .

أ- المريـــــــة [١] :-

كان الموحدون يسعون منذ تدخلــهم فـى شئون الأندلـس إلى استرداد ثغـر المرية من القشتاليين الذيــن احتلوهـا فــى جمـادى الأولى سـنة ٥٤٢هــ/١٧أكتوبـر ١١٤٧م ، لما أدركوا من أهميته وتهديده لطرق مواصلاتــهم البحريــة ، وقـد أشـار الخليفة عبد المؤمن إلى أهمية مدينة المرية بقولة "رأينا أن أمـر المريـه حرسـها الله من أهم الأمور وآكدها فى هذا الغرض المبرور والأمـل الميسـور لكونـها ناظمـة بـين الجهات الشرقية والغربية ورابطة بين البلاد البرية والبحرية [٢] .

وفى سنة ٤٦٠هـ/١١٥١م قام الموحدون بمحاولة لاستردادها وفشـلت هـذه المحاولة بسبب حصانة المدينة ومناعتها ، وقوة أسطولها البحرى [٣] .

وقد أدرك الموحدون عقب استيلائهم علـى غرناطـة سـنة ٥٥١هــ/١١٥٦م وتولى ولايتها أبى سعيد عثمان بـن عبـد المؤمـن ، أن الوقـت قـد حـان لاسترداد المرية، فبادروا بالتحرك ، فحشد أبو سعيد قواته وأمر أن تتقدمه فرقة استطلاعية ظلت على مقربة من المدينة حتى إنتصف النهار ، فأغارت علـى أبوابـها وقتلـت عدداً كبيراً من حاميتها وعادت هذه الفرقة إلى "حصـن برجـة" [٤] حيـث أبلغـهم أهل هذا الحصن أن قصبة المرية بها عدد قليل من النصـارى لايستطيعون الدفـاع عنها ، وعندئذ لم يتردد أبـو سـعيد عثمـان فـى حشـد قواتـه وبـادر علـى الفـور

---

(١) خريطة ٤ .

(٢) رسائل موحدية ، الرسالة ١٦ ، ص ٧٣ .

(٣) المقرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٧٨ .

(٤) حصن برجة : يبعد حوالى خمسة عشر كيلو متراً إلى الشمال الغربى من المرية .
د. عبد العزيز سالم : المرية ، ص ١٨ .

بالتحرك نحو المدينة وحاصرها ونصب المجانيق حول أسوارها ، بينما حاصرها من جهة البحر أسطول سبته بقيادة عبد الله بن سليمان [١] ، ثم بادرت القوات الموحدية بالهجوم فانهزم النصارى وبادروا بالتحصن داخل المدينة ، فتبعهم الموحدون واقتحموا أبوابها واستولوا عليها ، فلاذ النصارى بالقصبة وتحصنوا بها، فحاصرها الموحدون وعسكروا بظاهرها المرتفع الذى يطل على المدينة [٢] ، وإمعاناً فى إحكام الحصار حولها بنى أبو سعيد فوق الجبل الذى عسكر فيه سوراً يمتد إلى البحر ، وحفر خندقاً حوله بحيث أصبح يطوق المدينة والقصبة فى آنٍ واحد ، قاطعاً بذلك الطريق أمام وصول أيه نجدات إلى المدينة[٣] ، ولما طال الحصار وساء حال النصارى المحصورين استصرخوا الفونسو السابع ملك قشتالة الذى أسرع إلى نجدتهم على رأس جيش يتألف من إثنى عشر فارساً يصاحبه أسطول بحرى كبير ، وانضم إليه حليفه ابن مردنيش فى قوة قوامها ستة آلاف فارس ، وحاولت هذه القوات كسر الحصار الذى فرضته القوات الموحدية حول المدينة ، إلا أن محاولتها باءت بالفشل ولم يزد ذلك الموحدين إلا تصميماً وعزماً على مواصلة القتال [٤]

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٢٢٣، ٢٢٤ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٥٥، ٥٦ .

(٢) ليفى بروفنسال : رسائل موحدية ، الرسالة ١٦ ، ص ٧٤، ٧٥ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٢٢٤ ؛ النويرى: المصدر السابق ، جـ٢٢، ص ٢٠٤، ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٦ ؛ الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١٩ .

(٤) ليفى بروفنسال : رسائل موحدية ، الرسالة ١٦ ، ص ٧٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٢٢٤ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٢٢ ، ص ٢٠٤؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق، ص١٢٦؛ الناصرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١٩ .

واستمر الحصار بضعة أشهر [(١)] طلب خلالها السيد أبو سعيد من الخليفة عبد المؤمن امداده ببعض التعزيزات وأخيراً استسلمت المدينة ودخلها الموحدون سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م بعد عشر سنوات من احتلال النصارى لها ، وفشل الفونسو السابع ملك قشتالة وعاد إلى بلاده وتوفى فى الطريق فى شوال سنة ٥٥٢هـ/أغسطس ١١٥٧م [(٢)] .

ب- وبـــــذة [(٣)] :-

فى ١١شوال ٥٦٧هـ/٦يونية ١١٧٢م ، قرر الخليفة أبو يعقوب يوسف أن يقود حملة لغزو مدينة وبذة ، فخرج بقوات كبيرة من مراكش يصاحبه أسطول بحرى مشحون بالرجال والعتاد والأسلحة من المغرب ، كما أمر والى إشبيليه بأن يتجه بأسطول إشبيليه إلى نهر التاجه ، وواصلت القوات الموحدية السير حتى وصلت إلى مقربة من مدينة وبذة ، وأمر أبو سعيد قائد القوات الجيش بالصعود على الجبل المطل على المدينة [(٤)] .

---

(١) ذكر ابن الأثير أن حصار المدينة استغرق ثلاثة أشهر ، بينما يجعله ابن الخطيب سبعة أشهر ، ولما كانت الرسالة السادسة عشر ذكرت أن حصار المدينة مؤرخة بالعشر الأوائل من شهر شعبان سنة ٥٥٢هـ/سبتمبر ١١٥٧م فإن الحصار قد بدأ وفقاً لرواية ابن الأثير فى جمادى الأولى سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، ووفقاً لرواية ابن الخطيب فى شهر محرم ٥٥٢هـ/فبراير ١١٥٧م .
ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٢٢٤ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص ٢٧١ ، ليفى بروفنسال : رسائل موحدية ، الرسالة ١٦ ، ص ٧٩ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٢٢٤ .

(٣) وبذة : تقع إلى الشرق من طليطلة ، وهى حصن على واد بقرب اقليش . (خريطة ١٤)
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦٠٧ .

(٤) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٩٧ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ،ص ٩٦.

وبدأت المعركة واستطاع الموحدون منع وصول مياه الشرب إلى المدينة ، ونزل أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف فى رأس الجبل وجميع القواد وأشياخ الموحدين لمناقشة خطة قتال النصارى ، وكان النصارى حفروا خندقاً خارج ربض المدينة فأقتحمه الموحدون من جميع جهاته عدا الجهة الغربية ، وكان يقاتل فيها أبو العلاء بن عزون [(١)] الذى طلب إمدادات من الخليفة فرفض طلبه [(٢)] .

قرر الخليفة إخراج ربع الجيش من العسكر النظامى والقبائل لحصد الزرع وجمع العلوفات لتخزينها بغرض تشديد الحصار على المدينة ، وصدر الأمر ببناء السلالم بالأبراج العالية لمهاجمة المدينة ، ووصل فى هذا اليوم أحد النصارى إلى محلة الموحدين مفاوضاً عن أهل المدينة المحاصرة وراغباً فى تسليمها على أن يؤمن أهلها ، فصرف دون جواب ، وفى مساء نفس اليوم نفسه عاد لمفاوضة الموحدين لنفس الغرض فصرف بدون جواب كذلك ، ومعنى هذا أن الموحدين قرروا الاستيلاء على المدينة عنوة[(٣)] .

وفى صبيحة يوم الجمعة ٢٠ ذى القعدة ٥٦٧هـ/يوليو ١١٧٢م هبت ريح شديدة اقتلعت الكثير من خيام الموحدين ، وأوقعت الفوضى والارتباك فى الجيش واستمرت العواصف ليوم السبت [(٤)] .

---

(١) أبو العلا بن عزون : أحد قواد الموحدين ، شارك فى الحروب ضد القشتاليين فى بطليوس وفى حملة وبذة وقونقة ، توفى سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م .

ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٧٨ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٩٣ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٤٩٤ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

وفى يوم الجمعة ٢٧ ذى القعدة ٥٦٧هـ/يوليو ١١٧٢م خرج جند المدينة وفاجأوا قبيلة هسكورة ففزعوا وتفرقوا من محلتهم ، فأمر الخليفة فى الصباح بضرب بعض أفراد هذه القبيلة بالسياط لغفلتهم وجبنهم وكان للهجوم الذى شنه الأسبان ليلاً على قبيلة هسكورة أثره على الجيش الموحدى إذ اضطرهم إلى أخذ الحذر والحيطة[1].

وأرسل الموحدون عبد الرحمن بن أبى مروان ابن سعيد الغرناطى إلى حاكم المدينة يفاوضه على قبول الموحدين لعرضه السابق لهم بالتنازل عن المدينة مقابل حصوله وأهل مدينته على الأمان ولكن الأمير الأسبانى رفض [2] .

وفى يوم السبت ٢٨ ذى القعدة ٥٦٧هـ/يوليو ١١٧٢م عقد الخليفة مجلساً حضره إخوته السادة وقواد الموحدين وزعماء الأندلس وشيوخ الموحدين وزعماء بنى هلال وسليم وتقرر فى هذا المجلس رفع الحصار ورجوع الجيش إلى إشبيليه، وبالفعل أحرقت آلات الحصار والبرج المصنوع لقتال النصارى[3].

وفى صبيحة يوم الأحد ٢٩ذى القعدة ٥٦٧هـ/يوليو ١١٧٢ ، ضرب طبل الرحيل ، فوقع الجند فى حيرة وارتبك العسكر ارتباكاً عظيماً ، فاستغل أهل وبذة هذا الظرف وهاجموا الموحدين وأخذوا يكرون حيناً ويفرون حيناً آخر مما زاد من اضطراب الموحدين [4] .

وهكذا فشلت حملة وبذة ، وأخفقت فى الهدف منها وهو فتح المدينة .

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٩٨ ، ٥٠١ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٩٦ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٥٠٢ .

(٤) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٥٠٢ .

وترجع أسباب فشل حملة وبذة إلى مايأتى .

أن أول ما يلفت نظرنا من تتبع تجمعات هذا الجيش فى إشبيليه ، واستعداد الموحدين لهذه الغزوة أن الموحدين لم يكن لديهم خطة مرسومة يسيرون عليها ، وذلك على الرغم من أن الخليفة بذل كثيراً من الجهد فى إعداد هذا الجيش وضم إليه عناصر مقاتلة مختلفة ، فهو يضم قبائل بنى هلال وسليم ، وقبائل الموحدين ومقاتلة الأندلس والجند الموحدى .

وكان من المفترض أن تكون لمثل هذا الجيش الذى يربو تعداده على المائه ألف مقاتل خطة محكمة وهدف معين ، ولكن الذى جعل خليفة الموحدين يقرر غزو مدينة وبذة ، هو اقتراح وفد شرق الأندلس برئاسة هلال بن مردنيش على الخليفة بغزو هذه المدينة ، فابن صاحب الصلاة يقول "فلما أكملوا بيعتهم واطمأنوا فى مجلسهم رغبوا إلى الخليفة فى غزو من جاورهم من بلاد النصارى وبينوا أن مدينة وبذة أيسر البلاد للفتح إذ هى حديثة البنيان قريبة الإسكان" [١].

وهكذا اتخذ خليفة الموحدين هدفاً لحملته فى وقت متأخر من وصوله إلى الأندلس، وبناء على اقتراح مقدم من وفد شرق الأندلس بزعامة هلال بن مردنيش.

كما أن الخليفة الموحدى كان صاحب الرأى النهائى والقاطع فى إدارة قيادة الجيش ، وكان يتخذ قراره فى وقت سريع وبدون ترو أحياناً ، كذلك عدم تقديره للظروف وعدم قدرته على الوصول إلى هدفه من أيسر سبيل ، ويتمثل هذا فى رفض الخليفة لعرض أهل المدينة عليه بتسليم مدينتهم مقابل حصولهم على الأمان ، وكان من المشرف له لو أنه قبل العرض وحصل على المدينة بدون أى جهد .

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ .

ويبين ابن صاحب الصلاة كيف أن الخليفة فى الوقت الذى كانت فيه المعركة فى أوجها ، وكان الموقف يتطلب قائداً مشرفاً على تسيير دفتها ، وكان القائد الوحيد والمسئول الأول وهو الخليفة مشغولاً بمناقشه مسائل فكرية لاتمت إلى الموقف بصلة ، ويبين لنا كيف جاء أحد القواد فى هذا الحين وطلب منه إمداده ببعض الجند حتى يتمكن من إحراز النصر فلم يلتفت إليه الخليفة واستمر فى مناقشة تلك المسائل ، ويشير ابن صاحب الصلاة إلى ذلك قائلاً "حدثنى أبو العلاء بن عزون قال لى : لما قاتلت النصارى فى البرج الذى كان عمدة امتناعهم فيه بمدينة وبذة وأشرفت على الفتح والغلبة لهم ولم أر أحداً من أهل الأجناد والأنجاد ولا من الشيوخ والقواد من يعيننى مشيت بنفسى إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع أخيه السيد أبى حفص ومعه طلبة الحضر يتكلم معهم فى المسائل ، فقلت ياسيدنا أمير المؤمنين عسى عون ، فقد أشرفت على الفتح وإنما كنت طامعاً أن يركب فيراه الناس وجميع العساكر فيدخلون المدينة فى حينهم فلم يجاوبنى واشتغل عنى بما كان فيه "[1] .

ويشير هذا النص إلى انشغال الخليفة وقت القتال بمسائل بعيدة كل البعد عن الموقف الذى يعيش فيه جيشه .

جـ- موقعة الأرك [2] :-

فى ٢٠ جمادى الآخرة ٥٩١هـ/أول يونيو ١١٩٥م ، عبر الخليفة المنصور

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٩٧ .

(٢) الأرك : حصن منيع على مقربة من قلعة رباح ، يقوم فوق ربوة عالية تمتد سفوحها حتى وادى نهر يانة ، وتقع غربى مدينة ثيوداد ريال على بعد ١٢ كيلو متر منها ، وتقوم مكانها اليوم قرية صغيرة تسمى ماريادة الأركوس (خريطة١٥) .
الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

البحر بقواته إلى الأندلس ، وساهم الأسطول الموحدى فى نقل الخليفة وجنوده ومعداتهم من المغرب إلى الأندلس [١] .

فكان أول من جاز البحر قبائل العرب ثم قبائل زناتة ثم المصامدة فغمارة فالجيوش المطوعة والأجناد والعبيد ، ولما أكمل الأسطول الموحدى نقل الجنود والمعدات والمؤن عبر الخليفة مع خاصته ومعه جمع كبير من أشياخ الموحدين ، وأقام بقصر مصمودة يوماً واحداً ثم استأنف سيرة إلى إشبيليه [٢] .

سار ملك قشتالة بقواته من طليطلة للقاء الموحدين فتوقف فى قلعة الأرك ينتظر وصول ملك ليون بقواده كي يشترك إلى جانبه فى القتال ضد الموحدين ، ولكن يبدو أن ملك ليون تأخر فى الوصول ، أو قرر عدم الحضور فتقدم ملك قشتالة بقواته وضرب معسكره إزاء معسكر الموحدين .

وتألف جيش ملك قشتالة من جميع الأجناد والفرسان والمشاه بالإضافة إلى فرسان قلعة رباح [٣] وفرسان الداوية[٤] . فتوفر له أكثر من مائه ألف مقاتل [٥] .

---

(١) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٦٧ .

(٣) فرسان قلعة رباح : جمعية تكونت برئاسة زاهب هو "ريموند أو رامون " رئيس دير فيترو فى طليطلة ، ومعه آخر يدعى "ديجوبلاسكيث" ، وقد طلبا إلى ملك قشتالة أن يعهد إليهما بالدفاع عن هذه القلعة ضد غارات الموحدين فأجابهما إلى ذلك وباركهما "يوحنا" مطران طليطلة ، فاستطاع الراهبان ان يجمعا حولهما عشرين ألف مقاتل بالإضافة إلى المساهمين معهما بالمال والخيل ، فكان لهذه الحركة القوية أثرها فى رد هجمات الموحدين عنها وخاصة إنها تحمى مداخل قشتالة ، ورأى الراهب "رامون" ان يكون معه أولئك الذين نذروا حياتهم لحماية النصرانيه فتكونت جمعية من الأخوة عرفت باسم فرسان قلعة رباح سنة ٥٥٧هـ/١١٩١م .
عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص ٥١٩ .

(٤) الداوية من أشهر الحركات الدينية فى العصور الوسطى ، وكانت تتكون من جماعات الفرسان الدينية ، وقد أطلق المؤرخون المسلمون عليهم أسم الداوية ، بينما تدعوهم المراجع الأجنبية بأسم فرسان المعبد Templers لأنهم اتخذوا أحد معابد بيت المقدس مركزاً لهم بعد استيلائهم عليها.
يوسف أشباخ: المرجع السابق ص ١٦٧، ح١.

(٥) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٣٣٣،٣٣٤ .

ويشير المراكشى إلى ذلك قائلاً "وتجهز أمير المؤمنين وأخذ فى العبور ، فعبر البحر بجيوشه وأجناده فى جمادى الآخرة سنة ٥٩١ ، ونزل فى إشبيليه فلم يقم بها إلا يسيراً وخرج يقصد بلاد الروم وسمع الأذفونشى – لعنه الله – فتجهز أيضاً بجموع ضخمة فلما تراءى الجمعان اشتد خوف الموحدين وساءت ظنونهم لما رأوا من كثرة عدوهم وأمير المؤمنين فى ذلك كله لامستند له إلا الدعاء والاستعانة بكل من يظن عنده خيراً من الصالحين"[1] .

وانتصر المسلمون فى موقعة الأرك انتصاراً ساحقاً يماثل انتصارهم فى موقعة الزلاقة [2] .

وقد ساهم الأسطول الموحدى فى نقل الخليفة والجنود والمعدات من المغرب إلى الأندلس .

=Scott:A History of the morrish Empire, VI, p.310,Calaghan:op.cit, p.243.

يرى الضبى أن جيش الفونسو بلغ أكثر من خمسة وعشرين ألف فارس ، ومائتى ألف راجل ، وكان معه جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لشراء أسرى المسلمين وأسلابهم وأعدوا لذلك أموالاً جمة .

الضبى : المصدر السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

(١) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

(٢) للاستزادة عن هذه المعركة راجع .

ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٩٣ ، ١٩٥ ؛ الناصرى : المصدر السابق، جـ٢ ، ص ١٦٧ ، ١٨٣ ؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٦ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٣ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٧٧ ، ١٧٩ ؛ المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ، المقرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٤٣ ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ ؛ شوقى أبو خليل : الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩ ، ص ٥٨ .

د- موقعة العقاب [١] :-

فى أواخر سنة ٦٠٧هـ/مايو ١٢١١م عبر الخليفة الناصر الموحدى (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٩-١٢١٣م) بقواته ومعداته البحر إلى الأندلس وقام الأسطول الموحدى بنقل المعدات والجنود والعتاد من المغرب إلى الأندلس [٢] ، فنزل الخليفة فى جزيرة طريف ثم سار إلى إشبيليه فى أمم لاتحصى وجيوش ملأت السهل والوعر[٣] .

بعث ملك قشتالة الفونسو الثامن [٤] الأساقفة إلى البابا "أنوسنت الثالث بروما (٥٩٥-٦١٣هـ/١١٩٩-١٢١٦م) لشدة لإعلان الحرب الصليبية فى أوربا ، وحث الشعوب الأوربية على السير إلى أسبانيا لقتال المسلمين ، ثم أرسل أساقفة آخرين إلى أنحاء أوربا ليثيروا حماس الشعوب النصرانية لتهرع لقتال المسلمين[٥].

وعقد ملك قشتالة مؤتمرا فى مدينة قونقة لتوحيد الجهود ضد المسلمين ، فحضر المؤتمر إلى جانب الفونسو الثامن بيدور الثانى ملك أرغونة (٥٩٣-٦١٠هـ/ ١١٩٦ -١٢١٣م) ، أما بقية الملوك الأسبان فبعثوا مندوبين عنهم ، وانتهى

---

(١) انظر خريطة رقم ١٦ .

(٢) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٩٦ .

(٣) المصدر نفسه : نفس الجزء والصفحة .

(٤) الفونسو الثامن : الملقب بالفونسو النبيل ، تولى حكم قشتالة وعمره أربعة عشر عاما فى سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م ، وأعلن الحرب على الموحدين بضراوة شديدة ، اعتنى بشئون الإصلاح فى مملكته سنة ٦٢٥هـ/أكتوبر ١٢١٤م .

عبد الله عنان : دور المرابطين وبداية الموحدين ، ق٢ ، ص ٥٩٠، ٥٩٢ .

(٥) يوسف أشباخ المرجع السابق ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،

Altamira : AHistory of Spain , p. 165 , callaghan : op. cit , p. 246 .

المؤتمر بالاتفاق على الاتحاد والتضامن لقتال الموحدين وتقديم الجند والمال اللازم، ثم أعلن ملك قشتالة الحرب الصليبية فى أسبانيا وأطلق صرخته المشهور "كلنا صليبيون"(١) ، فأخذ النصارى المتطوعون يفدون تباعاً على مدينة طليطلة من كافة أنحاء المدن الأسبانية يقودهم رجال الدين ، كما قامت المجالس البلدية بتوفير الخيل والسلاح والمؤن ، ثم وفد فرسان الجمعيات الدينية فوصل فرسان قلعة رباح وفرسان شانت ياقب وفرسان الاستبارية وفرسان الداوية (٢) .

أنذر البابا بتوقيع عقوبة الحرمان الكنسى على كل ملك أو أمير يتأخر عن مساعدة ملك قشتالة ، فوصل إلى طليطله جيش ملك أرغونة بقيادة الملك بيدور الثانى، وكان الجيش يضم الأتباع والأمراء بكامل قواتهم من الفرسان والمشاة ، ثم وصل جيش ليون يقودة الأمير سانشو آخر ملوك ليون (٣) .

وتقلد هؤلاء الصليبيون شارة الصليب وتولى قيادتهم رجال الدين والأساقفة، وكان "أرنولد" مطران أربونة يضطرم شغفاً لقتال المسلمين ، فقاد جيشاً ضخماً من مقاطعتى لانجدوك وبروفانس ، وحمل ملك نبرة على نصر الصليب بالجند والمال وجعله يتعهد أن يسير بفرسانه ويشترك بنفسه فى القتال إلى جانب ملك قشتالة(٤) .

وحضر إلى طليطلة من أنحاء أوربا زهاء ألفين من البارونات بحاشياتهم ،

---

(١) Scott : op - cit , V II , p. 325 .

(٢) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٣٥٨؛ Callaghan : op. cit , p. 247 .

(٣) يوسف أشباخ ، المرجع نفسه ، ص ٣٥٨ ؛ Callaghan : op. cit , p. 246 .

(٤) يوسف أشباخ : المرجع نفسه ، ص ٣٥٩ ؛

وحضر معهم عشرة آلاف فارس ، وخمسون ألفاً من المشاة حملة الحراب فاجتمع من هؤلاء جيش بلغ زهاء سبعين ألف مقاتل [١] .

نظم ملك قشتالة قواته وجمع القوات التى حضرت معه ، فقسمها إلى ثلاثة جيوش كبيرة يتألف الجيش الأول من الصليبيين المتطوعين الوافدين من البلاد الأوربية، وكان عددهم مائة ألف مقاتل ، بينما تألف الجيش الثانى من قوات أرغونة وقطالونيا وفرسان الداوية ، وتولى قيادته ملك أرغونة "بيدور الثانى" ، وتألف الجيش الثالث أضخم الجيوش من قوات مملكة قشتالة ومملكة ليون ومملكة البرتغال وبعض فرسان هذا الجيش أكثر من ثلاثين ألف فارس وتولى قيادته ملك قشتالة نفسه [٢] .

أما الجيوش الموحدية فتألفت من خمسة أقسام ، ضم القسم الأول طوائف العرب ، وضم القسم الثانى القبائل المغربية (صنهاجة – زناتة – المصامدة – غمارة)، وضم القسم الثالث المتطوعة، وضم القسم الرابع جند الموحدين النظاميين، أما القسم الخامس فضم الجند الأندلسى [٣] .

نشبت الموقعة بين الطرفين يوم الاثنين الموافق ١٥ صفر ٦٠٩هـ/١٩ يوليو ١٢١٢م ومنيت القوات الموحدية بهزيمة شنيعة [٤] واستشهد فيها عدد كبير

---

(١) عبد الله عنان : المرجع السابق ، ق٢ ، ص ٣٩٤ ؛

Painter : A History of Middle Ages , p. 195 .

(٢) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .

(٣) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٤) للاستزادة عن هذه الموقعة راجع :

المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٤٤ ؛ ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٧ ؛ الناصرى: المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٨٩، ١٩٩ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص٢٤١ ، ٢٤٦ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

مـــن المسلميـــن [(١)] .

أما الخليفة الناصر فسار بعد فراره من الموقعة إلى مدينة بياسة ثم ، إلى إشبيليه فى أواخر شهر صفر ٦٠٩هـ/يوليو ١٢١٢م [(٢)] ، ويشير الحميرى إلى ذلك قائلاً "إن الخليفة الناصر وصل إلى إشبيليه ثم جاز البحر إلى مراكش فتوفى فى مراكش سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م" [(٣)] .

ويبرز دور الأسطول الموحدى فى هذه الموقعة فى نقل الجنود والمعدات والعتاد من المغرب إلى الأندلس .

هـ- سقوط إشبيليه [(٤)] :-

فى محرم سنة ٦٤٤هـ/ابريل ١٢٤٦م حشد ملك قشتالة فرناندو الثالث (٦١٤-٦٥٢هـ/١٧-١٢٥٤م) قواته وسار صوب إشبيليه ، بينما عبرت سفنه من الثغور الشمالية إلى مصب الوادى الكبير ليحول دون تلقى المسلمين لأى إمدادات أو مؤن تأتى من عدوة المغرب .

واستطاع فرناندو الثالث الاستيلاء على فحص الشرف المتد أمام إشبيليه والاستيلاء على فحص شريش [(٥)] .

وفى أثناء ذلك كان أمير البحر رامون بونيفاس قد حشد فى ثغور كنتبريا أسطولاً قوياً مشحونا بالبحارة والجند والمؤن ، وتألف الأسطول من ثلاث عشرة

---

(١) الناصرى : المصدر السابق . جـ٢٢ ، ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٣) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

(٤) خريطة رقم ١٧ .

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٣٩٧ .

سفينة كبيرة وعدة سفن صغيرة ، ودخل مياه مصب الوادى الكبير كما سارت معه قوة برية لتساعده على إحكام حصار المدينة ناحية البر والبحر والتصدى لأى قـوة تأتى للمدينة سواء من طنجة أو سبته (١) .

وفى جمـادى الأولى ٦٤٥هـ/١٥ أغسطس ١٢٤٧م بـدأ حصـار إشبيليه ، وضرب فرناندو الثالث محلته جنوبا على ضفة نهر الوادى الكبير قريبا مـن سـفن الأسطول النصرانى ، واحتـل الأسطول النصرانـى ميـاه مصـب الـوادى الكبـير ، وكانت مهمته منع ورود الإمداد والمؤن إلى المدينة من طريق البحر (٢) .

وكانت السفن الإسلامية التى وردت من مينائى طنجة وسبته وتشتبك مـع السفن النصرانية لتفسح الطريق للإمـدادات والمـؤن الواردة مـن العـدوة وتعمـل علـى حمايتها حتى تجد سبيلها إلى المدينة (٣) .

وقد حاول المسلمون أن يحرقوا السفن النصرانية بالنار اليونانية ، واقـتربوا منها تحميهم من ضفة النهر بعض حشود من الجند وأمامهم مواعين مملوءة بالزيت والمواد الملتهبة ، ولكن النصارى فطنوا إلى المحاولـة وهـاجموا المسـلمين مـن الـبر والبحر، فلجأ الجند الذين بالشاطىء إلى قلعة طريانة ونشبت بين سـفن الفريقـين معركة شديدة انتهت بهزيمة المسلمين (٤) .

وكان الاستيلاء على قلعة طريانة حصن إشبيليه من الجنوب الغربى أهم ما يشغل بال النصارى ، لذا كـان لابـد مـن تحطيـم القنطـرة القويـة الضخمـة التـى

---

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٧٢، ٧٣ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٧ ، ص ١٩٠ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٤٠٠ .

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة .

تربطها بإشبيليه عبر الوادى الكبير عند برج الذهب ، وتتكون هذه القنطرة من السفن المثبته بسلاسل ضخمة من الحديد [١] .

لذا جهز بونيفاس قائد الأسطول القشتالى لهذا الغرض مركبين وركب فى إحداهما ، ودفع المركبان نحو القنطرة ، وأسرع الملك فرناندو فى قوة كبيرة ليحمى بونيفاس ومركبه وليحقق الفصل بين المسلمين فى طريانه وأهل المدينة [٢] .

وكان تحطيم القنطرة ضربة شديدة للمسلمين ، إذ ترتب عليه عزل طريانة وتعرضها لخطر هجوم النصارى .

استمر الحصار حول إشبيليه وطريانه حتى نفذت الأقوات ، وفتك الجوع بالمحصورين ، ويشير ابن عذارى إلى ذلك قائلاً "وعدموا المرافق كلها قليلها وجليلها ، والناس يمشون سكارى وماهم بسكارى ومات بالجوع خلق كثير وعدمت الأطعمة من القمح والشعير وأكل الناس الجلود وفنيت المقاتلة من العامة وأصناف الجنود" [٣] .

ولشدة الحصار وما أصاب أهل المدينة سلمت المدينة فى ٥شعبان ٦٤٦هـ/ ٢٣نوفمبر ١٢٤٨م [٤] ، ودخل فرناندو الثالث ملك قشتالة المدينة فى موكب ضخم فى غرة رمضان ٦٤٧هـ/٢٢ديسمبر ١٢٤٨م ، وسقطت إشبيليه حاضرة الأندلس العظمى .

---

(١) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٤٠٠ .

(٢) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٣٨١ ، ٣٨٢ .

(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

جهاد البحرية الموحدية ضد مملكة البرتغال :-

عندما تولى الفونسو هنريكيز [(١)] حكم البرتغال سنة ٤٨٥هـ/١١٢٨م ، عزم على الإغارة على القواعد الإسلامية المجاورة لمملكته فبدأ بـ :-

أ- أشبونة :-

سار الفونسو هنريكيز فى أواخر سنة ٥٤١هـ/أوائل سنة ١١٤٧م بقواته لمحاصرة أشبونة [(٢)] ، ورابطت السفن الصليبية فى البحر لتحول دون وصول أية إمدادات إلى المدينة المحاصرة ، واستمر الحصار بضعة أشهر قاسى المسلمون خلالها أهوالاً هائلة خاصة بعد أن نضبت موارد المدينة المحصورة ، واستطاع النصارى دخول المدينة من بابها الشرقى وقتل الكثير من المسلمين وأسر الأحياء منهم ، واستولى البرتغاليون عليها فى جمادى الأولى سنة ٥٤٢هـ/أكتوبر ١١٤٧م[(٣)] .

---

(١) الفونسو هنريكيز : كان فارساً شجاعاً ، تولى حكم البرتغال سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م وعمره ١٨ سنة، وعنى بأمر جماعات الفرسان الدينية ، وفى سنة ٤٨٦هـ/١١٢٨م أنشأ جماعة دينية سميت بالجماعة المحاربة الجديدة ، وعرف فى المصادر العربية بابن الرنك ، توفى فى محرم ٥٨٠هـ/ديسمبر١١٨٥م .

ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٧٨ ؛ ابن الأبار : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) أشبونة : تقع غرب الأندلس ، وهى مدينة منيعة تحميها من ناحية البحر أسوار منيعة ضخمة ولها عدة أبواب عظيمة ، وبابها الغربى أعظمها ولها باب قبلى يسمى باب البحر وباب شرقى يسمى باب الحمة (خريطة٢١) .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٣) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٢٥٧ ؛ ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

وفى سنة ٥٥٥هـ /١١٦٠م استولى الفونسو هنريكيز على قصر أبى دانس[(١)] بعد أن حاصر القصر شهرين من البر والبحر [(٢)] .

وفى سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م شارك أسطول سبته فى المعارك البحرية التى دارت بين الأسطول الموحدى والأسطول البرتغالى ، فقد ولى الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف أمير البحر غانم بن مردنيش قيادة أسطول سبتة فأغار على مدينة أشبونة وتغلب على قطعتين من قطع الأسطول البرتغالى كانتا راسيتين فى مينائها وعاد بهما إلى سبته [(٣)] .

وقد رد البرتغاليون على هذه الغارة الموحدية عنيفاً إذ توجهوا بحملة إلى سواحل الغرب الإسلامى فى شبه الجزيرة وهاجمت السفن البرتغالية شواطىء ولاية الغرب واستولت على جزيرة شلطيش [(٤)] وأسرت عدداً من أهلها المسلمين ، ولم يطلق سراحهم إلا بعد أن قام الخليفة يعقوب بافتدائهم [(٥)] .

---

(١) قصر أبى دانس : يقع جنوب شرق أشبونة ، تقع على مصب نهر شطوبر ، وتنسب إلى مؤسسها أبى دانس بن عوسجة المصمودى .
الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٨١ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٧٥ .

(٢) ابن الأبار : المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٤٠ ؛ الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ،ص ١٥٢؛
ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥٠١ .

(٤) جزيرة شلطيش : جزيرة صغيرة تقع أمام مدينة ولبة فى مصب نهر أوديل فى جنوب غرب الأندلس، ويذكر الإدريسى أن بها دار صناعة الحديد الذى يعجز عن صنعة أهل البلاد لجفائه ، وهى صفة المراسى التى ترسو بها السفن .
الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤.

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٤٠؛ د.العبادى: تاريخ البحرية الإسلامية،ص ٢٦٧.

أراد الموحدون الثأر لهذه الغارة أو الرد على هذا العمل ، ففى سنة ٥٧٦هـ/مايو ١١٨٠م خرجت حملة بحرية كبيرة من سبتة يترأسها غانم بن مردنيش وأخوه أبو العلاء ، وأمرهما الخليفة أبو يعقوب بالإبحار إلى شمال مدينة أشبونة حيث نزلوا بقواتهم فى ميناء "بورتودى موسى" شمالى أشبونة ، وعندما نفذ المسلمون إلى نهر الدويره إتجهوا إلى الداخل وهاجموا "بورتودى موسى" غير أن أمير البحر البرتغالى "دون فواس روبينهو" أدرك نية الموحدين فأمر بتحصين القلعة والاستعداد للدفاع عنها، وفى نفس الوقت أرسل لطلب النجدة من كل المناطق المجاورة له وخاصة شنترين وألكانينا ، فهرع لنجدته عدد كبير من الفرسان ، ودبر البرتغاليون كميناً للمسلمين فى جبال "منديجا" عند منابع نهر "بورتودى موسى" فانقضوا عليهم وفرقوا صفوفهم وقتلوا كثيراً من الموحدين ، وقاموا بعمليات السلب والنهب مما أدى إلى هروب السفن الموحدية ، وعندئذ خرج "دون فواس روبينهو" بأسطوله واشتبك مع الأسطول الموحدى وانتصر عليه، واستولى البرتغاليون على تسع قطع من مراكب المسلمون بمن عليها من الملاحين ، وانصرفوا بهم إلى أشبونة [١] .

ويشير إلى ذلك ابن عذارى قائلاً "وفى هذه السنة (٥٧٦هـ) أسر غانم بن مردنيش قائد الأسطول بسبته وأخوه أبو العلا وجملة من أصحابة ، واستُشهد باقى أخوته وجماعة من المسلمين رحمهم الله ، واحتوى النصارى على كثير من القطائع وعلى من كان فيها من المسلمين وانصرفوا إلى أشبونة وذلك فى منتصف المحرم" [٢] .

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١١٦ .

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

وكتب غانم بن مردنيش من أسره رسالة إلى الخليفة يصف فيها سوء حاله، فوصله كتابه وهو بتلمسان فى أول صفر سنة ٥٧٦هـ/٢٧يونيه ١١٨٠م ، فأمر فى الحين أن ينصرف أبو القمر هلال بن مردنيش إلى مراكش لينظر أمر افتداء أخيه ، فوصل إلى مراكش وأحضر المال وبعث به إلى إشبيليه فحمل إلى البرتغال وأفرج عن غانم وأخيه وبقية المأسورين [١] .

وقع ابن عذارى فى تناقض تام فيما يتعلق بتاريخ إطلاق سراح غانم بن مردنيش ، فيشير فى إحدى رواياته انه عندما أسر فى الحملة على على قلعة بورتودى موسى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م ، كتب من سجنه إلى الخليفة يلتمس منه الغوث والتدخل لإطلاق سراحه ، فعهد الخليفة إلى أخيه أبو القمر بن مردنيش بالنظر فى فداء أخيه ، فقام على الفور بجمع المال اللازم لذلك وبعث به إلى إشبيليه فحمل إلى البرتغال وأفرج عن غانم وأخيه وبقية أصحابه [٢] .

بينما يشير فى رواية أخرى ضمن أحداث سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م أن الأسطول الموحدى بقيادة عبد الله بن جامع قد انتصر على الأسطول البرتغال سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م وعاد إلى المغرب يحمل عددا كبيرا من الأسرى والغنائم فأمر الخليفة بتخصيص بعض الأسرى لافتداء غانم بن مردنيش وأصحابه وأمر بإعدام الباقين ، وهذا معناه أن غانم لم يطلق سراحه سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م طبقا للرواية الأولى [٣] .

ويبدو أن الرواية الثانية هى الأدق لأنه لو كان قد أفرج عن غانم وأخيه

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١١٦ .

(٢) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ١١٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

كما ورد فى الرواية الأولى فمن المنطقى أن يخرج قائداً للحملة فى العام التالى ، ويبدو أن جمع المال فى الرواية الأولى قد حدثت له أمور عاقت وصوله إلى البرتغاليين لإطلاق سراح غانم وصحبه .

وقد شجع هذا الانتصار القائد البرتغالى "دون فواس روبينهو" على الخروج بأسطول قوى للإغارة على سواحل الأندلس الغربية ثم على مدينة سبته بعد ذلك، مما أدى إلى غضب الخليفة والمسلمين من هذه الغارة ، فاضطرمت نفوسهم جميعاً رغبة فى الجهاد ضد أعداء الله والأخذ بثأر إخوانهم [١] ، فخرج القائد عبد الله بن جامع قائد أسطول سبته سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م ، كما خرج القائد أبو العباس الصقلى من إشبيليه بأساطيلها واجتمعوا فى جزيرة قادس وقد استكملوا أربعين قطعة ، فنهضوا منها بجمعهم إلى جهة شلب والتقوا بالأسطول البرتغالى فى نفس المكان الذى أسر فيه غانم بن مردنيش من قبل ، فهزم البرتغاليون فى هذا اللقاء شر هزيمة وقتل منهم الكثير ، وأسر نحو الألف وثمانمائة ، ولم يفقد المسلمون إلا القليل من رجالهم واستولى الموحدون على عشرين قطعة بمن عليها من الرجال والأسلحة ، واقتسموا الغنيمة من الأسرى وغيرهم وغادروا مواضعهم ظاهرين ظافرين [٢] .

---

(١) Miranda : Historia politic a del Emperio Almohade , Tetuon , 1957 , pp. 279 - 281 ,

د. العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب ، ص ٢٦٧.

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٤٥ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص ٥٠٣؛ د. العبادى، تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب ، ص ٣٥٢ ؛ د. سحر سالم : مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للأندلس فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م ، ص ١١٣ ، هامش ٧٠ .

وقد اعترفت المصادر البرتغالية بهذه الهزيمة التى لحقت بأسطولهم ، كما إنها تجمع على أن أمير البحر البرتغالى "دون فواس روبينهو" قد لقى مصرعه فى هذه المعركة [(١)] .

ب- المعارك فى بطليوس :-

فى بداية عهد الخليفة أبى يعقوب شهدت حركة الاسترداد المسيحى نشاطاً ملحوظاً فى كافة أنحاء الأندلس ولاسيما منطقة الغرب ، حيث بدأ نصارى البرتغال فى شن سلسلة جديدة من الحملات المنظمة على القواعد والأراضى الإسلامية .

واستعان الفونسو هنريكيز ملك البرتغال بأحد الفرسان المرتزقة الذى تسميه الرواية العربية "العلج جرانده الجليقى" [(٢)] .

---

(١) Miranda : op. cit , p. 280 .

(٢) البيذق : المصدر السابق ، ص١٦٧ ؛ ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٣٩٥ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٠٤ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٤٩٦ .

وصف جرانده بأنه مغامر باسل عبقرى أو قاطع طريق أو رئيس عصابة ، ووجد مجالاً خصباً لنشاطه بالظروف التى كانت سائده آنذاك فى بلاد الغرب الأندلسية ، وأطلق عليه البرتغاليون اسم "السيد" البرتغالى لتشابه أعماله مع أعمال السيد القمبيطوز ، وكان يشجعه الفونسو هنريكيز بالأموال والرجال لقتال المسلمين وكان اختيار الفونسو لجيرالدو راجعاً لمهارته العسكرية ، واتقانه للحيل والخدع فكان دائما يبدأ غزواته فى الليالى المطرة حالكة الظلام شديدة الرياح والبرد، وكان بعد السلالم يعلو سور المدينة التى يرغب فى الاستيلاء عليها .

ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٧٨ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٣٩ ؛ د. سحر سالم: التاريخ السياسى بطليوس ، رسالة ماجستير،جامعة اسكندرية ، ١٩٨٤ ،ص ٥٥٢.

وكان جراندة يركز نشاطة فى الأراضى الإسلامية الواقعة فى قطاع بطليوس ما بين نهرى التاجة ووادى نهر يانة ، يعيث فيها فساداً ، فقتل ونهب وخرب وتعاون مع الفونسو هنريكيز ملك البرتغال [١] .

فاستولى "جرانده" على مدينة ترجالة [٢] فى شهر جمادى الآخرة ٥٦٠هـ/أبريل ١١٦٥م [٣] ثم استولى على حصن جلمانية [٤] فى جمادى الأولى ٥٦١هـ/مارس ١١٦٦م ، واتخذ من حصن جلمانية مستقراً له ، وأخذ يشن الغارات على بطليوس ويضيق عليها الخناق [٥] .

وفى رجب سنة ٥٦٤هـ/إبريل١١٦٩م أعد "جرانده" جيشاً كبيراً لمهاجمة بطليوس [٦] وساعده "الفونسو هنريكيز" بأسطول كبير اشتمل على ثلاثين سفينة حربية مشحونة بالرجال والعتاد والأسلحة [٧] ، وحاصر "جرانده" المدينة براً وبالأسطول الرابض على نهر وادى يانة ، ولما اشتد الحصار رأى واليها الموحدى الحافظ أبو على بن تمصليت قلة مامعه من الجند آثر التحصن بقصبة المدينة لمناعتها وحصانة موقعها، كما أرسل فى نفس الوقت إلى والى إشبيليه يطلب منه

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .

(٢) ترجالة : تقع شمال مارده ، بينهما ٩٠ك.م على مقربة من نهر التاجة (خريطة١٨) . الإدريسى : المصدر السابق ، ص١٨٧ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٣٣ ،

(٣) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٣٩٦ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص١٠٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٤٩٩ .

(٤) حصن جلمانية : يقع على مقربة من غربى بطليوس .(خريطة ١١٨) . الحميرى : المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٥) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٣٩٦ ؛ ابن عذارى:المصدر نفسه ، ق٣، ص ١٠٤.

(٦) انظر خريطة رقم ١٨ .

(٧) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ .

المساعدة ، واستطاع "جرانده" الاستيلاء على المدينه ذاتها [(١)] ثم ضرب حصاراً شديداً على قصبتها حتى استطاع الاستيلاء عليها فى رجب ٥٦٤هـ/إبريل ١١٦٩م [(٢)] .

أوجدت هذه التحركات العسكرية البرتغالية نوعاً من القلق لدى الخليفة أبى يعقوب ، لذلك قرر الجواز إلى الأندلس للنظر فى أمر غرب الأندلس والعمل على وقف الزحف البرتغالى فى هذه المنطقة .

ويشير ابن صاحب الصلاة إلى ذلك قائلاً "إن أبا يعقوب خرج من مراكش عازماً على التوجه إلى الأندلس وأقام فى وادى "تانسيفت" [(٣)] ثلاثة أيام ، حيث اجتمع مع كبار القادة للتشاور فى كيفية التدخل السريع لإنقاذ بطليوس ، فتم الاتفاق على أن يتقدم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى بالعسكر إلى إشبيليه ثم يخرج من هناك لنجدة بطليوس ، وبينما كانت الاستعدادات الموحدية تجرى على قدم وساق لإنقاذ قصبة بطليوس تحرك فرناندو الثانى [(٤)] ملك ليون لنجدتها [(٥)] .

وعندما وصل ملك ليون إلى مقربة من بطليوس أرسل إلى واليها المحصور

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٤٩٩ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٠٥ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ ؛ د. سحر سالم : المرجع السابق ، ص ٥٥٧ .

(٣) وادى تانسفيت : يقع على بعد ثلاثة أميال شرقى مراكش .
الإدريسى : المصدر السابق،ص ٦٩؛ مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٩ .

(٤) فرناندو الثانى : كان ملكاً على ليون حتى توفى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م ، ويعرف بالببوج ، تحالف مع الموحدين ضد القشتاليين ، وتزوج بالأميرة أوراكا ابنة الفونسو الثانى .
عبد الله عنان : عصر المزابطين ، ق٢ ، ص ٥٩٣ ، ٥٩٤ .

(٥) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٠٢ ؛ ابن عذارى:المصدر السابق ، ق٣ ،ص ١٠٦.

فى القصبة ومن معه من أهل المدينة يعلمهم بوصوله لنجدتهم والعمل معهم على إخراج عدوهم ويطلب منهم أن يدلوه على موضع يمكن أن يسلكه لدخول المدينة، فأمر والى المدينة بثقب باب فى سور القصبة ليتحقق الموحدون من وصول "فرناندو الثانى" بقواته، وبدء المناوشات بينه وبين قوات ملك البرتغال وحليفه "جرانده"، وتم فتح هذه الخوخة وخرجوا منها إلى أقرب باب من أبواب المدينة وفتحوه ، وأدخلوا فيه عسكر "فرناندو الثانى" واجتمع عسكر ملك ليون مع حامية المدينة الموحدية على قتال البرتغاليين داخل المدينة [(١)] .

وترجع اسباب تسليم فردناند لبطليموس للموحدين أن الموحدين سبق ان مدوا يد العون الى فرديناند الثانى وحالفوه سنة ١١٦٨م ضد خصومه فى قشتاله وساروا معه حتى حدودا شتوريا ثم عادوا سالمين ، كذلك أدرك فرديناندان إمكانياته الحربية لا تساعده على الاحتفاظ بمدينة بطليموس بسبب وصول الإمدادات والقوات الموحدية لنجدتها. هذا فضلا عن أن جبهاته تجاه مملكة قشتاله والبرتغال مازالت مفتوحة.

وأبلت القوات الليونية والموحدية بلاء حسنا ، وثبتوا على قتال البرتغاليين حتى مزقوا صفوفهم ، وهكذا خرج البرتغاليون من بطليوس واستولى الموحدون عليها فى ٢٢ شعبان ٥٦٤هـ/٢١مايو ١١٦٩م .

<u>جـ- موقعة شنترين [(٢)] :-</u>

لم تلبث حدة الصراع بين الموحدين والقوى المسيحية فى غرب الأندلس أن

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٠٤ ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ق٣ ،ص ١٠٦.

(٢) شنترين : مدينة برتغالية تقع شمال أشبونة على مسافة تبعد عنها بنحو ٧٨ك.م ، وتقع على جبل عال (خريطة١٩) .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٣٦ ؛ محمد الفاسى : الأعلام الجغرافية ، مجلة البيئة ، العدد الثالث ، ١٩٦٢ ، ص ٣٥ .

تصاعدت إلى حد كبير ، وأخذ كل فريق يستعد لتوجيه ضربة حاسمة لخصمه .

فعلى الجانب المسيحى عقدت كل من ليون وقشتاله والبرتغال معاهدة فى ٧صفر ٥٧٩هـ/أول صفر ١١٨٣م للتحالف ضد الموحدين [(١)] .

وقد أدرك الخليفة أبو يعقوب خطورة ذلك ، ودفعته المخاوف إلى العزم على البدء بحملة إلى أشد مناطق الأندلس التهابا وهى غرب الأندلس .

وفى ٤ محرم سنة ٥٨٠هـ/١٧أبريل ١١٨٤م غادر الخليفة إلى ثغر سبته ، وأقام بقية الشهر ثم أمر قواته ببدء العبور إلى الأندلس ، وعبر فى صفر ٥٨٠هـ/١٨مايو ١١٨٤م فنزل بجبل الفتح وسار منه إلى الجزيرة الخضراء ومنها إلى إشبيليه حتى وصلها فى ١٣ صفر ٥٨٠هـ/٢٦مايو ١١٨٤م [(٢)] .

وفى اليوم التالى أمر بعرض قواته وتوزيع الأسلحة والخيل والعتاد عليهم ، فوزعت ألف فرس من عتاق الخيل على أشياخ الموحدين والعرب وكبار الجند ، وأمر أبى العباسى أحمد الصقلى قائد الأسطول بإعداد سفن الغزو بما يلزم من الآلات والمعدات لتشارك القوات البحرية الموحدية فى هذه الحملة ، وخلال ذلك كانت تتلاحق جموع الأندلسيين إلى إشبيليه لتشترك مع القوات الموحدية فى الجهاد [(٣)] ، ثم أقام الخليفة فى إشبيليه حوالى أسبوعين نظم حشوده ، واستكمل أهبته ونظر فى كل ما يلزم للقيام بحملة ناجحة ، ويقدر الحميرى عدد القوات المشتركة فى هذه الحملة بأربعين ألف من أنجاد العرب والفرسان وبما يزيد عن

---

(١) عن هذه المعاهدة راجع :

عبد الله عنان : عصر المرابطين ، ق٢ ، ص ٤٧٩ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٥٩ ؛ ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٠ ، (خريطة رقم ٢) .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٥٩ .

مائة ألف فارس من الموحدين والجنود والمطوعة وفرسان الأندلس وأجنادها ، هـذا بخلاف القوات البحرية[١] .

وكان الخليفة قد قرر اختيار غـرب الأندلـس هدفـا لهـذه الحملـة اذ كـان يعتبر مملكة البرتغال أخطر الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة على غرب الأندلس[٢] .

ويرجع اختيار الخليفة مدينة شنترين بالذات هدفا لهذه الحملة إلى سببين رئيسيين أولهما : أن شنترين كانت من أقـوى قواعـد المنطقـة ، كمـا أنـها نقطـة انطلاق يتخذها ملك البرتغال وكرا للإغارة على أملاك المسلمين المتاخمة له .

وسبق أن رأينا كيف هاجم ملك البرتغـال وحليفـه جرانـده الجليقـى مدينـة بطليوس إنطلاقا مـن شـنترين ، وكيـف خرجـت القـوات البرتغاليـة مـن شنترين عندما أغارت على أحواز إشبيليه [٣] .

أما السبب الثانى فيتمثل فى أن الخليفة أبا يعقوب يوسف أراد فتح ثغـرة فى خط الدفاع البرتغالى المتد بحـذاء نـهر التاجـة ، وذلـك عـن طريـق مهاجمـة شنترين والاستيلاء عليها [٤] .

وهناك رأى آخر يرى أن خطة الخليفة فى مهاجمة مملكة البرتغال كـانت تقضى مهاجمة مدينة أشبونة من البر ، بينما يحاصرها الأسطول من جهة البحـر عنـد مصب نهر التاجـة ، وإن الخليفـة أراد أن يضمن النجاح لخطته فقرر

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

(٢) Mirnda : op. cit , p. 291 .

د. عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٢٧٨ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ١٦٢ .

(٤) الحميرى المصدر السابق ، ص ٣٤٦ .

الاستيلاء أولا على شنترين مفتاح وادى التاجة المجاور لها [(١)] .

وترى الباحثة أن الخليفة اعتمد فى خطته الاستيلاء على كل مدن البرتغال حتى نهر الدويره ، ويتحقق ذلك بمهاجمة مملكة البرتغال من البر والبحر حتى ضفاف نهر الدويره ، ثم يواصل المسلمون بعد ذلك من ضفاف نهرى التاجة ودويرة زحفهم إلى قلب مملكة قشتالة .

وعلى هذا فقد كان هدف الخليفة شغل القوات البرتغالية على سواحل البرتغال وعلى الأخص أشبونة لعدم اتاحة أى فرصة لهم فى مساعدة شنترين وتقسيم قواتهم فى شنترين وأشبونة .

توجه الخليفة فى ١٦ صفر ٥٨٠هـ/١٥يونيو ١١٨٤م بقواتة شمالا صوب مدينة شنترين حتى وصل إلى مدينة بطليوس ، فأمر بالنزول إليها لعرض القوات واستكمال ما ينقصها من الزاد والميرة [(٢)] .

وفى ١٠ ربيع الأول ٥٨٠هـ/٢١يونيو ١١٨٤م غادر الخليفة على رأس قواته مدينة بطليوس ، وسار نحو الشمال الغربى مخترقا الضفة اليسرى من نهر التاجة ، ثم أمر قواته بعبور النهر وأن تتقدم فرقة استطلاعيه يقودها السيد أبو إسحاق والى إشبيليه إلى شنترين ليقف على حجم استعدادتها ، ويستطلع أحوالها، وذلك يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول ٥٨٠هـ/٢٧يونيو ١١٨٤م ، ثم تلاحقت بقية القوات فى الليلة نفسها وعسكرت بالجبل المطل على شنترين من ناحيتها الشرقية والجنوبية ، وماكادت القوات الموحدية تصل إلى ظاهر شنترين حتى أمر الخليفة أن يتقدم الجند نحو أبوابها وان يقيموا الحصار عليها ،

---

(١) د. أحمد العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب ، ص ٤٤٣ ، ٤٤٥ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ١٦٠ .

وضربت خيمة الخليفة الحمراء في بعض الربض الواقعة في جنوبها الشرقي وأقيمت حولها معسكرات الجند ، ثم شدد الموحدون الحصار حول المدينة [١] .

واستطاع الموحدون هزيمة النصارى وتمكنوا من هدم الربض المتصل بسور المدينة وحرقه [٢] ، وكادت الغلبة أن تتم لولا أن الخليفة فاجأ الجيش في ١٢ربيع الأول ٥٨٠هـ/٢يوليو ١١٨٤م بإصدار أمر بالانسحاب بعد أن أوشك الموحدون على اقتحام قصبة المدينة .

اختلف المؤرخون حول تفسير أسباب رحيل الجيش الموحدى من شنترين بعد تشديد حصارهم عليها وتمكنهم من ربضها ونجاحهم في المعارك الأولى ضد النصارى .

فيرى المراكشي "أنه بالرغم من تشديد حصار أبي يعقوب على شنترين وانتساف زرعها وقطع الإمدادات عنها إلا أن جيش النصارى كان من القوة بحيث استطاع الصمود أمام هذا الحصار ، وخاف الموحدون هجوم البرد وان يفيض النهر فلا يستطيعون عبوره وتنقطع عنهم الإمدادات ، فاجتمع الخليفة بالقواد والشيوخ الذين أشاروا عليه بالعودة إلى إشبيليه ولم ينتشر هذا القرار بين الجند وإنما كان في مجلس الخليفة فقط ، وكان أول ما أظهر الرحيل أبو الحسن المالقي وكان خطيبهم وحاضر الاجتماع فلما رآه الجند أسرعوا أيضا بالرحيل خوفا من الزحام فعبر أثناء الليل أكثر الجند ، وكان الخليفة لايعلم بذلك . ولما رأى النصارى رحيل أكثر الجند خرجوا من المدينة وحاربوا من بقي من الجيش

---

(١) المراكشي : المصدر السابق ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

الموحدى حتى وصلوا إلى المكان الذى فيه الخليفة فقتلوا حراسه وأعيان الأندلس الذين كانوا معه ووصلوا إلى أبى يعقوب فطعن طعنة مات منها بعد عدة ايام [١] .

أما ابن أبى زرع فيشير إلى ذلك قائلا "إن الخليفة فى ٢٢ربيع الأول ٥٨٠هـ إنتقل من موضع نزوله بجوف شنترين إلى غربيها وفى الليل أمر ابنه السيد أبو اسحاق بالاتجاه بجند الأندلس لشن الغارات على أشبونة ويكون الرحيل نهارا ولكن ابنه أساء الفهم ورحل ليلا فانتشر القول بين الجيش بأن الخليفة عزم على الرحيل فى هذه الليلة ، ولما قرب الفجر رحل السيد أبو إسحاق بجيشه فتبعه الجند بالرحيل وأمير المؤمنين لايعلم . وفى الصباح لم يجد حوله إلا ساقته وقواد الأندلس ولما رأى النصارى ذلك فتحوا أبواب المدينة وقتلوا ساقته واقتحموا خيمة الخليفة وطعنوه طعنات نافذة . ولما علم الجيش الموحدى تراجع وقاتل النصارى وعادوا بالخليفة إلى إشبيليه ولكنه توفى فى الطريق" [٢] .

اما ابن خلدون فذكر "إن الموحدين رفعوا الحصار وبادروا بالرحيل منذ السحر وتركوا الخليفة فى محلة مما أتاح لأهل شنترين مهاجمته" [٣] .

ولعل السبب الرئيسى فى إصدار الخليفة أوامره لقواته برفع الحصار والعودة هو علمه عن طريق فرق كشافته بوصول قوات برتغالية كثيفة تعاضدها قوات من الممالك والإمارات المسيحية الأخرى لإنقاذ مدينة شنترين ، وقد رأى الخليفة وهو قائد الحملة احتمال اعتراض قوات مملكة ليون طريق عودته ومنعه من عبور نهر التاجه وبذلك يقع جيشه بين فكى الرحى ويبدو أن هذا هو العامل

(١) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٥٠٤ .

الرئيسى الذى جعل الموحدين يسرعون بالعودة[1] .

أما عن السبب الذى جعل الخليفة آخر من يرحل فأرجح أنه أراد أن يبقى على رأس الفرق التى تقوم بحراسة الجيش ليطمئن على سلامة قواته ، ولكن الأسبان لما رأوا قلة القوات التى معه قاموا بالهجوم عليه .

د- المعارك البحرية فى شلب [2] :-

فى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م تصادف وجود أسطول من خمسين سفينة فرنسية ، وعليها جماعة كبيرة من الصليبيين الألمان والفلمنك دفعته الأنواء والعواصف الجامحة نحو مياه أشبونة ، فاضطروا إلى الرسو بها فانتهز ملك البرتغال سانشو الأول (٥٨١ - ٦٠١هـ/١١٨٥-١٢١١م) هذه الفرصة وطلب من هؤلاء الصليبيين معاونته فى حملة مشتركة نحو مدينة شلب [3] .

واستجابت هذه القوات لنداء ملك البرتغال طمعا فى إحراز الغنائم والثروات من أرض الأندلس ويشير المراكشى إلى الاتفاق الذى تم بين الطرفين بقوله "وقد وجه اليهم يستدعيهم ليعينوه على أن يجعل لهم سبى البلد وله هو المدينة ففعلوا ذلك" [4].

فاجتمع لملك البرتغال عدد ضخم من السفن الصليبية فى مياه أشبونة تحمل ألوفا عديدة من المقاتلين تقدموا جميعا نحو مدينة شلب وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٥هـ/يونيو ١١٨٩م ، وبدأت بمهاجمة حصن البور [5]

---

(١) ابن ابى زرع: المصدر السابق، ص ١٤١، يوسف اشباخ: المرجع السابق، جـ٢، ص٧٤.

(٢) خريطة رقم ٢١ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٤) المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٨٥.

(٥) حصن البور : يقع على بعد ١٦ ك.م من شلب .

عبد الله عنان : دولة المرابطين وعصر الموحدين ، ق٢ ، ص ١٧٣ .

فقتلت حاميته الإسلامية ومن التجأ إليه من المسلمين وكانوا حوالى ستة آلاف [١].

وقد شجع هذا النجاح ملك البرتغال على مواصلة تقدمه نحو شلب ، تعاونه قوات صليبيه جديدة من الألمان والفلمنك ، فسارت هذه القوات بسفنها نحو نهر التاجة حذاء الشاطىء البرتغالى ورست فى مياه "بورتماو الصغير" جنوب شلب ، بينما طوقت القوات البرتغالية البرية جنوب المدينة فأحدقوا بشلب من جميع الجهات [٢] .

وبدأ الهجوم البرتغالى على أرباض المدينة واستطاعوا تحطيم أبواب المدينة مما أدى إلى أن يسود الفزع بين الحامية الإسلامية ، وكان يتولى المدينة الحافظ عيسى بن أبى حفص بن على [٣] فأمتنع بقواته داخل الحصن واعتمد على حصانته الطبيعية ، وفى أثناء ذلك شغل الصليبيون عن مهاجمة المدينة بنهب ماحولها من الأرباض والمحلات ، وحاول ملك البرتغال على مدى بضعة أسابيع مهاجمة المدينة بقواته إلا أن محاولاته باءت بالفشل أمام حصانتها ، فاضطر إلى محاصرتها واستدعى قوات جديدة لمعاونته قدمت فى أربعين سفينة .

وعاود ملك البرتغال محاولة اقتحام المدينة فضربها بالمجانيق والنبال ضربا شديدا لكن ذلك لم يؤثر فى تحصيناتها القوية ، وحاول الجند الفلمنك من جهة أخرى حفر سراديب تحت الأسوار وأحداث ثلمات للنفاذ عن طريقها إلى الداخل، فأحبط أهل المدينة محاولتهم ، وكان من الممكن أن تصمد المدينة

---

(١) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٢٠٢ .

(٢) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٢٠٢ .

(٣) يصف ابن عذارى الحافظ عيسى بن أبى حفص بأنه رجل لم تحنكه التجارب ، ولاابتلى بسد الثغور فاستولى عليه الجزع والهلع .

ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٠٢ .

للحصار لولا أن الصليبيين عمدوا إلى قطع المياه عنها لإرغامها على التسليم ، وكانت المدينة تستخدم ماءها من نهر قريب بواسطة بئر كبير مقام بالقرب من السور أقيم فوقها لحمايتها برج كبير ، فهاجم المحاصرون هذا البرج فخرج المسلمون لمنعهم ونشبت بينهم معركة حامية انتهت باستيلاء البرتغاليين على البئر ، وبعد أيام قليلة استبد العطش والجوع بأهل المدينة [١] فلم تستطع الصمود أكثر من ذلك ، فبعث أهلها وفدا إلى ملك البرتغال يعرضون عليه تسليم المدينة على أن يخرجوا سالمين حاملين سائر أمتعتهم ، فتفاوض سانشو مع حلفائه الصليبيين ودخل النصارى مدينة شلب بعد حصار دام ثلاثة أشهر وذلك يوم الأحد ٢٠ رجب سنة ٥٨٥هـ/٣١سبتمبر ١١٨٩م وأخرجوا أهلها عنها[٢] .

وكان لسقوط شلب فى أيدى البرتغاليين ضربة قاسية للموحدين فهى آخر معاقلهم فى تلك المنطقة الحساسة ، وبسقوطها فى أيدى البرتغاليين فتح الطريق أمامهم لتهديد المسلمين فى لبلة وإشبيليه [٣] .

وقد أزعجت هذه الأنباء الخليفة المنصور فقرر العبور إلى الأندلس ، ففى سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م عبر بجيوشة إلى الأندلس [٤] ونزل بطريف [٥] واتجه إلى إشبيليه وأمر واليها أبا يعقوب بن أبى حفص بالتحرك إلى مدينة شلب فى حين لحق بهم الأسطول البحرى الموحدى ، وتم حصار المدينة برا وبحرا ونصبت عليها آلات الرمى [٦] .

---

(١) ابن عذارى :المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٢٠٢ .
(٢) ابن عذارى : المصد السابق ، ق٣ ، ص ٢٠٣ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .
(٣) عبد الله عنان : دولة المرابطين وبداية عصر الموحدين ، ق٢ ، ص ١٧٤ .
(٤) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٢٠٣ .
(٥) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .
(٦) المراكشي : المصدر السابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٦ .

وهناك من ذكر أن سفنا للصليبيين التجأت إلى ميناء أشبونة عقب تعرضها لعاصفة شديدة سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م ، وأثناء ذلك عبر الخليفة المنصور نهر التاجة بالقرب من شنترين وفتح حصن طرش [١] ثم حاصر حصن طومار [٢] ، بينما أسند حصار شلب إلى ابن عمه ثم لم يلبث أن جرت المفاوضات بين المنصور وملك البرتغال على أن يترك الخليفة حصار طومار مقابل تسليم البرتغاليين مدينة شلب للموحدين ، وقد هدد الخليفة فى حالة عدم إجابة طلبه بالهجوم على شنترين حيث يقيم الملك مع جنوده ، ورفض ملك البرتغال الإذعان لتلك المطالب لعلمه بوصول الصليبيين إلى أشبونة فاستغاث بهم وقدم إليه فى شنترين خمسمائه جندى منهم ، وكان الجميع مترقبين هجوم المنصور عليهم فى أية لحظة ، ثم انسحب الخليفة الموحدى بجيوشه، ولم يذكر ابن عذارى السبب الحقيقى لعودة الجيوش الموحدية ، ولكن السبب فى تراجع الجيوش الموحدية هو قدوم أسطول الصليبيين الذى استجاب لاستغاثة البرتغاليين [٣] .

أقام الخليفة المنصور فى إشبيليه ، وعندما علم بمغادرة الأسطول الصليبى قرر العودة لاستئناف الحرب ضد البرتغاليين ، فخرج فى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م بحشوده وجنوده مرة أخرى ، وكانت وجهته هذه المرة قصر أبى دانس ، وقد

---

(١) حصن طرش : يقع شمال شنترين .
الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٤٣٦ .

(٢) حصن طومار : يقع شمال طرش .

الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٤٣٦ .

(٣) Barbour (N): AL-Andalus enles cronicas ingles as delos siglos decey Trece, revista dal institutio de estudio islamicas en Madrid ,1965 ، 1966 , vol XIII ، pp. 141-

حفر البرتغاليون خندقا كبيرا حول المدينة فأمر الخليفة بردمه ، وتقدمت الجنود لاقتحام الأسوار فأصابهم النصارى بالنبال والحجارة ، فلما رأى الخليفة ذلك أمر بوقف القتال لمدة ثلاثة أيام لوصول آلات الرمى مع الأسطول الموحدى الذى قام بحصار المدينة بحرا ، ونصبت حول المدينة أربعة عشر منجنيقا ؛ وفى الحال صدرت الأوامر بتشديد القتال عليها برا وبحرا، واشتد الأمر عل النصارى المحاصرين فاضطروا إلى الاذعان والتسليم، وحمل الموحدون الأسرى إلى إشبيليه عنوانا لهذا النصر العظيم (١) .

سار الخليفة بعد ذلك بجيوشه إلى حصن قلمالة (٢) وهو حصن منيع شديد الارتفاع ، وقد حشد فيه ملك البرتغال عددا كبيرا من رجاله وأبطاله ، فلما رأوا جيش الموحدون أيقنوا بالهلاك وأنه لا قبل لهم بالمقاومة فطلبوا تسليم الحصن فأجابهم الخليفة إلى ذلك وأخلى سبيلهم فى العودة إلى بلادهم واستولى الموحدون على مافيه من المؤن والذخائر وهدمت الجيوش أسوار الحصن (٣) .

ووصلت الجيوش الموحدية إلى مدينة شلب يوم الخميس ٢ جمادى الآخرة ٥٨٧هـ/٢٨يونيه ١١٩١م وحاصرتها فى الحال حصارا شديدا ، وقامت بردم الخنادق ونصبت المجانيق ورمت الأسوار بشدة عظيمة ، واستمر الحصار ثلاثة وعشرين يوما ، وظل الموحدون فى يقظة دائمة انتظارا للفرصه السانحة فى اقتحام المدينة ، فلما استغرق النصارى فى النوم حانت اللحظة الحاسمة لاستعادة شلب ، فتسلل دليل الجيش من ثلمة فى السور ومعه جماعة من الموحدين ، وما

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) حصن قلمالة : أحد حصون الغرب الأندلسى .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٣٧ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢١٩ .

أن دخلوا المدينة حيث رفعوا الرايات على سورها وعلت أصوات الجند بالتهليل والتكبير ، وما أن أفاق النصارى إلا وقد أحكم الموحدون قبضتهم على المدينة فسارعوا إلى طلب الأمان والتسليم، وقد وافقهم ملك البرتغال على ما قاموا به شاكرا لهم ماأبدوه من جلد وصبر أمام الموحدين .

أذن الخليفة أبو يوسف للنصارى بمغادرة قصبة شلب وقام بترتيب أمور المدينة التى استعادها من البرتغاليين [1] .

---

(١) ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق ٣ ، ص ٢١١ ، ٢١٢ ، المقرى: المصدر السابق،جـ٤،ص ٦٥.

جهاد البحرية الموحدية ضد مملكتي أرغونة وبرشلونة :-

كانت مملكة أرغونة تتألف من اتحاد مملكتى أرغونة ونبرة منذ سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م ، ثم انفصلت مملكة نبرة عن مملكة أرغونة سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م إثر وفاة الفونسو المحارب ملك أرغونة دون أن يترك فى حكم المملكة وريثا من صلبه [١] .

وقد تولى الراهب راميرو (٥٢٨-٥٣١هـ/٣٤-١١٣٧م) شقيق الملك الفونسو المحارب عرش مملكة أرغونة سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م [٢] ولكنه لم يستطع تصريف أمور الدولة والقيام بأعباء الحكم ، فرأى بعد ثلاث سنوات من الحكم أن يزوج ابنته الطفلة بترونيلا من رامون برنجير الرابع كونت برشلونة ويتنازل له عن عرش مملكة أرغونة فوافق نبلاء أرغونة كما وافق كونت برشلونة وتم عقد الزواج فى مدينة بريشتر سنة ٥٣١هـ/١١٣٧م [٣] .

وبذلك اتحدت مملكتى أرغونة وبرشلونه وترتب على وحدتها تكامل الدولتين من الناحية الجغرافية والعسكرية والحضارية ، فقد اشتهرت برشلونة بأسطولها البحرى ، واشتهرت أرغونة بقواتها البرية وكان لكل منهما هدف مشترك واحد هو غزو الأندلس الإسلامية والاستيلاء على مدنه .

لذا يعتبر بعض المؤرخين اتحاد أرغونة وبرشلونة أهم حدث سياسى تم فى أسبانيا خلال القرن ٦هـ/١٢م [٤] .

---

(١) Callaghan : op . cit , p. 224-225.

(٢) Ibid : p. 225 .

(٣) Callaghan : op, cit , p. 225 , Altamira : A History of spain , p. 156 .

(٤) Callaghan : op . cit , p. 225-226 , Altamina : op. cit, p. 140 .

أ- في بلنسية برشلونة [1] :-

فى سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م حاول الفونسو الثانى (٥٥٨-٥٩٣هـ/٦٢-١١٩٦م) ملك أرغونة الاستيلاء على مدينة بلنسية الإسلامية ، فسار بقواته واستولى على بعض الحصون وأرسل حملة بحرية وأخرى برية للاستيلاء على بلنسية ، لكن أبا الحجاج يوسف والى بلنسيه استطاع هزيمة الحملة البرية وردها خاسرة على أعقابها ، كما استطاع أبو القاسم قائد أسطول.الموحدين هزيمة الحملة البحرية وحرق بعض سفنها[2].

وفى سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م سار أبو العلاء إدريس بن يوسف قائد الأسطول الموحدى فى جميع وحدات الأسطول الموحدى إلى مياه برشلونة ، وعاثت سفنه فى شواطىء قطلونية وأنزل بها خسائر فادحة واستولى على كثير من الأموال والغنائم .

ويشير ابن عذارى إلى ذلك قائلا "أنه فى سنة ٦٠٧تحرك السيد أبو العلا قائد أساطيل البرين إلى بلاد برشلونة بجميع أجفان العدوة والأندلس على معاندة ومنافسة من أهل البلاد فى الاحتفال وتمكن من العدد الوافر والأسطول فكانت أحسن حركة للمسلمين وأوحش فجيعه وأعم وقيعة جرت على الغزاة البحريين وأوقع خسارة كانت بقلوب الكافرين" [3] .

---

(١) انظر خريطة رقم ٢٢ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٧١ ؛ عبد الله عنان : دولة المرابطين وبداية الموحدين ، ق٢ ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٤٣ .

عكف الملك خايمى [١] سنوات حكمه على إعداد العدة للاستيلاء على بلنسيه، وأقسم بين يدى الأشرف والقادة أنه سوف يسير إلى فتح بلنسية ، وأنه لن يعود إلى المرور بطرويل أو عبور نهر طرطوشه (نهر ابيرو) قبل أن تسقط بلنسيه فى يده [٢] .

وفى شهر رجب سنة ٦٣٥هـ/مارس ١٢٣٨م خرج الملك خايمى بجيوشه وأساطيله ، وانضم إليه أشراف وأحبار أرغونة وقطلونية وأجنادهم وحشود المتطوعين الفرنسيين وألف من المشاة ، وجاءت هذه القوات بطريق البحر ، وكانت تمون عن طريق البحر من ثغور بنشكلة وبريانة وقطلونية .

وفى شهر رمضان سنة ٦٣٥هـ/ابريل ١٢٣٨م حاصر الملك خايمى بلنسية ، واستعان واليها بأمير تونس أبى زكريا يحيى بن أبى محمد عبد الواحد لإنقاذ المدينة، فأرسل إليه أسطولا مزودا بالمال والسلاح والمؤن ، ولم يستطع الأسطول اختراق الحصار المضروب حول المدينة فاضطر إلى العودة بعد أن ترك الأطعمة والأسلحة والمؤن فى مدينة دانية [٣] .

ضاعف النصارى جهودهم فى التضييق على المدينة ، وإرهاقها ، وعانى أهلها من الحرمان والجوع واستمر الحصار خمسة أشهر فنيت الأقوات وعدمت الموارد واشتد البلاء بأهل المدينة فسلم والى المدينة الأمير أبو جميل زيان المدينة

---

(١) الملك خايمى : (٦١٠،٦٧٥هـ/١٢٧٦،١٣م) ، شهدت مملكة أرغونة فى عهده اتساع رقعتها ، ووطد دعائم ملكة فى مملكتى قطلونية وأرغون ، واستطاع القضاء على دولة الإسلام فى الجزائر الشرقية وشرق الأندلس ، ولقب "بالفاتح" ويعتبر مؤسس مملكة أرغون الحقيقى .

يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٣٨٣ ؛ عبد الله عنان : دولة المرابطين وبداية الموحدين ، ق٢، ص٦٠٦ ، ٦٠٧ .

(٢) ابن الأبار : المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٢٨٥ .

ودخلها النصارى فى ١٧صفر ٦٣٦هـ/٣٠سبتمبر ١٢٣٨م [١] .

ب-جزر البليار [٢] :-

كان أبو يحيى التنمللى [٣] عامل جزر البليار يسعى جاهدا لتقوية أساطيل جزر البليار التى أصبحت معزولة عن أى عون خارجى لمواجهة أى عدوان محتمل من أساطيل مملكتى قطلونية وأرغونة التى كانت له بالمرصاد [٤] .

وفى ذى الحجة سنة ٦٢٣هـ/ديسمبر ١٢٢٦م كانت بداية الاشتباكات البحرية بين قطع أسطول جزر البليار وسفن مملكتى قطلونية وأرغونة ، فيذكر المقرى بأن "أبا يحيى التنمللى عامل جزر البليار بلغه أن مسطحا من برشلونة ظهر على جزيرة يابسه ووجد فيه لأهل جنوة مركبا كبيرا فأخذه وسار حتى أشرف على المسطح فقاتله وأخذه[٥] ".

تأزمت العلاقات بين جزر البليار ومملكتى قطلونية وأرغونة بعد الاشتباكات البحرية الأولى تأزما شديدا ، وأخذ تجار قطلونية وكبار نبلائها يحرضون الملك خايمى الأول على الاستيلاء على هذه الجزر الغنية ، وأعلن الملك خايمى الأول سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م أثناء انعقاد بلاطه فى طركونة فى حشد كبير

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ؛ ابن الأبار : المصدر السابق، ص١٩٠

(٢) انظر خريطة رقم ٢٢ .

(٣) أبو يحيى محمد بن أبى الحسن على بن أبى عمران موسى التنمللى (٦٠٧،٦٢٧هـ/١٠،١٢٣٠م) كان آخر عمال الموحدين فى جزيرة ميورقة فى آخر عهودها الإسلامية ، وبعد سقوط ميورقة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م استسلم للملك خايمى وقتل تحت التعذيب بعد خمسة وأربعين يوما .

ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٣٣ ؛ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٦٨ .

(٤) المراكشى : المصدر السابق ، ص ٤١٥ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص ٢٤٧ .

(٥) المقرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

من الكونتات والبارونات وكبار التجار إعداد حملة كبيرة للاستيلاء على جزيرة ميورقة [(١)] .

وجرى الاتفاق أن تحشد الأساطيل إعتبارا من شهر جمادى الأولى ٦٢٦هـ/ ابريل ١٢٢٩م في ثغر سالو بساحل قطلونية [(٢)] .

تعهد التاجر القطلاني الثرى "رامون دى بليجمانز" بإمداد الحملة الصليبية بالمعدات والأسلحة والمؤن مقابل حصة من الغنائم والامتيازات وتزويد قادتها بمعلومات وافيه عن تحركات السفن الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط من عملائه ووكلائه التجار المنتشرين في ثغور الحوض الغربي للبحر المتوسط [(٣)] .

وفي ١٠شوال ٦٢٦هـ/سبتمبر ١١٢٩م أبحر الأسطول الصليبي بقيادة خايمي الأول ملك قطلونية وأرغون من ثغور سالو وطركونة وكاميرليس بساحل قطلونية في طريقه إلى ميورقة ، وكان عدد سفنه مائه وخمسين سفينة كبيرة من مختلف الأنواع ، بالإضافة إلى عدد كبير من القوارب ، واشتملت الحملة على ألف وخمسمائة فارس ، وخمسة عشر ألفا من المشاة بالإضافة إلى حشود كبيرة من المتطوعين من الجنوبيين والفرنجة وسائر الداوية تحت قيادة كبار نبلاء المملكة وأجنادها [(٤)] .

وكان يقود سفن الأسطول قباطنة من قطلونية ومتطوعون من جنوة بقيادة

---

(١) المقرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٧٠ ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٤١٧ ، Campaner : op. cit , p. 175 .

(٢) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

(٣) يوسف أشباخ : المرجع نفسه ، ص ٤١٨ ، Clements Markhan : The story of Majorca and Minorca , p. 39 .

(٤) أبو سعيد المغربي : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٦٧ ؛يوسف أشباخ،المرجع نفسه ، ص ٤١٨.

القبطان "نيقولا بونيه" الذى أشرف على سفينه القيادة ، وقاد سفن المؤخرة القائد الألمانى "كروز" وأشرف التاجر القطلانى الكبير "رامون دى بليجمانز" على تزويد السفن بالتموين والمعدات والأسلحة (١) .

وفى ١٢شوال ٦٢٦هـ/٣سبتمبر ١٢٢٩م أصبح الأسطول الصليبى على مقربة من شاطئ ميورقة واقترب الأسطول من شاطئ بلانسة فى أقصى شمال شرق جزيرة ميورقة(٢).

وفى ١٨شوال ٦٢٦هـ/١٠سبتمبر ١٢٢٩م اشتبكت القوات الإسلامية المرابطة على طول الساحل مع القوات الصليبية التى كانت تتكون من ثمانمائه من المشاة وخمسين من الفرسان وانهزم المسلمون (٣) .

ويشير المقرى إلى هذه المعركة قائلا "وفى الثامن عشر من شهر شوال ٦٢٦هـ وقع المصاف وانهزم المسلمون (٤)" .

وفى نفس الوقت كان خايمى الأول يتجه على رأس القوة الرئيسية من ميناء بوراسا إلى بورتوبى (٥) واتخذ من الصليب شعارا (٦) .

وكانت القوات الإسلامية الرئيسية بقيادة أبى يحيى التنمللى تقيم

---

(١) يوسف أشباخ : المرجع نفسه ، ص ٤١٨ ،
Frederick chamberlin : The Balearics and their people , p. 8 .

(٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٧٠ .

(٣) Clements : op - cit , p. 18 .

(٤) المقرى : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ٤٧٠ .

(٥) Frederick : op - cit , p. 8 .

(٦) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

معسكراتها فى جبال بورتى فى السفوح الشرقية ، ودارت معركة طاحنة من أجل السيطرة على هذه المرتفعات الصخرية الوعرة آلت فى نهاية المطاف إلى تراجع القوات الإسلامية واعتصامها فى المرتفعات .

وفى نفس الوقت كان القتال دائرا بين القوات الإسلامية والصليبية على طول الساحل الممتد من خليج سانتا بونز إلى ثغر بورتوبى ، واندفع الأسطول الصليبى ليلا إلى خليج مدينة ميورقة ، ويذكر المقرى "قرب العدو من البلد (ميورقة) بمائة وخمسين قلعا" [١] .

تقدمت قوات الملك خايمى الأول بعد معركة بورتوبى نحو مدينة ميورقة لقطع الطريق على أبى يحيى التنمللى وقواته المعتصمة فى مرتفعات بورتوبى ، واستطاع النصارى الوصول إلى نهر المدينة على بعد ثلاثة كيلومترات عن أسوار مدينة ميورقة[٢].

وفرض الصليبيون الحصار على مدينة ميورقة برا وبحرا ، وأخذوا فى إنزال الآلات والمجانيق ونصبوها حول أسوار المدينة ، وأخذ الغزاة فى ضرب أسوار المدينة وأبراجها بالمجانيق والعرادات والقذائف المحرقة [٣] .

ويذكر المقرى "ووقع المصاف وانهزم المسلمون وارتحل النصارى إلى المدينة ونزلوا منها على باب الكحل ولم يزل الأمر فى شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد"[٤] .

---

(١) المقرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٧٠ .

(٢) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٤١٩ .

(٣) شكيب أرسلان : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤٦ .

(٤) المقرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٧٠ .

وفى الوقت الذى كان فيه الحصار مفروضا على المدينة تمكن أبو يحيى التنمللى الذى كان معتصما فى الجبال من الدخول إلى مدينة ميورقة خلال الليل دون أن يحس الجيش الصليبى بذلك .

وجرت مفاوضات بأن قام أمير البليار أبى يحيى بإرسال سفارة إلى الملك خايمى الأول يعرض عليه اجراء مفاوضات من أجل وقف القتال على أن يدفع لملك قطلونية وأرغونة جميع نفقات الحملة الصليبية ، ولكن باءت بالفشل لذا قرر أبو يحيى السير فى المقاومة حتى النهاية (١) .

بعد فشل المفاوضات شب قتال عنيف وركز خايمى الأول هجماته على أبراج وأسوار المدينة وقذف المدينة بمختلف الآلات القاذفة والحارقة ، وفى يوم ١٣ محرم ٦٢٧هـ/١ ديسمبر ١٢٢٩م سقطت الأبراج الغربية للمدينة وأصبح الطريق ممهدا لدخول المدينة .

وفى ١٦ محرم ٦٢٧هـ/٤ ديسمبر ١٢٢٩م تمكن الصليبيون من فتح ثغرة كبيرة فى الأسوار ، وكان الهجوم شديدا ، واستمر الحصار والهجوم حتى ١٥ صفر ٦٢٧هـ/١ يناير ١٢٣٠م عندما استسلمت المدينة ، وأرسل أبو يحيى التنمللى رسلا إلى الملك خايمى لمفاوضته فى التسليم مقابل تأمين أرواح السكان ، وتظاهر الملك خايمى بالموافقة على شروط الاستسلام ، وما أن فتحت الأبواب حتى انقض الصليبيون على الحامية الإسلامية قتلا وأسرا ، وأخذ أبو يحيى وابنه أسرى واستولى الصليبيون على القصر وقلاعه وحصلوا على أموال طائلة وغنائم وافرة (٢) .

---

(١) عبد الله عنان : عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين ، ق٢ ، ص ٤٠٦ ، Clements : op - cit , p. 30 .

(٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٧١ ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٤١٩ .

ويذكر المقرى أن عدد القتلى بلغ أربعة وعشرين ألف قتيل "ولما كان يوم الجمعة الحادى عشر من صفر قاتلوا البلد قتالا شديدا ، ولما كان يوم الأحد أخذوا البلد وقتلوا أربعة وعشرين ألفا وأخذ الوالى وعذب خمسة وأربعين يوما ومات تحت التعذيب" [١] .

الاستيلاء على جزيرتي يابسة وفومنتيرة :-

تم الاتفاق بين الملك خايمى الأول وكبير أساقفة طركونة فى ١٣ ربيع الأول ٦٣٢هـ/٧ ديسمبر ١٢٣٤م ، تنازل الملك بمقتضاه لرئيس الأساقفة ولأعوانه فى الكرسى الأسقفى الطركونى عن جزيرتى يابسة وفومنتيره بكل ما فيها من عقارات ومنافع، كما تنازل عن قلعة يابسة على أن تعلن الأسقفيه سيادة الملك على الجزيرتين بعد الاستيلاء عليهما [٢] .

وفى شهر رجب ٦٣٢هـ/أبريل ١٢٣٥م أبحرت الحملة المشتركة للاستيلاء على الجزيرتين ، ويشير ابن أبى زرع إلى ذلك قائلا "وفيها قام النصارى بالاستيلاء على جزيرتى يابسة وفومنتيره بعد خمسة أشهر من الحصار " [٣] .

وبذلك تمكن الملك خايمى من الاستيلاء على جزر البليار .

جهاد البحرية الموحدية ضد مملكة ليون :-

أصبحت مملكة ليون دولة مستقلة عن مملكة قشتالة منذ شهر شوال سنة ٥٥٢هـ/أغسطس ١١٥٧م [٤] ، وتولى حكمها فرناندو الابن الأصغر لملك قشتالة

---

(١) المقرى : المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ٤٧١ .

(٢) Campaner : op - cit , p. 198

(٣) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

(٤) يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص ٩٣ ، Callaghan : op ، cit , p. 233 , Altamira : op ، cit , p. 167 .

الفونسو السابع ، وعقد معاهدة صلح مع الموحدين فى سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨ [١] .

استجاب الخليفة أبو يعقوب وعقد معاهدة الصلح مع ملك ليون ، وبعث إليه جيشا من الموحدين بقيادة أبى العلاء بن عزون ، والحافظ أبى على بن تمصليت ، والحافظ أبى عمران موسى بن حمو ، فعاون هؤلاء ملك ليون على قتال أعدائه فى مملكة قشتالة ، وأخضعوا خصومه داخل مملكته ، فبلغوا أقصى حدود بلاده عند مقاطعة اشتريش ، وأقاموا عند ملك ليون خمسة أشهر وعادوا إلى بلادهم بعد أن أكد لهم ملك ليون التزامه بشروط الصلح وعاهدهم على ذلك[٢].

أوفى ملك ليون بوعده ، ففى شهر رجب سنة ٥٦٤هـ/أبريل ١١٦٩م استولى ملك البرتغال على مدينة بطليوس وحاصر قصبتها لاستنزال الموحدين المتنعين فيها، فبلغ ذلك ملك ليون وأقبل مسرعا بقواته واقتحم مدينة بطليوس ، وقاتل ملك البرتغال داخل المدينة وهزمه .

وسلم ملك ليون المدينة لواليها الموحدى المتنع بالقصبة أبى على عمر بن تمصليت [٣] .

وفى سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م نقضت مملكة ليون العهد بينها وبين الموحدين، فقد خرج من مدينة أبلة القومس المسن الضال "شان منيوس" المعروف عند المسلمين "بالأحدب" عظيم النصارى ومدبر الحرب ضد المسلمين فى الأندلس [٤]، فخرج بفرسانه من مدينة أبلة فى شهر شعبان ٥٦٨هـ/مارس ١١٧٣م وعبر نهر

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه، ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق،ق٣، ص ٧٩، ٨١؛ ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ، ص٣٨١، ٣٨٢.

(٤) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٥١٨ .

الوادى الكبير وشن غاراته على جنوبى قرطبة و استجه حتى بلغ أحواز إشبيليه[١] .

جهز الخليفة أبو يعقوب جيشا يسانده أسطول كبير ، وتولى قيادة الجيش أخو الخليفة السيد أبو زكريا يحيى ، والسيد أبو ابراهيم إسماعيل ، وقيادة الأسطول أبو العباس الصقلى ، وسار الموحدون وعبروا نهر الوادى الكبير ، ونشبت موقعة بين الطرفين عند فحص كركوى حلت الهزيمة بالنصارى [٢] وقتل قائدهم "شان منيوس" ويشير إلى ذلك ابن صاحب الصلاة قائلا "وفنى فى هذه الهزيمة اذلاء النصارى وشراراهم من أهل أبلة دمرها الله ولم يكن لهم بعد هذه الهزيمة رأس يخرجون معه ولاقام لهم أعلام أبدا إلى هذا التاريخ" [٣] .

واستولى الموحدون على غنائم النصارى ، واستنقذوا الأسرى المسلمين ، وعادوا إلى إشبيليه برأس "شان منيوس" فتلقى الخليفة الخبر المفرح والسرور ، بينما أصاب النصارى الجزع والخوف لمقتل "شان منيوس" [٤] .

وفى شهر جمادى الثانية ٦٠٩هـ/نوفمبر ١٢١٢م اجتمع ملك ليون وملك البرتغال وملك قشتالة بعد موقعة العقاب فى مدينة قلمرية عاصمة البرتغال ، وعقد الملوك الثلاثة معاهدة اتفقوا فيها على التعاون معا ضد المسلمين والاستيلاء على الأندلس[٥].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥١٨ ، ٥١٩ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٥١٩ ، ٥٢٠ ؛ ابن عذارى : المصدر نفسه ، ق٣ ، ص ٨٩ ، ٩٩ ، الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٣٥ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٥٢١ ، ٥٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٢٣ ، ٥٢٥ .

(٥) الناصرى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٣٥ .

ترتب على عقد هذه المعاهدة مبادرة ملك ليون الفونسو التاسع (٥٨٤-٦٢٨هـ/ ١١٨٨-١٢٣٠م) بغزو الأندلس فاستولى على مدينة القنطرة وسلمها فى الحال إلى فرقة فرسان جمعية القنطرة ، فاتخذها الفرسان مركزا لجمعيتهم ، وكانت مدينة القنطرة بقلعتها الحصينة المرتفعة فى عنان السماء تشرف على أراضى وادى التاجة فتهيمن عليه وتسهر على حراسته [(١)] .

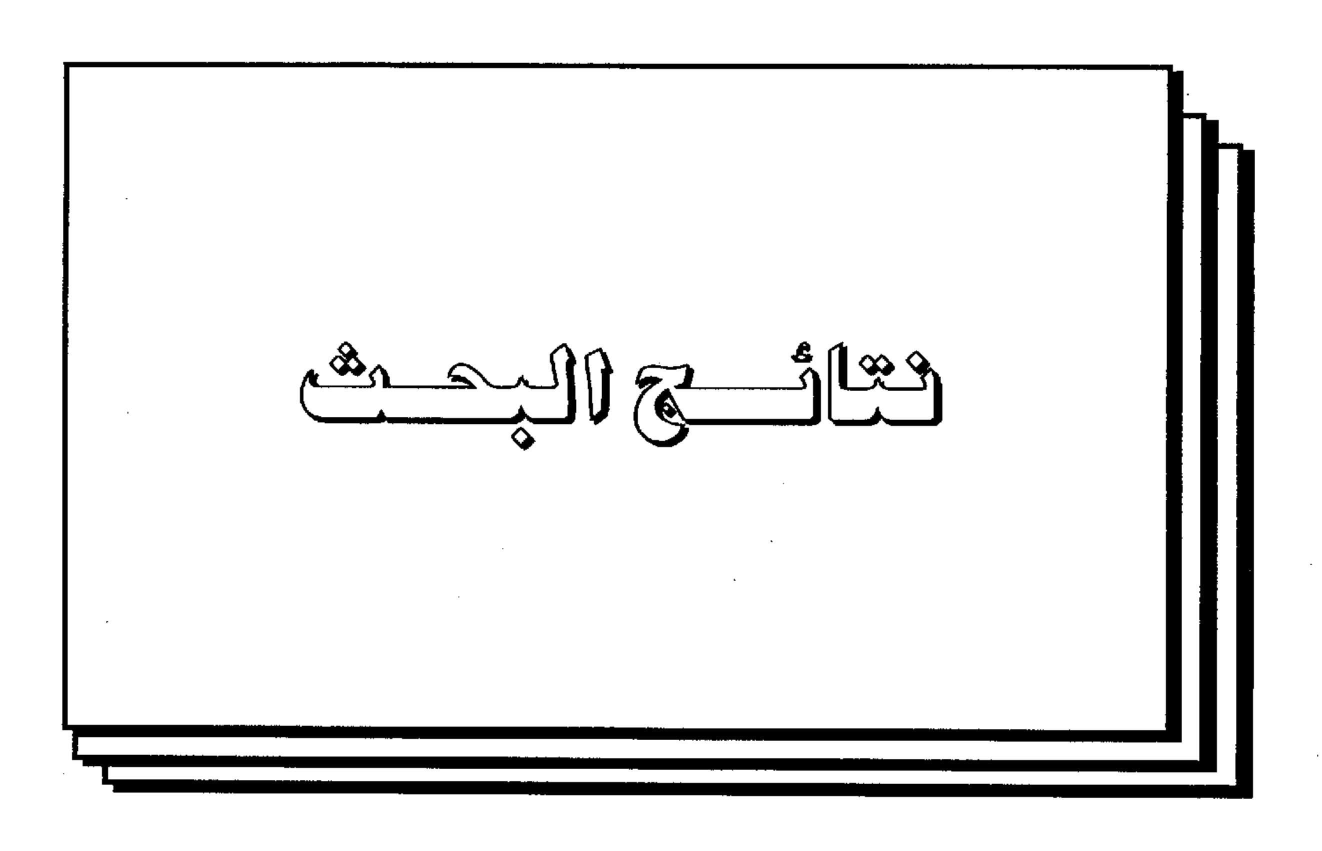
وفى سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م استولى على مدينة قاصرش ، فأصبح الطريق أمامه ممهدا للاستيلاء على مدينتى ماردة وبطليوس [(٢)] ، ثم واصل نصارى مملكة ليون غزو الأندلس ، فعبرت قوات يقودها "مارتين سانشيز" جبال الشارات (سييراكورينا) وقامت بغزو أراضى الشرق فى غربى إشبيليه واستولى على كثير من الغنائم والسبى [(٣)] .

---

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٢) الناصرى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٢٠٦،٢٠٧ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ق٣ ، ص٢٤٩ ؛ ابن خلدون : العبر : جـ٦ ، ص٢٥٢ .



نتائــج البحـث

يمكن تلخيص أهم النتائج التى توصل إليها البحث فى النقاط التالية :

قدمت دراسة موجزة عن البحرية المغربية والأندلسية قبل عصر المرابطين اتضح فبها اهتمام الخلفاء والأمراء المسلمين بالبحرية كدرع واق لبلادهم ضد النصارى، وانتصاراتهم البحرية الباهرة وفتحهم لجزر كريت ٢١٢هـ/٨٢٧م ، وصقلية ٢١٢هـ/٨٢٧م ، ومالطة ٢٥٥هـ/٨٦٨م ، وميورقة ٢٣٤هـ/٨٤٨م .

كما أبرز البحث أهمية امتداد سواحل المغرب والأندلس وأثرها فى تعدد المراسى والقواعد البحرية .

أوضحت الدراسة إنشاء الفاطميين لمدينة المهدية واهتمامهم بالبحرية وكذلك الصراع البحرى بينهم وبين الأمويين وجهادهم ضد الروم والفرنجة .

أوضحت الدراسة مدى اهتمام الأميز عبد الرحمن الناصر بالأسطول الأندلسى وإنشائه لدور الصناعة فى المرية ، طرطوشة ، دانية وشلب .

<u>أوضحت الدراسة مدى اهتمام المرابطين والموحدين بالبحرية على النحو التالى</u>

فى عصر المرابطين أبرزت اهتمام الأمير يوسف بن تاشفين بالبحرية حيث كان الأسطول فى عهده فى دور الإنماء ولعب دوراً هاماً فى موقعة الزلاقة ، وبلغت البحرية المرابطية ذروتها وقوتها فى عهد الأمير على بن يوسف .

الإشارة إلى أهم القواعد والمراسى ودور الصناعة فى العصر المرابطى وتمثل هذا فى القواعد البحرية فى المرية ، طرطوشة ، الجزيرة الخضراء ، دانية ، سبتة، أشبيلية ، بجاية وميورقة .

ظهور قواد بحريين لعبوا دوراً هاماً فى الأسطول المرابطى ومن أبرز هؤلاء القواد محمد وعيسى وعلى أبناء ميمون ، أبو السداد ، يحيى بن على المسوفى ، ابن تافرطاش ، ومحمد بن عائشة .

<u>أوضحت الدراســـــة :</u>

كيفية إدارة المعركة البحرية فى العصـر المرابطـى والموحـدى ، مـن حيـث الإعداد للمعركة وتعبئة الأسطول والاستطلاع البحرى ، والأسـلحة البحريـة مثـل القسى، والمجانيق ، الكلاليب ، الباسـليقات ، والنـار البحريـة ، كذلـك أنـواع السفن التى كان يتكـون منـها الأسـطول مـن الشـوانى ، الأغربـة ، الحراقـات ، الطرادات ، الشلنديات ، الحربيات والأجفان .

<u>أوضحت الدراسة :-</u>

دور البحرية المرابطية فى توحيد المغرب والأندلس فقد شارك الأسطول فى توحيد سبتة ، طنجة ، الجزيرة الخضراء ، أشبيليه ، المرية وجزر البليار .

جهاد البحرية المرابطية ضد الممالك النصرانية والانتصارات الساحقة التـى أحرزها المرابطون فـى مواقـع الزلاقـة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م أقليـش ٥٠١هـ/١١٠٨م ، كتندة ، إفراغة والمعارك البحرية فى جزر البليار .

_اهتمام الموحدين بالبحرية بدءاً من عصر الخليفة عبد المؤمن بن علي الـذى يعتـبر المؤسس الحقيقى للبحرية الموحدية فقد أنشأ قطعاً بحريـة بلغـت أربعمائـة قطعـة وزعت على سواحل المعمورة وسبتة وطنجة وإفريقية ووهران ، كما أنشـأ المدرسـة الحربيـة بمراكـش ومدينـة المهديـة ٥٤٥هـ/١١٥٠م ومدينـة (ربـاط) الفتـح سـنة ٥٥هـ/١١٦٠م .

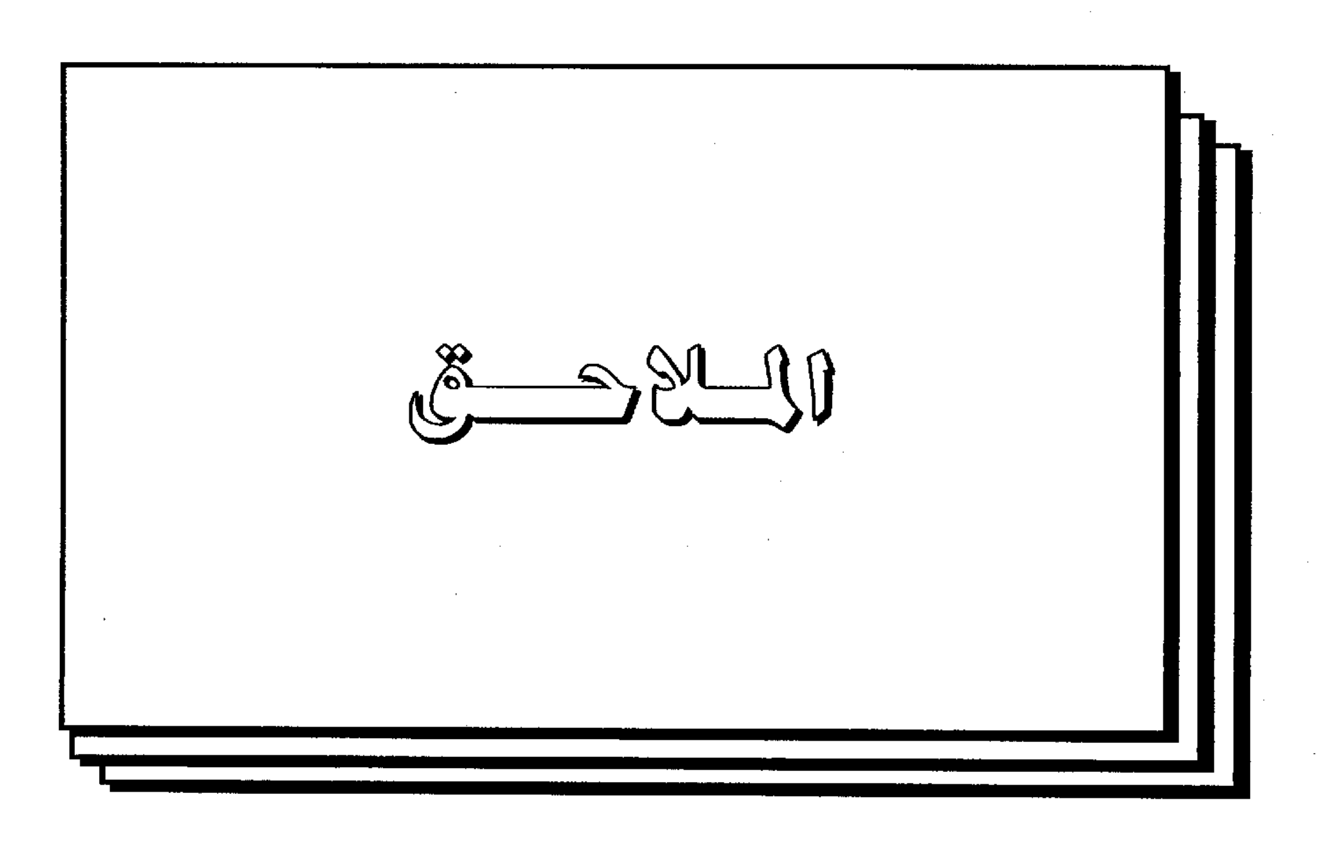
إنشاء خلفاء الدولة الموحدية للقواعد والمراسى البحرية ودور الصناعـة مثـل شلطيش، مالقة ، سلا ، لقنت ، قصر مصمـودة ، الحبـالات ، وقلصـة . كذلـك

اضافات الموحدين إلى دور الصناعة التى أنشئت فى عصر المرابطين مثل المرية، سبتة إشبيليه وشلب .

ظهور قواد بحريين لعبوا دوراً هاماً فى الأسطول الموحدى مثل عبد الله بن سليمان، وأبى العباس أحمد الصقلى ، على بن الربرتير ، عبد الله بن إسحق، غانم بن مردنيش وأبى العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن .

مدى قوة الأسطول الموحدى وظهور هذه القوة فى توحيد الموحدين للمغرب والأندلس وقد اتضح هذا جلياً فى صراعهم مع بنى غانيه فى فتح إفريقية وضم الأندلس وكذلك فى صراعهم مع ابن مردنيش :

جهاد البحرية الموحدية ضد الممالك النصرانية وخاصة ضد ممالك قشتالة والبرتغال وأرغونة وخاصة عندما اشتدت حرب الاسترداد الصليبى ضد المسلمين وتمثل هذا فى انتصار الموحدين فى موقعة الأرك والمرية .


الملاحق

ملحق رقم ١

نص الرسالة التى بعث بها السلطان

صلاح الدين الأيوبى الى يعقوب بن يوسف

الملقب بالمنصور الموحدى[1] .

(بسم الله الرحمن الرحيم) (من الفقير الى رحمة ربة يوسف بن أيوب)

(أما بعد)

فالحمد لله الماضى المشبه المضى القضية البر بالبرية الحفى بالحنفيه الذى استعمل عليها من استعمر به الأرض وأغنى من أهلـها مـن سـأله الفـرض وأجـزل أجر من أجرى على يده النافلة والفرض، وزان سماها لملـة بـدرارى الـذرارى التـى بعضها من بعض وصلى الله على سيدنا محمد الذى أنزل عليه كتابـا فيـه الشـفاء والتبيان وبنى الاسلام بأمته التـى شـبهها صاحبـها بالبنيـان وعلـى آلـه وصحبـه الذين أصطفاهم وطهرهم فنصروه وظـاهروا رسـوله صلـى الله عليـه وسـلم فنصرهـم وأظهرهم ويسر بهم السبيل ثم السبيل يسرهم وأن الله بهم لذوا فضل على النـاس ولكن اكثرهم ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمـان ولاتجعـل فـى قلوبنـا غلاً للذين آمنوا ربنـا انـك رؤف رحيـم . وهـذه التحيـة الطيبـة الكريمـة الصببـة الواجبة الرد الموجبة للقصد العذبة الورد المتنقة عن العنبر والـورد وقـادة علـى دار الملك ومدار النسك وجـل الجلالـه وأصـل الأصالـة ورأس الرياسـة ونفـي النفاسـه وحكم الحكم وعلم العلم وقائم الدين وقيمة ومقدم الاسـلام ومقدمـة ومقتضـى ديـن الدين ومثبت المتقين على اليقين ومعلى الموحدين علـى الملحديـن أدام لـه النصره

---

(١) ابو شامة : المصدر السابق، جـ٢ ، ص١٧٠-١٧٣.

وجهز به تيسير العسره ورد له الكره وبسط له باع القدرة وأوثـق بـه حبـل الألفـة ومهد له درجات الغرفة وعرفه فى كل ما يتعزمة صنعا جزيلاً جميلاً ولطفاً حفيـا جليلاً ويسر عليه فى سبيله كل ماهو أشـد وطأ وأقـوم قيـلا تحيـه اسـتنير منـها الكتاب واستنيب عنها الجواب وقد حفز لها حافزان أحدهمـا الشـرق قديـم كـان مطل غريمة ممكنا الى أن تتيسر الأسباب والآخر مرام عظيم ماكره اذا اسـتفتحت به الأبواب وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبه هذه بفتـح البيـت المقـدس وسـكون الاسلام منه الى المقبل والمحرس وما فتح الله للاسلام من الثغور وما شرح لأهله من الصدور وما أنزله عليهم من النور ولم يخل المسلمون فيه من دعـوات أسـرار ذلـك الصدر وملاحظات أنوار ذلك البدر ومطالعات تلـك الجهـة التـى هـى وإن كـانت غريبة فان الغرب مستودع الأنوار وكنز دينار الشـمس ومصـب أنـهار النـهار ومـن جانبه يأتى سكون الليل ومستروح الأسرار وعنه بقلـب الله الليـل والنـهار ان فـى ذلك لعبرة الأولى الأبصار ولم تتأخر المكاتبة الاليتم الله مابدأ من فضله وليفتح بقية ما لم ينقطع بتقطع يد الشرك من حبله والمفتتح بيد الله مـن الشـام مـدن وأمصـار وبلاد كبار وصغار وثغور وقلاع كانت للشرك معاقل وللاسلام معـاقر ولبنـى الكفـر مصانع ولبنى الاسلام مصارع والباقى بيد الكفر منهم ثغر طرابلـس وصـور ومدينـة انطاكيه يسر الله أمرها وفك من يد الكفر أسرها وإذا أمن المؤمن على هـذه الدعـوة رجى إيجابها وما يتأخر من الله سبحانه جوابـها فالدعـاء أحـد السـلاحين ومـع النيه يطير الى وكره من السماء بجناحين بعد أن كسر العدو الكسرة التى لم يجـبر بعدها والجيء الى حصوله التى للحصر أعدها وكان يومها كريما ولطـف الله فيـها عظيماً قضت كل حاجة فى النفس وأغنت المسلمين فأما العدو بعد يومها فكـأن لم

يغن بالأمس وكانت على أثر غزوات قبلها فمـا الظـن بالمجـهزة بعـد النكس ولم يؤخر فتح البلاد بعدها إلا ان فزع الكفار بالشام استصرخ تأصل الكفار من الغـرب فأجابوهم رجالاً وفرسانا وشيبا وشبابا وزراقات ووحدانا وبراً وبحراً ومركباً وظهرا وركبوا اليهم مهلا ووعراً وبذلوا ماعونـا وذخـراً ومـا احتـاجوا ملوكـاً ترتـادهم ولا أرسانا تقتادهم بل خرج كل يلبى دعوة بطركة ولايحتاج الى عزمة ملكة وخرجـت لهـم عـدة ملـوك أقفلـت العجمـة علـى أسمائـها وأتـت العزيمـة بحمـد الله علـى أشخاصها عند لقائها ومنهم ملك الألمان خرج في جموع برية مـن الله تعـالى بريـة ملأت الفجاج وازدحمت فانقذها العجاج ومنهم من ركب ثج البحر فركب الاجاج العجاج وامتطى من البحر مشية الرجاج لينصر دينا مشبهه الزجـاج يقبـل للكسـر ولا يسرع إليه الجبر وراكب ذلك الدين كراكب البحر بلا ساحل سلامه والى قـاع كفر وجلب الكفار الى المحصورين بالشام كل مجلوب وملـؤوا عليـهم ثغريـهم مـن كل مطلوب مابين أقوات وأطعمـة وآلات وأسـلحة وشـلة وجنـه وحديـد مضـروب وزبره ونقدى ذهب وفضة الى أن شحنوا بلادهم رجالاً مقاتلة وذخائر للعاجلة مـن حربهم والآجله لاتشرق شارقة إلا طلعت على العدو من البحر طالعـه تعـوض مـن الرجال من قتل وتخلف من الزاد ما أكل فهم كل يـوم فـى حصـول زيـادة ووفـور مادة وقد هان عليهم موقع الحصر وأعطاهم البحر ما منعهم البر وبطروا مـا كـثروا ونظـروا فانـهم يسـتطعيون أن يلقـوا ويصحـروا ويسـتطيعون أن يحصـروا علـى أن ينحصروا ونزلوا علـى عكـا بحيـث يمدهـم البحـر بـامداده ويصـل الى المقـاتل مـا يحتاجه من أسلحته وأزواده وبمن يكثر به من مقاتله وأجناده فانقطعت مادة عكا من البحر وحصرنا منازلهم من العدو من جهة جانب البر فحدقـوا علـى نفوسـهم

وحثوا التراب على رؤسهم وعقدت عدتهم مائة ألف أو يزيدون كلما أفناهم القتـل أخلفتهم النجدة فمكانهم قبل الممات يعودون فأتممنا بعمارة بحرية لقينا عمارتــهم بها فنفذت عمارتنا الى الثغر وأوصلت إليه الأقوات التى حمـل منـها البحـر مـالا يحمله الظهر والأسلحة التى أمضاها الله عز وجل بيد الاسلام فى صدور الكفر وما لقينا عمارة العدو بأوفر منها عدة فعدد مراكبهم كبيرا ولكن لقينانهم بأصدق منــها عزمه والقليل مع العزم الصادق كثير واستمر مقام العدو محــاصراً للثـاغر محصـوراً منا أشد الحصر لا يستطيع قتال الثغر لانأمن خلفه ولايستطيع الخروج الينا خوفا من حتفه ولانستطيع نحن الدخول اليه لانـه قـد سـور وخنـدق وحـاجز مـن وراء الحجرات وأغلق ولما خرج ملك الالمان بحشده وسمعته التى هى منه أحشـد وعـاد جيشه الملعون الملعون على رسم قديم الى الشام فكان العـود لأمـة أحمـد صلـى الله عليه وسلم أحمد قويت به نفوسهم وجمحت به رؤســهم وظنـوا أنـه يزعجنـا مـن مخيمنا ويخرجنا من خيمنا فبعثنا إليه من يلقاه بعساكرنا الشـمالية فسئلت ذات الشمال متوعراً فيها محتجزاً عن لقائها مظهراً أنه صريع داء ومـا بـه غـير دائـها وكان أبوه الطاغيه ملك الألمان شبيه اللعن اللعين قاد جيشه الى سجن سـجين قـد هللك فى طريقه غرقاً وخاض الماء فخاضه الماء شرقاً وبقى له ولـد هـو الآن المقدم المؤخر وقائد الجمع المنكسر وربما وصل بهم الى عكـا فـى البحـر تـهيباً ان يسـلك البر ولو سبق اصحابنا الى عساكر الألمان قبل دخولهـا الى انطاكيـه لأخذوه أخـذاً سريعاً وسيق بحر سيوفهم الى أن يكون الطاغية فيه لافى النــهر صريعـاً ولكـن لله المشيئة فــى البريــة والطاغيــة انمـا يمشـى الى البليـه فأنـه لـولا احتجـاز مقيمـهم بالخنادق واجتياز واصلهم بالمضائق لكان لنا ولهم شأن وكــان ليومنـا فـى النصـرة

الكبرى بحول الله ثان يثنيه من العدو ثان ولما كانت حضره سلطان الاسلام وقائد المجاهدين الى دار السلام أولى من توجه اليه الاســلام بشكواه وبثــه واستعان بــه على حماية نسله وحرثه وكانت مساعيه ومساعى سلفه فى الجهاد الغزا المحجلة المؤمرة الكاشفة لكل معضلة الكاشفة لكل مشاكله والاخبار بذلك سائره والآثار ظاهره والصحف عنه باسمه والسـير بـه معلمـة وعالمـه وكـل بجـهاده وقـد سـكن السيوف فى اغمادها وقد أمن الا كلمـة الكفـر فـى بلادهـا لايـزال فـى سبيل الله غاديا ورائحاً ومواجهاً ومكافحا ومماسيا ومصابحا يجوز لجة البحــر بالمجـاهدين ملوكاً على الأسره وغزاة تصافح وجوهها لسيوف فلا يخمد نور الأسرة يذود الفرق الكافرة ولو ترك سبيلها لملأ قراره كل واد وكلما أو قدوا نـارا للحـرب أطفأهـا الله ولولاه لاخمد شراره كل زناد كان المتوقع من تلك الدولة الغاليـه والعزمـة الفاديـة مع القدرة الوافية والهمة المهدية الهادية أن يمد غرب الاسلام المسلمين بأكثر ممـا أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جـوارى كـالاعلام ومدنـا فـى اللجج سوائر كأنها الليالى مقلعة بالأيام تطلع علينا معشر الاسلام آمالا وتطلع على الكفار آجالاً وتردنا أما جملة وأمـا ارسـالا مسـومة تمدهـا ملائكـة مسـومة ومعلمـة تقـدم حبازيمها اقدام حيزوم تحت أصحابه وأنما هى منه عزمه وكانت تعـين أصحـاب الميمنة على أصحاب المشأمة وكلمة كانت تنفخ الروح فى الكلمة ولما استبطئت ظن أنها توقفت على الاستدعاء فصرخنا بـه فـى هـذه التحيـه فقـد تحفـل السـحاب ولاتمطر الى أن تحركها أيدى الرياح وقـد تـترك النصـره فـى تظـهر الى أن تضـرع اليها ألسنة الصفاح وسير لحصن مجلسه الا طـهر الانـور الأمـير الأجـل المجـاهد الأمين الأصيل شمس الدين نفير الاسلام والمسلمين سفير الملـوك والسـلاطين أبـو

الحزم عبد الرحمن بن منقذ كتب الله سلامته وأحسن صحابته وما اختير للوفاده الا من هو أهلها ولا حمل الوديعه الا من هو مْحلها ولابعث لنهج الصلة الا من هو مفتاحها ولا داء الأمانة الا من هو قفلها ومهما استوضح منهُ وسئل عنه فانه على نفسه بصيره ومن البيان ذو ذخيرة وفى العربية ذو بيت وعشيرة والمشاهده له أوصف على أن تلك الجلالة ربما ذعرت البيان فأخلف وما أجدره بأن يصادف بسطه على بساطه ونظر أيأذن له فى القول على اختصاره وتوسطه وأفراطه فكل هو به واف وكل هو للفهم الكريم كاف والله تعالى يجعل هذه العزمة منا فى استنهاص العزمة منه بالغة مبلغا يسر أهل دينه ويوزعهم بها اقتضاء ديونه من الذين اتخذوا لها من دونه والسلام الصادر عنْ القلب السليم والود الصميم والعهد الكريم على حضره الكرم العليه وسدة السيادة الجلية سلام موده ما وفد الغرب قبلها مثلها ورسالة ماخطرت الى أن انفذت وراءها المحبه رسلها وليصل السلام رحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ان شاء الله تعالى وكتب فى شعبان سنة ستة وثمان وخمسمائه والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد بنيه وآله وسلامه .

ملحق رقم ٢

قائمة بأسماء خلفاء المرابطين

م	اسم الخليفة	فترة الحكم
١	أبو بكر بن عمر اللمتونى	٤٤٨ – ٤٨٠هـ / ١٠٤٧ – ١٠٧٩م
٢	يوسف بن تاشفين	٤٨٠ – ٥٠٠هـ / ١٠٧٩ – ١٠٩٩م
٣	على بن يوسف	٥٠٠ – ٥٣٧هـ / ١٠٩٩ – ١١٣٦م
٤	تاشفين بن على	٥٣٧ – ٥٤٠هـ / ٣٦ – ١١٣٩م
٥	ابراهيم بن تاشفين	٥٤٠هـ / ١١٣٩م
٦	اسحق بن على	٥٤٠ – ٥٤١هـ / ٣٩ – ١١٤٠م

ملحق رقم ٣

قائمة باسماء خلفاء الموحدين

م	اسم الخليفة	فترة الحكم		
		الفترة الأولى	الفترة الثانية	الفترة الثال
١	عبد المؤمن بن على	٢٥٤-٥٥٨هـ/٢٣-١١٥٧م		
٢	محمد بن عبد المؤمن	٥٥٨هـ/١١٥٧م		
٣	يوسف ابو يعقوب	٥٥٨-٥٨٠هـ/٥٧-١١٧٩م		
٤	يعقوب المنصور بن يوسف	٥٨٠-٥٩٥هـ/٧٩-١١٩٤م		
٥	محمد الناصر لدين الله	٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٤-١٢٠٩م		
٦	يوسف الثانى أبو يعقوب	٦١٠-٦٢٠هـ/١٢٠٩-١٢١٩م		
٧	عبد الواحد بن محمد بن عبد المؤمن	٦٢٠-٦٢٤هـ/١٩-١٢٢٣م		
٨	عبد الله العادل	٦٢٤هـ/١٢٢٣م		
٩	إدريس المأمون	٢٦٤هـ/١٢٢٣م	٦٢٦-٦٢٩هـ/٢٦-١٢٢٩م	
١٠	يحيى أبو زكريا المعتصم بالله	٦٢٤-٦٢٦هـ/٢٣-١٢٢٦م	٦٢٩-٦٣٠هـ/٢٩-١٢٣٠م	٦٣٢-٦٣٣هـ/٣٢-٣٣
١١	عبد الواحد الرشيد	٦٢٩-٦٣٢هـ/٢٩-١٢٣٢م	٦٣٣-٦٤٠هـ/٣٣-١٢٤٠م	
١٢	المعتضد على بن ادريس	٦٤٠-٦٤٦هـ/٤٠-١٢٤٦م		
١٣	عمر بن اسحق بن يوسف	٦٤٦-٦٦٥هـ/٤٦-١٢٦٥م		
١٤	ادريس بن محمد بن عمر	٦٦٥-٦٦٧هـ/٦٠٥-١٢٦٧م		

المصادر المراجع العربية والأجنبية

أولاً : المصادر العربية :-

- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى القضاعى ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)
  - التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عزت العطار الحسينى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٥-١٩٥٦ .
  - الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ابن أبى أصبيعه (موفق الدين أبو العباس أحمد ابن القاسم ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)
  عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، نزار رضا ، بيروت ، ١٩٦٥.
- ابن أبى دينار (أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم القيرواتى ت ١١١٠هـ/١٦٩٨م)
  المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، تونس، ١٩٦٧.
- ابن أبى زرع (على بن عبد الله بن أبى زرع الفارسى ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)
  الأنيسى المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، ١٩٧٣ .
- ابن الأثير (عز الدين على بن أبى الكرم محمد الجزرى ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
  الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام الشنتيرينى ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)
  الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٧٥.

- ابن بلكين (عبد الله ت ٤٨٣هـ / ١٠٩١م)

كتاب التبيان ، مذكرات الأمير عبد الله ، تحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة ، ١٩٥٥.

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن الاتابكى ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الرابع ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٨ .

- ابن جبير (محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى الشاطبى البلنسى ت٦١٤هـ/١٢١٧م .

رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤ .

- ابن حزم (أبو محمد على بن سعيد ت ٤٥٦هـ/١٠٨٣م)

جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

- ابن حمديس الصقلى (عبد الجبار بن حمديس ت ٥٢٧هـ/١١٣٥م)

ديوان بن حمديس، تصحيح وتقديم احسان عباس، بيروت، ١٩٦٠.

- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبى ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)

صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢ .

- ابن حيان (أبو مروان بن حيان القرطبى ت ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦م)

المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، تحقيق محمود على مكى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٧٣ .

- ابن خاقان (الفتح ت٥٢٩هـ/١١٣٤م)

قلائد العقيان فى محاسن الأعيان ، دار الكتب الوطنية ، تونس ، ١٩٦٦ .

- ابن الخطيب السان الدين ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

- كتاب فى أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام- القسم الاندلسى، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٦ ، القسم المغربى وهو بعنوان (تاريخ المغرب من كتاب أعمال الاعلام) الدار البيضاء ، ١٩٦٤م.

- الاحاطة فى تاريخ غرناطة ، ٤ أجزاء ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، الخانجى ، ١٩٧٣ .

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) .

- العبر ديوان المبتدأ و الخبر ، بولاق ، ١٨٦٧ .

- مقدمة بن خلدون ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧ .

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، ٨ أجزاء ، دار صادر ، ١٩٧٢ .

- ابن الساعى (أبو طالب على بن أنجب الخازن البغدادى ت ٦٧٤هـ/١٢٩٧م)

- الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ، ١٩٣٤ .

- ابن سعيد المغربى (أبو الحسن موسى بن سعيد ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن صاحب الصلاة ٥٩٤هـ/١١٩٨م)
تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، السفر الثانى ، تحقيق عبد الهادى التازى ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٤ .
- ابن عذارى (المراكشى ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م) .
- البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة ، بيروت، تحقيق ليفى بروفنسال وكولان ، ١٩٥٠ .
- البيان المغرب فى اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، القسم الثالث ، القسم الموحدى ، نشر امبروسيوهوبس ميزانده ، محمد بن تاويت ، تطوان ، الرباط ، ١٩٣٢ .
- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ت ١٠٨٩هـ/١١٧٨م)
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب مكتبة القدس، ٥ أجزاء ١٩٥١.
- ابن فضل العمرى (أحمد بن يحيى ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)
وصف افريقية والمغرب والأندلس ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، تونس ، ١٩٠٦ .
- ابن القدنسى (أبو يعلى حمزه)
ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨ .

- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)

الامامة والسياسة ، تحقيق طه الزينى ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٦٧ .

- ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكنانى الفاس ، ت منتصف القرن ٧هـ/١٣م)

نظم الجمان ، تحقيق د. محمود مكى ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، جامعة الملك الخامس .

- ابن القوطيه (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم القرطبى)

تاريخ افتتاح الأندلسى ، تحقيق عبد الله انيس الضباع ، مطبعه مدريد، دار النشر للجامعيين ، ١٩٢٦ .

- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عبد كثير الدمشقى ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م

البداية والنهاية ، الهيئة العامة للكتاب ، مصر ، الجزء ١٢ ، ١٩٧٣.

- ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك ت أواخر القرن ٦هـ/١٢م)

تاريخ الأندلس ، تحقيق د. أحمد العبادى ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، المجلد ١٣ ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦ .

- ابن مماتى (الاسعد ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)

قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال ، القاهرة ، ١٩٤٣ .

- ابن منكلى (محمد أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)

الأحكام الملوكيه والضوابط الناموسيه فى فن القتال فى البحر ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، تحت رقم ٢٣ ، فروسية، تيمور .

- ابو شامة (شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى الشافعى ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦ .

الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية تحقيق محمد حلمى محمد ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

- ابو شداد (بهاء الدين)

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الشيال، القاهرة، ١٩٦٤ .

- أبو الفداء (اسماعيل نور الدين على بن جمال الدين محمد ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)

- تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠م .

- المختصر فى أخبار البشر ، دار المعرفة للطاعة والنشر ، بيروت، ٤ أجزاء .

- البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)

فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين منجد ، بيروت ، ١٩٥٦ .

- البكرى (ابو عبيد ت ٤٨٧هـ/ ١٠٨٦م)

المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب،نشره البارون دى إسلام، ١٨٥٧.

– البيذق (أبو بكر الصنهاجى ت ٥٦١هـ/١١٦٥م)

أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق ليفى بروفنسال وبؤلس كونتر ، باريس ، ١٩٢٨ .

– التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)

رحلة التجانى ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨١ .

– الحسن بن عبد الله (ت ٧٨٠هـ/١٣٠٨م)

آثار الأول فى ترتيب الدول ، بولاق ، القاهرة ، ١٢٩٥ هـ .

– الحميدى (أبو عبد الله محمد أبى نصر فتوح بن عبد الله ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)

جذوة المقتبس فى ذكر رجال الأندلس ، حققه محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

– الحميرى : محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/١٤٩١م)

الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار العلم للطباعة ، ١٩٧٥ م .

– الذهبى (ابو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقى ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

العبر فى خبر من غبر ، ٤ أجزاء ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، طبعة الكويت ، ١٩٦٣ .

– الزركشى (بدر الدين محمد بن ابراهيم بن لؤلؤ ت ٨٩٤هـ/١٤٨٨م)

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، مطبعة المكتبه العتيقة ، تونس ، ١٩٦٦ .

- الزهرى (محمد بن أبى بكر ابو عبد الله)

كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، دمشق ، ١٩٦٨ .

- السراج (الوزير محمد بن على الاندلس ت ١١٤٩هـ/١٧٣٦م)

الحلل السندسيه فى الأخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب ، الدار القوشية ، ١٩٧٠ .

- الضبى (أبو جعفر احمد بن يحيى بن عميره ت ٥٩٩هـ/١٠٢٣م)

بغيه الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتات العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

- الطرطوشى (مرضى بن على)

تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ، تحقيق كلود كاهن، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسى بدمشق، جـ٢ ، ١٩٤٧ - ١٩٤٨ .

- العذرى (أحمد بن عمر بن أنس ت ٤٧٨هـ/٩٨٨م)

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥ .

- البغدادى (صفى الدين عبد المؤمن ت ٧٣١هـ/١٣٣٥م)

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق محمد اليحاوى ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٥٥ .

- مجهول

الاستبصار فى عجائب الأمصار ، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، نشر وتعليق د. سعد زغلول ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ .

- مجهول

أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشى ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ .

- مجهول

الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل ذكار وعبد القادر زمامه ، الدر البيضاء ، ١٩٧٩ .

- مجهول

رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنيه أصدرها ليفى بروفنسال، ١٩٤١ .

- مجهول

مفاخر البربر ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ .

- المراكشى (عبد الواحد ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٦٣ .

- المقرى (أحمد بن محمد بن أحمد المكتاسى ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)

نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة ، ١٩٦٨ .

– المقريزى (تقى الدين ابى العباسى احمد بن على المقريزى ت ٨٤٥هـ/١٤٤م) .

– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق ، ١٨٨٦ .

– اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين ، تحقيق جمال الشبال ، ١٩٤٨ .

– الناصرى (أبو العباس أحمد بن خال ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م)

الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ٩ أجزاء فى أربعة مجلدات ، تحقيق جعفر الناصر ومحمد الناصر ، دار الكتاب ، الدار البيضاء، ١٩٥٤ .

– النباهى (أبو الحسن بن الحسن النباهى ت أواخر القرن ٨هـ/١٤م)

تاريخ قضاة الاندلس ، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا، نشر ليفى بروفنسال ، المكتب التجارى ، للطباعة والنشر، بيروت .

– النويرى السكندرى (محمد بن قاسم بن محمد ت ٧٦٧هـ/١٥٠٢م)

الالمام بأعلام بما جرت به الأحكام المقضيه فى موقعة الاسكندرية ، نسخة مصورة من مخطوط بالهند ، محفوظ بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، رقم ٧٣٨ .

ثانياً : المراجع العربية والمعربة:-

- ابتسام مرعى (دكتوره)

العلاقات الموحدية بين المشرق والمغرب ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٦م .

- ابراهيم حركات

المغرب عبر التاريخ ، تقديم محمد الفاس ، الدار البيضاء ، المجلد الأول ، ١٩٦٥ .

- ابراهيم أبو الخشب (دكتور)

تاريخ الأدب العربى فى الأندلس ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٦ .

- ابراهيم طرخان (دكتور)

المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى ، الادارة العامة للثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

- ابراهيم العدوى (دكتور)

الأساطيل العربية فى البحر المتوسط ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٧.

- احسان عباس (دكتور)

دراسة فى التاريخ والأدب ، دار المعارف ، ١٩٧٣ .

- أحمد بدر (دكتور)

دراسات فى تاريخ الأنداس وحضارتها ، عصر الخلافة ، دمشق، ١٩٧٣.

- أحمد توفيق المدنى (دكتور)

المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، مطبعة سيراكوز، ١٩٤٣.

- أحمد عيس (دكتور)

المعجزة المغربية ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٥ .

- أحمد مختار العبادى (دكتور)

- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، بيروت ١٩٧١ .

- دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨ .

- مشاهدات لسان الدين الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ .

- تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، ١٩٦٨ .

- تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩ .

- أسد رستم

الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلتهم بالعرب ، درا المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٥ .

- أمارى ميخائيل

المكتبة الصقلية ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٥٨ .

- أندرية جوليان

تاريخ أفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالى والبشير بن سلامة ، الدار التونسية .

- جمال الدين سرور (دكتور)

سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٧ .

- حامد زيان (دكتور)

تاريخ الحضارة الاسلامية فى صقلية وأثرها على أوربا ، درا الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

- حسن ابراهيم حسن (دكتور)

تاريخ الاسلام الدينى والسياسى والثقافى والاجتماعى ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

- حسن محمود (دكتور)

- تاريخ الغرب الاسلامى الاندلسى والمغربى من الفتح الغربى حتى سقوط الخلافة ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

- قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

- حسين مؤنس (دكتور)

- معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار مطابع المستقبل ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

-غارات النورمانديين على الأندلس ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

- درويش النخيلى (دكتور)

السفن الاسلامية على حروف العجم ، الاسكندرية ، ١٩٧٤ .

- دوزى

تاريخ المسلمين فى أسبانيا حتى الفتح المرابطى ، لندن ، مطبعة بريل، ١٨٦١م .

- رضوان البارودى

الحياة الحربية فى عصر المدنية .

- زامباور

معجم الانساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، ترجمة زكى حسن وحسن محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥٦ .

- زينب راشد

كريت تحت الحكم المصرى ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٢ .

- ستيفن ريستمان

تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العرينى ، جـ١ ، بيروت، ١٩٦٧ .

- سحر سالم (دكتوره)

- مدينة قادس دورها فى التاريخ السياسى والحضارى للأندلس فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ، ١٩٩٠ .

- سعاد ماهر (دكتوره)

البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

- سعد زغلول عبد الحميد (دكتور)

- تاريخ المغرب العربى ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

- العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب ، الاسكندرية، ١٩٨٣.

- سعدون عباس (دكتور)

دولة المرابطين فى المغرب والأندلس فى عهد يوسف بن تاشفين ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ .

- سعيد عاشور (دكتور)

- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦ .

- تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، جـ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ .

- سلامة محمد سلمان (دكتور)

دولة المرابطين فى عهد على بن يوسف بن تاشفين ، دار الندوة الجديدة ، ١٩٨٥ .

- السيد الباز العرينى (دكتور)

الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

– السيد عبد العزيز سالم (دكتور)

– تاريخ البحرية المصرية ، الاهرام ، ١٩٧٣ .

– المغرب الكبير ، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .

– تاريخ مدينة المرية الاسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٤ .

– فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، ١٩٨٥ .

– تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٢ .

– شكرى فيصل

حركة الفتح الاسلامى فى القرن الأول الهجرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ .

– شكيب ارسلان

– تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزر البحر المتوسط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٣ .

– الحلل السندسية فى الاخبار والآثار الاندلسية ، جزءان ، دار الحياة، بيروت ، ١٩٣٦ .

– شوقى أبو خليل

الأرك بقيادة المنصور الموحدى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩ .

– صابر دياب (دكتور)

سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، عالم الكتاب ، ١٩٧٣ .

- صلاح خالص

أشبيليه فى القرن الخامس الهجرى ، بيروت ، ١٩٦٥ .

- عبد الحق حموش

القوى البحرية فى المغرب الاسلامى ، الدرا البيضاء ، ١٩٦٥ .

- عبد الرحمن زكى (دكتور)

السلاح فى الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

- عبد الكريم التوانى

مأساة انهيار الوجود العربى للأندلس ، الدرا البيضاء ، ١٩٦٧ .

- عبد المنعم ماجد

- نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- ظهور دولة الفاطميين وسقوطها فى مصر والاسكندرية ، ١٩٦٨ .
- تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٣ .
- سفن الأسطول الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

- عثمان الكعاك

مراكز الثقافة فى المغرب ، مهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

- عصمت دندش (دكتوره)

الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، دار الغرب الاسلامى، ١٩٨٨ .

- على أدهم

المعتمد بن عباد ، بيروت ، ١٩٧١ .

- على فهمى عمر

البحرية فى شرق البحر المتوسط ، الاهرام ، مصر ، ١٩٧٢ .

- عمر فروخ

العرب والمسلمون فى الحوض الشرقى من البحر المتوسط منذ الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية ، المكتبة التجارية ، بيروت ، ١٩٦٦ .

- فازيليف

العرب والروم ، ترجمة عبد الهادى شعيره و فؤاد حسين على ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٠ .

- فيليب حتى

تاريخ العرب ، ترجمة ادوارد جرجى ، جبرائيل جبور ، دار الكشاف والنشر والطباعة ، بيروت ، ١٩٦١ .

- كليليا سارتللى تشرتوا

مجاهد العامرى قائد الاسطول العربى فى غرب البحر المتوسط فى القرن الخامس عشر الهجرى ، القاهرة ، ١٩٦١ .

– لويس (ارشيبالد)

القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد عيس ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦ .

– ليفى بروفنسال

الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة د. عبد العزيز سالم ، ومحمد صلاح الدين حلمى ، مصر ، ١٩٥٦ .

– لين بول

قصة العرب فى اسبانيا ، ترجمة على الجارم ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

– محمد عبد الله عنان

– عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس ، القسم الاول ، ١٩٦٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة .

– عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ، القسم الثانى ، ١٩٦٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة .

– دول الطوائف فى الأندلس ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجى، القاهرة ، ١٩٦٩ .

– محمد عبد الهادى شعير

المرابطون وتاريخهم السياسى ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

– محمد لبيب البتانونى

رحلة الاندلس ، الطبعة الثانية ، القاهرة .

- محمد محمد الشيخ (دكتور)

تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، الاسكندرية ، ١٩٩٠ .

- محمد المرزوقى

قابس ، تونس ، مكتبى الخانجى ، ١٩٦٢ .

- محمد ياسين الحموى

تاريخ الاسطول العربى ، دمشق ، ١٩٦٥ .

- محمود اسماعيل (دكتور)

الأغالبة وسياستهم الخارجية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

- محمود مكى (دكتور)

وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، المجلد ٧ - ٨ ، ١٩٥٩-١٩٦٠.

- مراجع عقيلة الغناى (دكتور)

قيام دولة الموحدين ، المكتبة الوطنية ، بنغازى ، ١٩٧١ .

- مصطفى عبد الله بعيو

دراسات فى التاريخ اللوبى ، الاسكندرية ، ١٩٥٩ .

- هشام أبو رميله (دكتور)

علاقات الموحدين بالممالك النصرانيه والدول الاسلامية فى الأندلس، دار الفرقان ، الأردن ، ١٩٨٤ .

- يوسف اشباخ

تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة عبد الله عنان ، مؤسسة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

ثالثاً : الدوريات :-

- ابراهيم طرخان (دكتور)

المسلمون فى فرنسا وايطاليا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، المجلد ٢٣ ، الجزء الثانى ، ديسمبر ، ١٩٦١ .

- ابراهيم العدوى (دكتور)

اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى ، المجلة التاريخية المصرية ١٩٥٠ ، المجلد الثالث ، العدد الثانى .

- أحمد مختار العيادى

- سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٥٧ .
- الصقالبه فى أسبانيا ، المعهد الفرنسى للدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٥٣ .
- الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٦٧ .

- أمين توفيق الطيبى

واقعة الزلاقة المجيده ٤٧٩هـ/١٠٨٦م مقدمتها ونتائجها ، مجلة كلية التربية ، جامعة الفتح ، ليبيا ، العدد السادس ، ١٩٧٦ - ١٩٧٧ .

– حسين مؤنس (دكتور)

– المسلمون فى حوض البحر المتوسط ، المجلة التاريخية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، مايو ١٩٥١ .

– الثغر الأعلى الاندلسى ، عصر المرابطين وسقوط سرقسطة ، مجلة كلية الآداب ، مج١١ ، جـ٢ ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

– سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم فى الأندلس ، مهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٥٤ .

– السيد القنبيطوز وعلاقة المسلمين ، المجلة التاريخية المصرية ، مج٣، مايو ١٩٥٠.

– سعد زغلول (دكتور)

فترة حاسمة فى تاريخ المغرب ، مجلة كلية الآداب والتربية بالجمعة الليبية ، المجلد الأول، بنغازى ، ١٩٥٨ .

– عبد الحليم عويس (دكتور)

رحلة الى بلاد المسلمين ، مجلة الفيصل ، العدد ٣٦ ، مايو – ابريل ١٩٨٠ .

– عبد العزيز عبد الله

البحرية المغربية والقرصنة ، مجلة تطوان المغربية ، العدد الثالث والرابع ، ١٩٥٨ – ١٩٥٩ .

– محمد الفاسى

الاعلام الجغرافية ، مجلة البيئة ، ١٩٦٢ .

- مراندا (أميروثو هويتى)

وقيعة اقليش ومصرع الأمـير صـون شـانجة، مجلـة تطـوان، العـدد الثالث، ١٩٥٨ .

رابعاً : الرسائل العلمية :

سحر سالم

التاريخ السياسى لبطليوس ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٤ .

- فوزية نوح

البحرية الاسلامية فى بلاد المغرب فى عهد دولة الأغالبة ، رسـالة ماجسيتير ، جامعة ام القرى ، ١٩٩٠ .

- ليلى النجار (دكتوره)

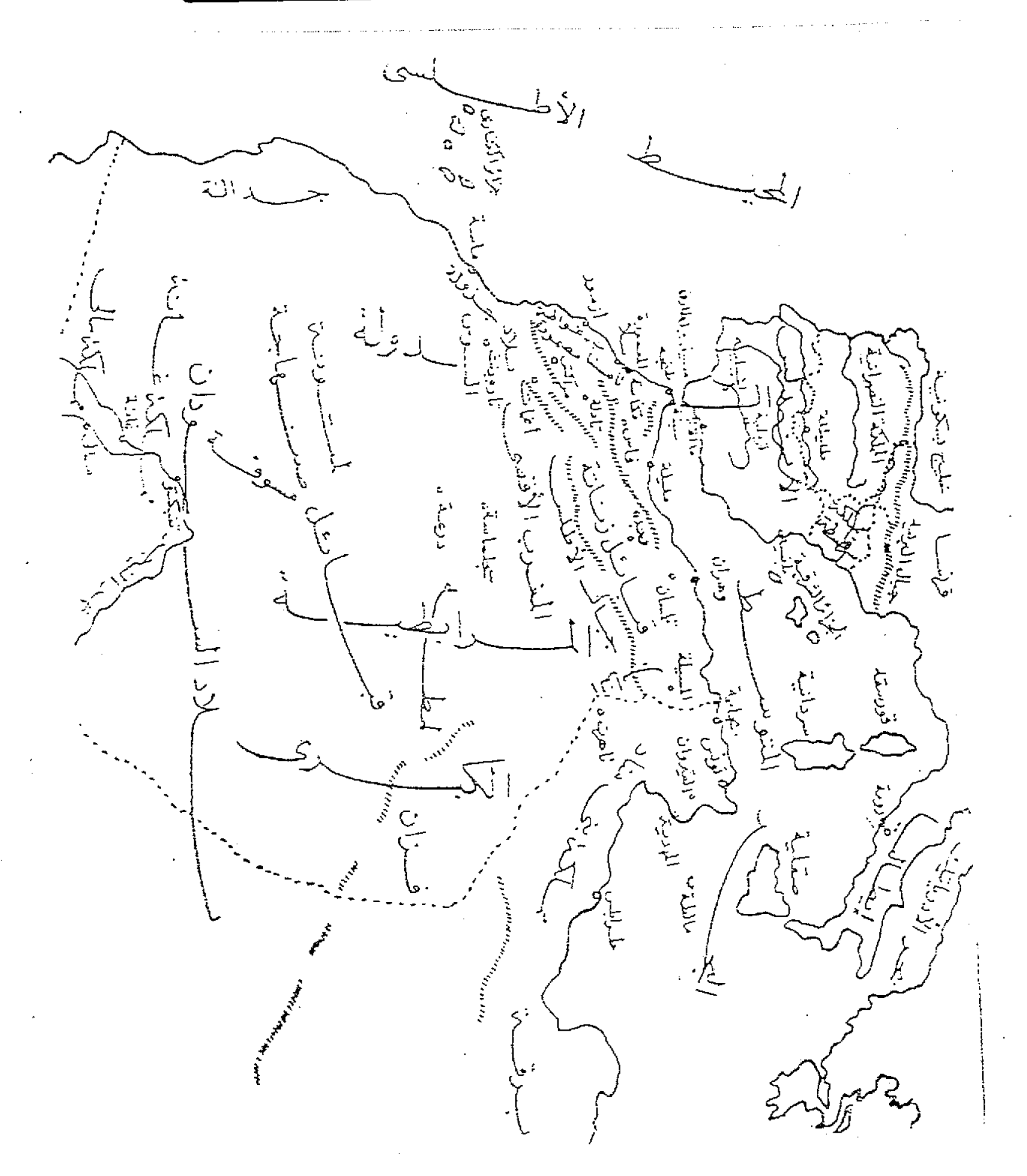
المغـرب والاندلـس فـى عـهد المنصـور الموحـدى، دراسـة تاريخيـة حضارية، رسالة دكتوراه، كليـة الشـريعة والدراسـات الاسـلامية، جامعة ام القرى، ١٩٨٩ .

خامساً : المراجع الأجنبية :-

- Alfred (B)
  Les Bonu Ghanya , paris , 1903 .
- Altamira (R)
  The beginnings to the present day , translated by un nalee . Copy right 1949 by D. van Nostrand Company-Canand - Ltd .
- A mbro sio (H.M)
  Historya folitica de Imerio Almohade , primera , part , Tetwan , 1956 .

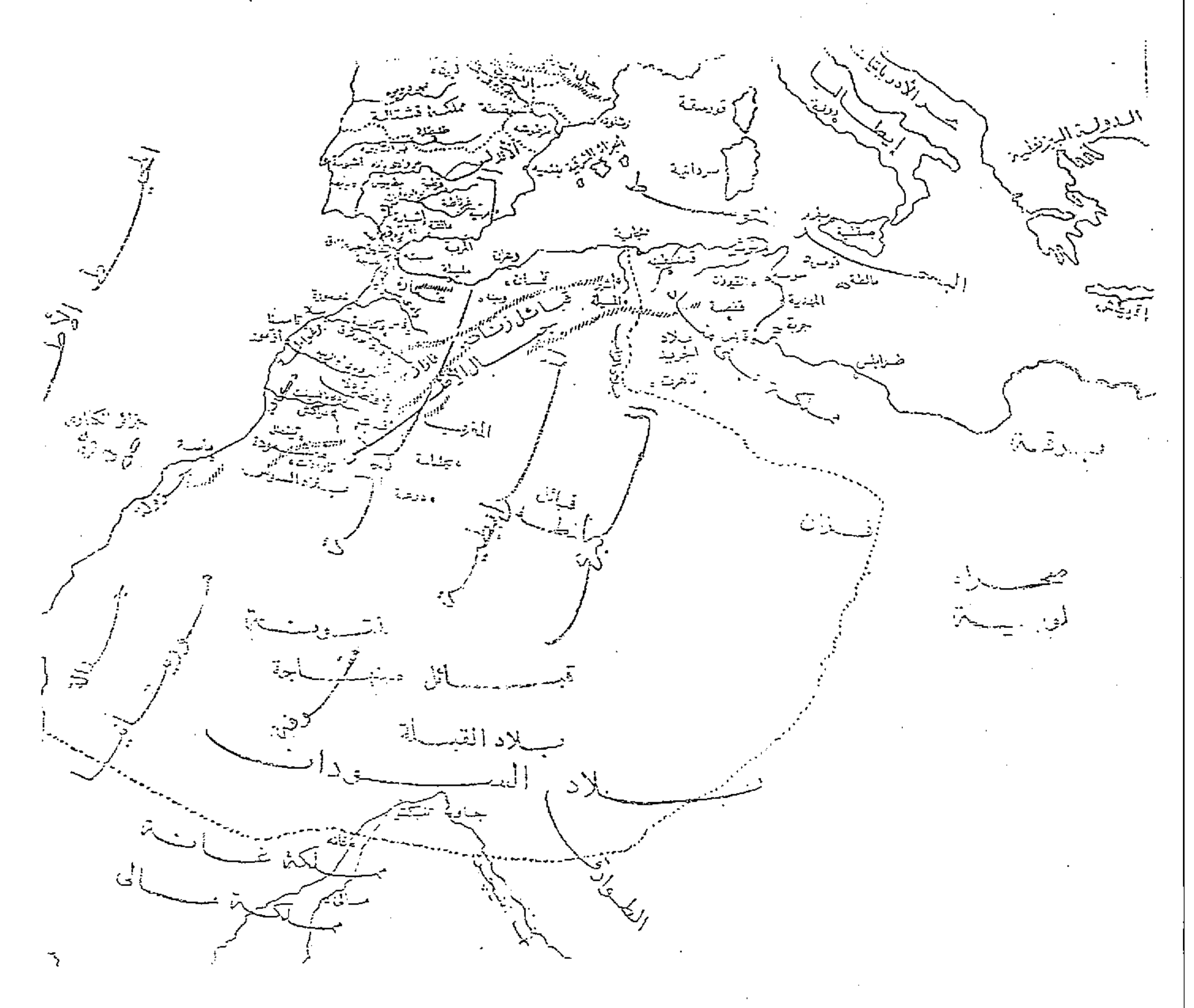
- Barbour (N)
  - The mind of the middleages , New York , 1953 .
  - A Survey of north west Africa (Maghrib) Oxford University press) london , 1959 .
- Campaner
  Bosqueio Historice de la Dominacion Islamita ens le Islas , Baleares , palma , 1888 .
- Callaghan (F.J)
  A History of medienal Spain Copy right , 1975 , cornell university , Ithaca , New York .
- Chap - man (C-E)
  A History of Spain , New York , 1931 .
- Painter (S)
  A History of the middle ages , New York , 1954 .
- Scotte (S.P.)
  A History of the moorise Empire in Europe , vol II , Phila dephia , London , 1904 .

فهرس الخرائط والأشكال



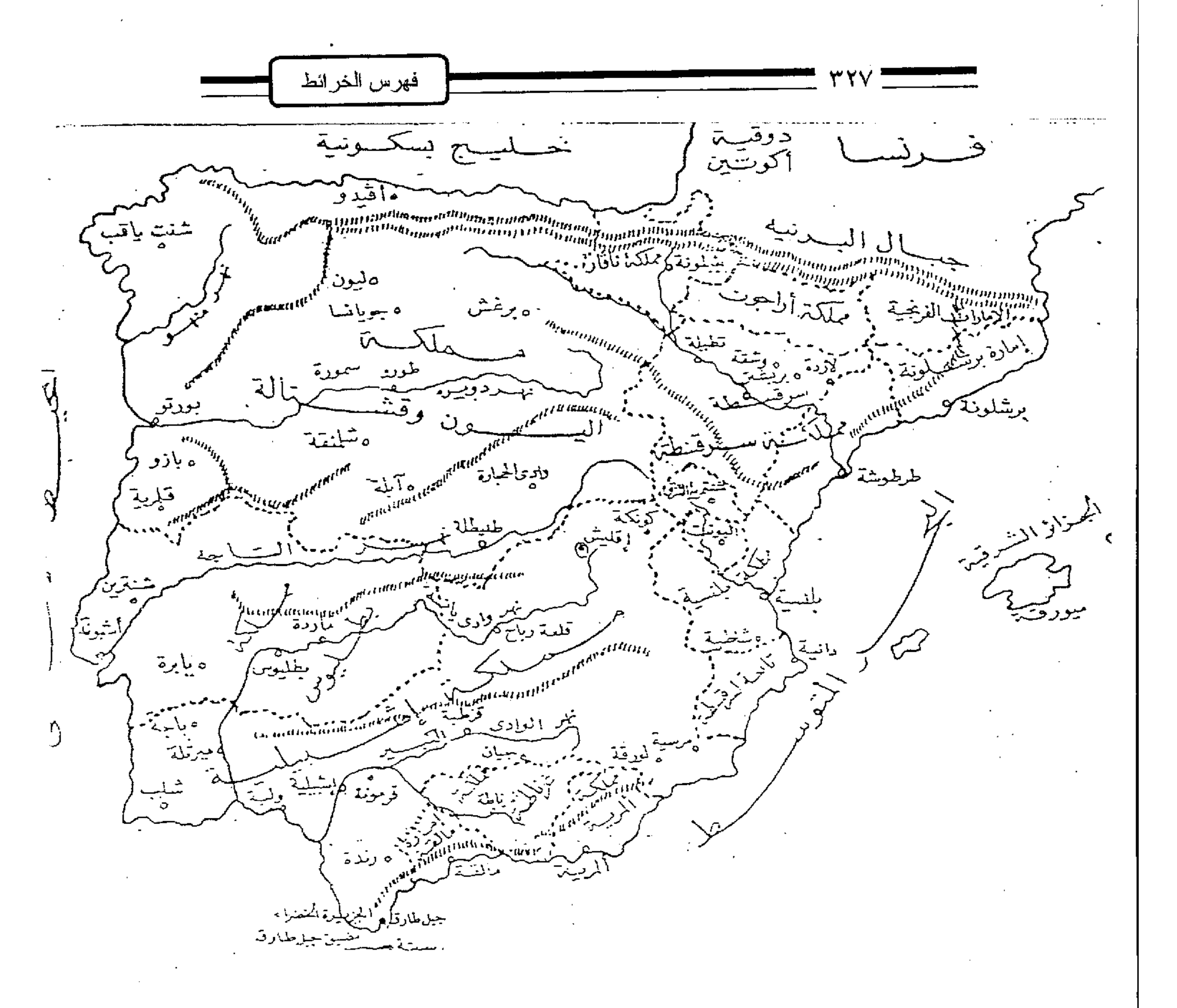
١- خريطة تبين الدولة المرابطية الكبرى

عن عبد الله عنان : دول الطوائف



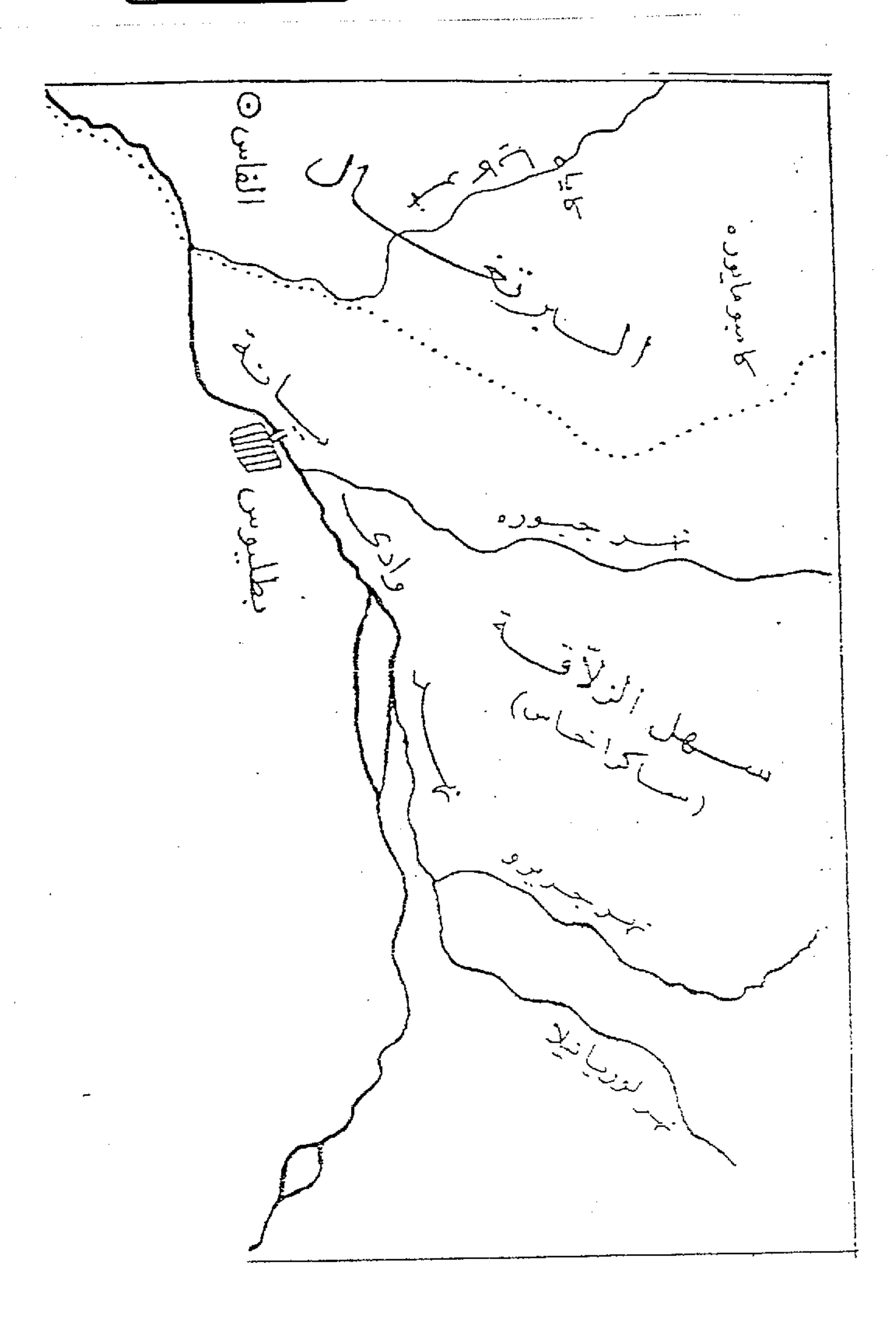
٢- خريطة تبين الدولة المرابطية عقب وفاة الأمير يوسف بن تاشفين سنة ٥٥٠هـ/١١٠٦م

عن . د. عبد العزيز سالم واحمد العبادى البحرية الاسلامية ، المغرب والاندلس



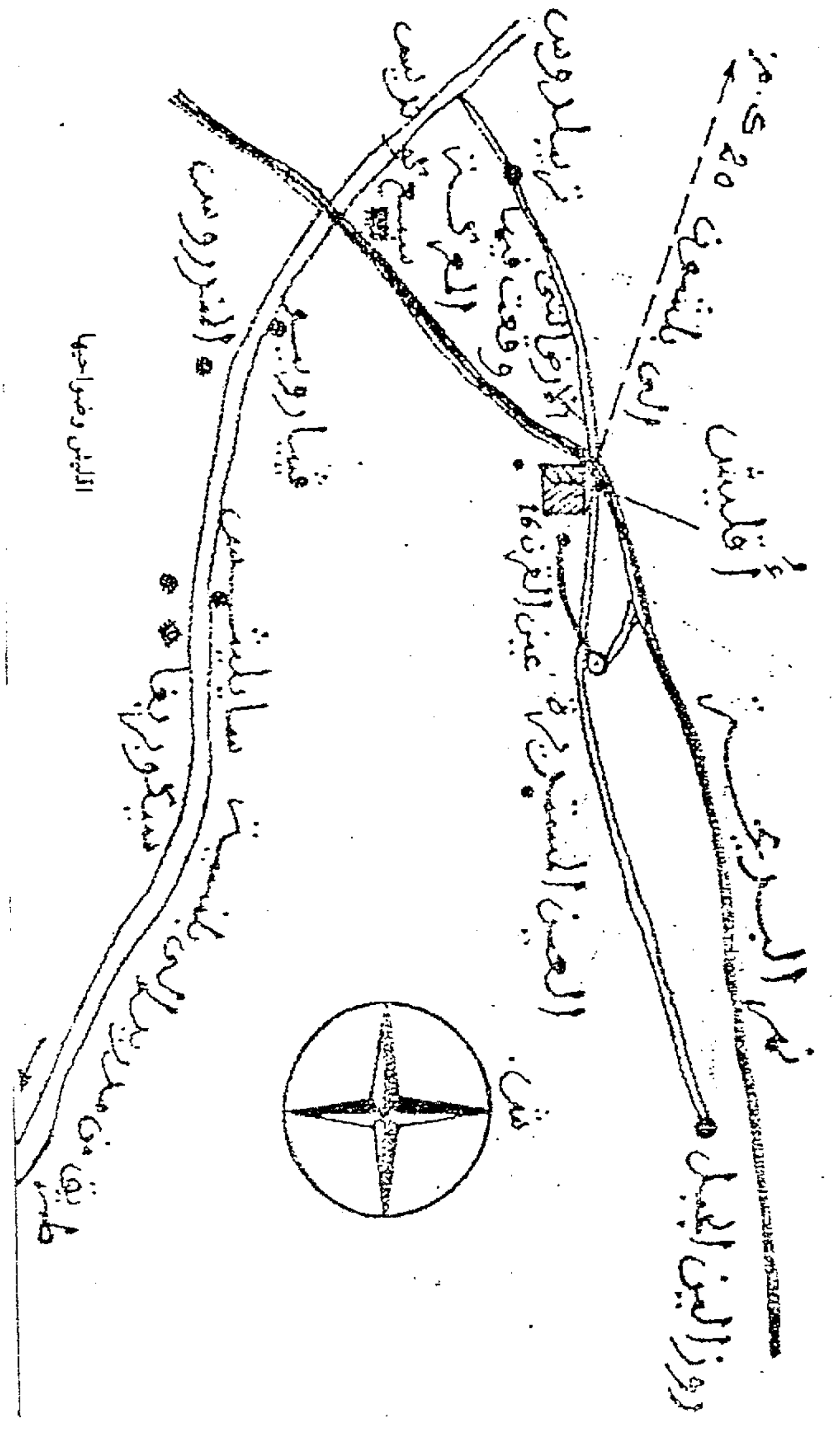
٣- خريطة تبين دول الطوائف والممالك النصرانية عقب سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .

عن عبد الله عنان : المرجع السابق



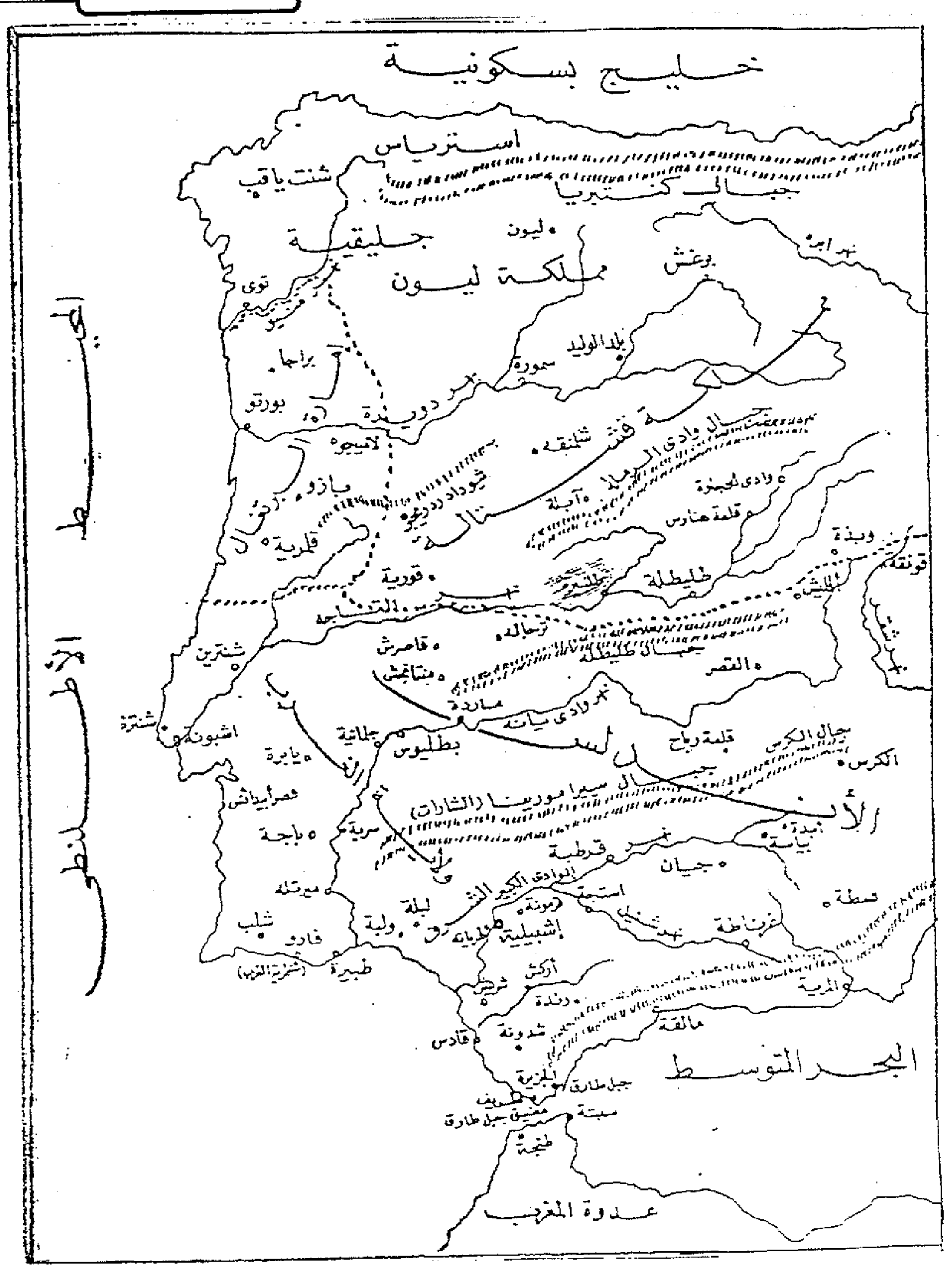
٤- خريطة تبين موقعة الزلاقة .

عن عبد الله عنان : المرجع نفسه



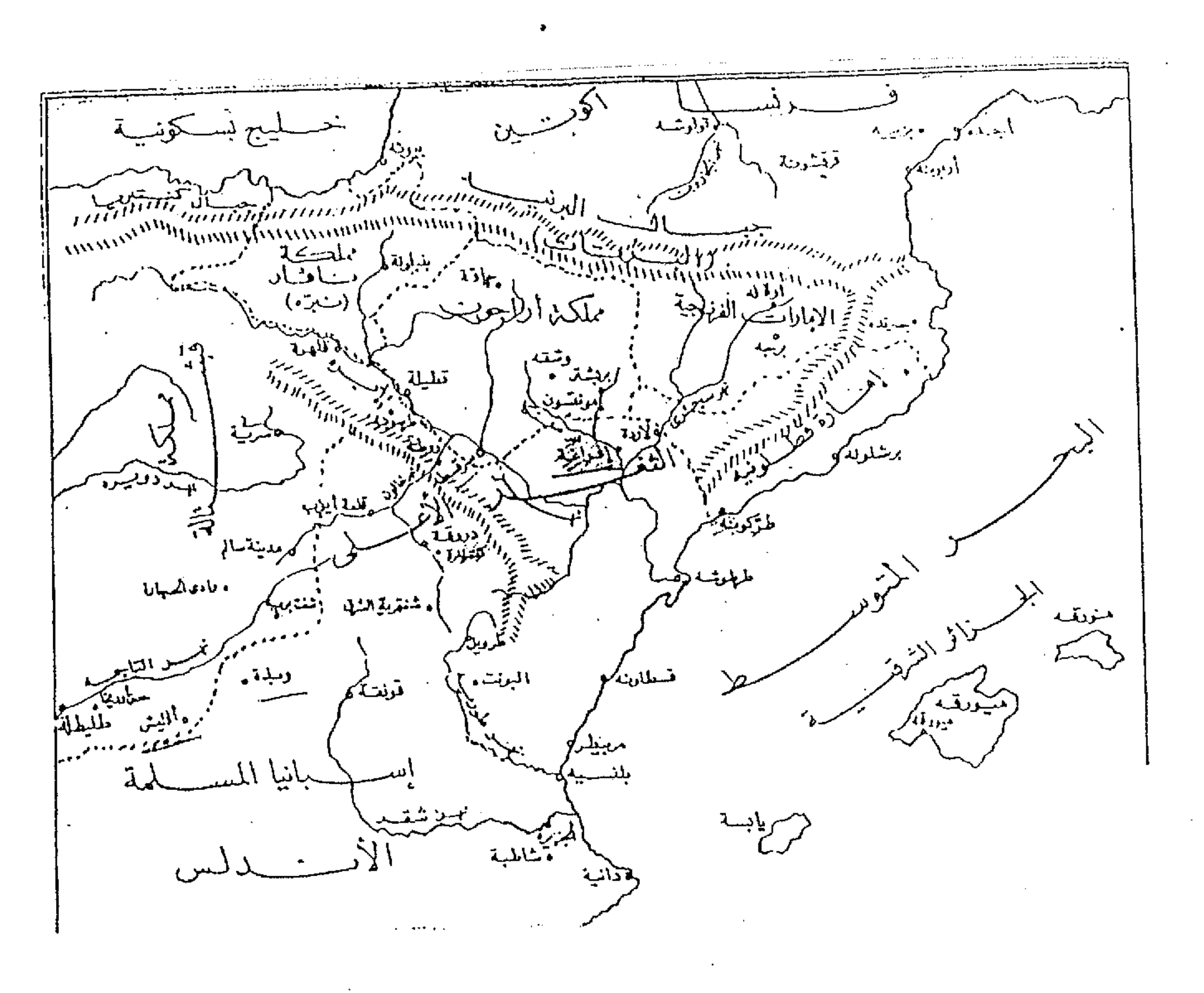
٥- خريطة تبين موقعة اقليش .

عن ميراندا : وقعه اقليش ومصرع الأمير شانجة



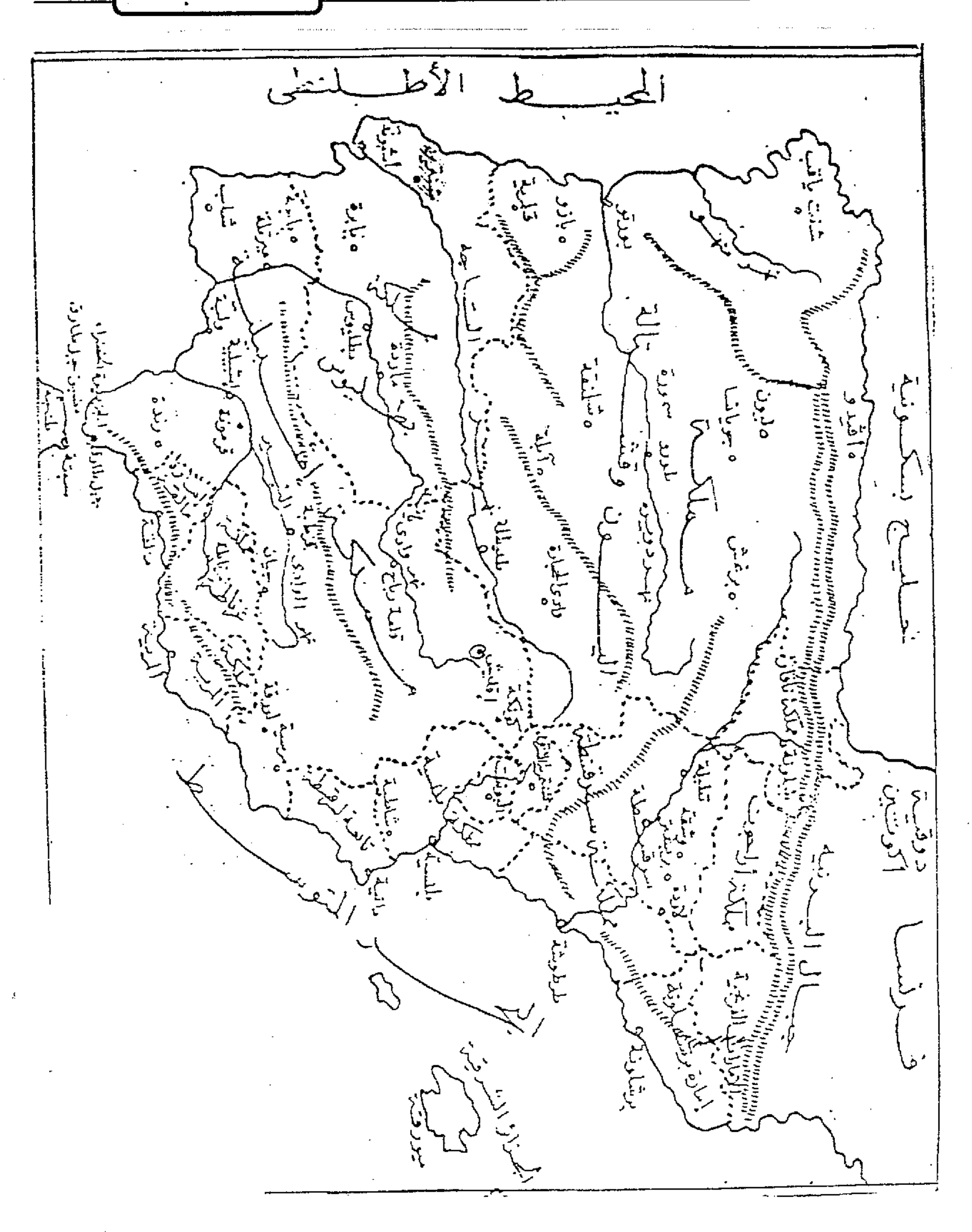
٦- خريطة تبين غزوات المرابطين التى قام بها على بن يوسف وتاشفين فى أراضى قشتالة .

عن : عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس.القسم الأول



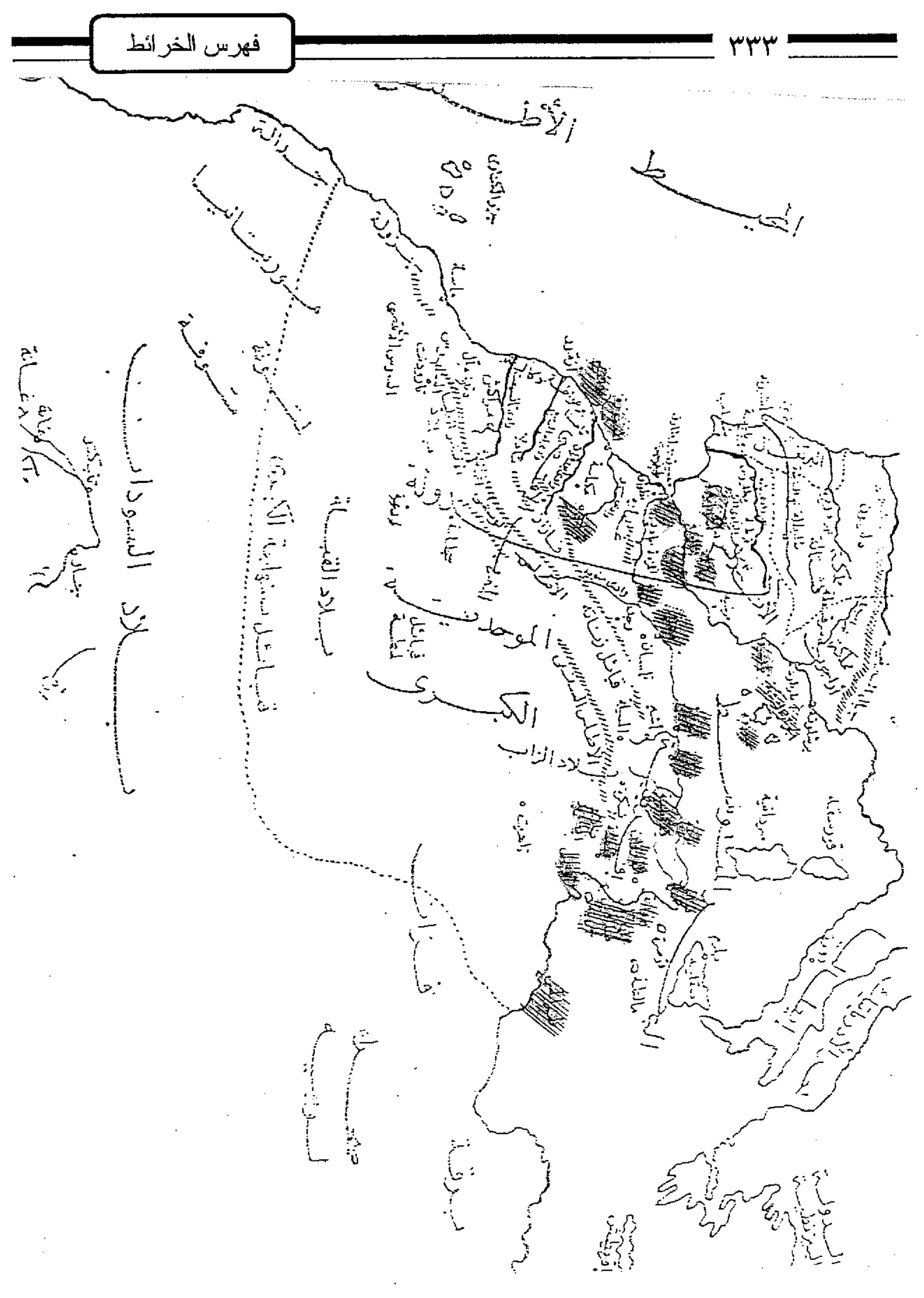
٧- خريطة تبين الثغر الأعلى ومواقع حروب المرابطين والنصارى .

عن: عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين .



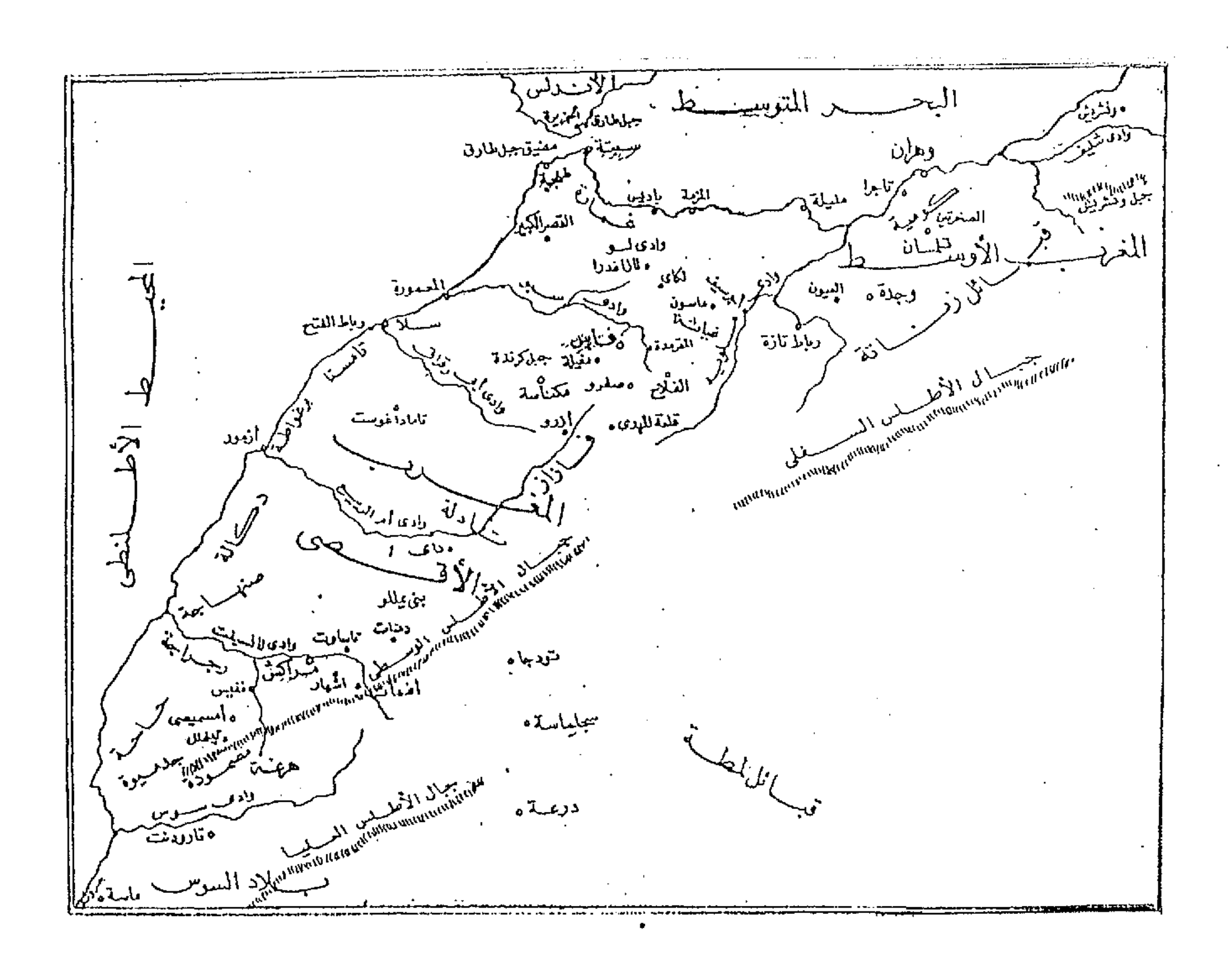
٨- خريطة تبين موقع مدينة شنتيرن

عن : عبد الله عنان : المرجع نفسه : ق١



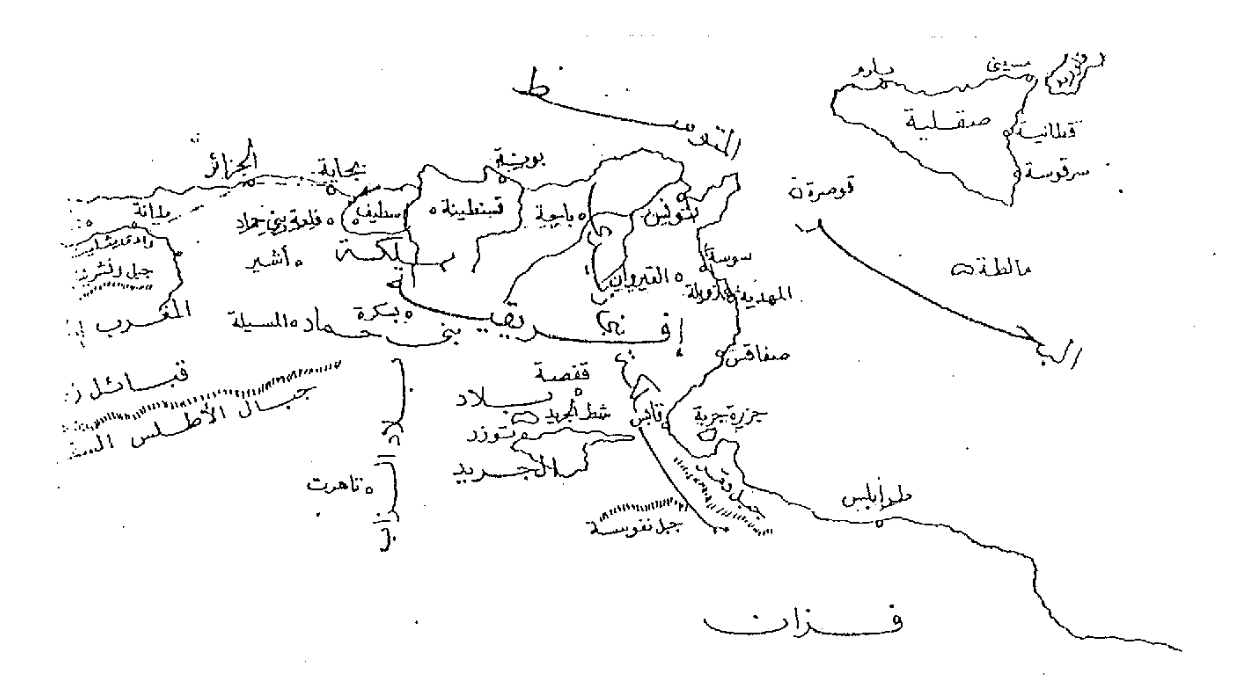
٩- خريطة تبين الدولة الموحدية الكبرى

عن " د. عبد العزيز سالم، د. احمد العبادى : المرجع السابق .



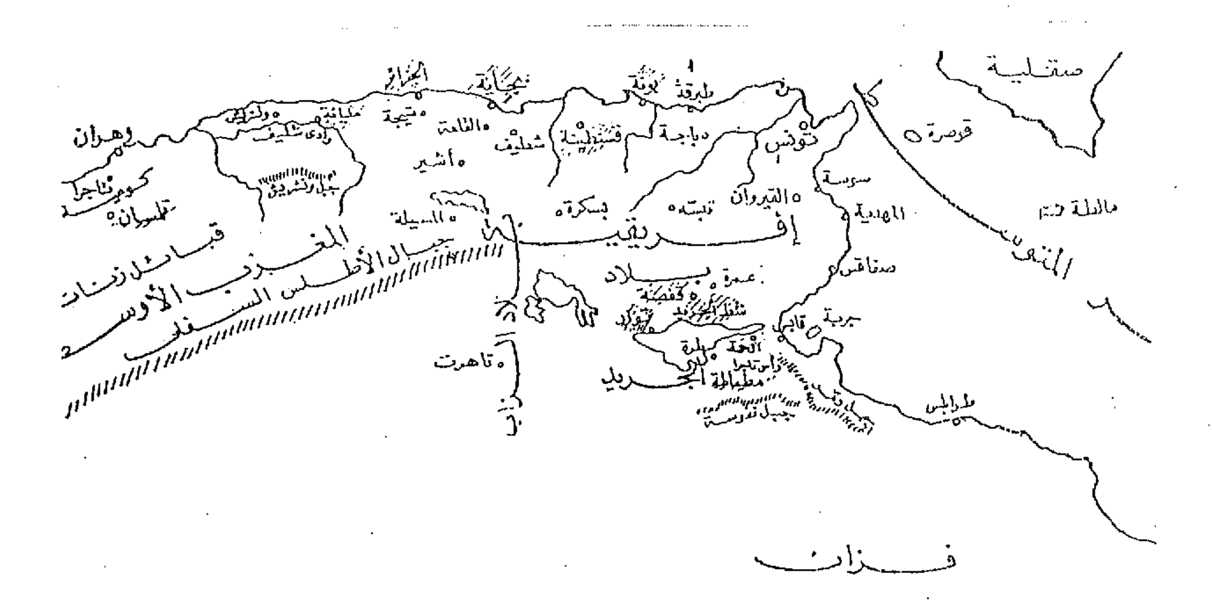
١٠- خريطة تبين مواقع غـزوات الخليفـة عبـد المؤمـن سـنة ٥٣٥-٥٤٠هـ/٤٠-١١٤٥م .

عن عبد الله عنان : المرجع السابق ،ق١



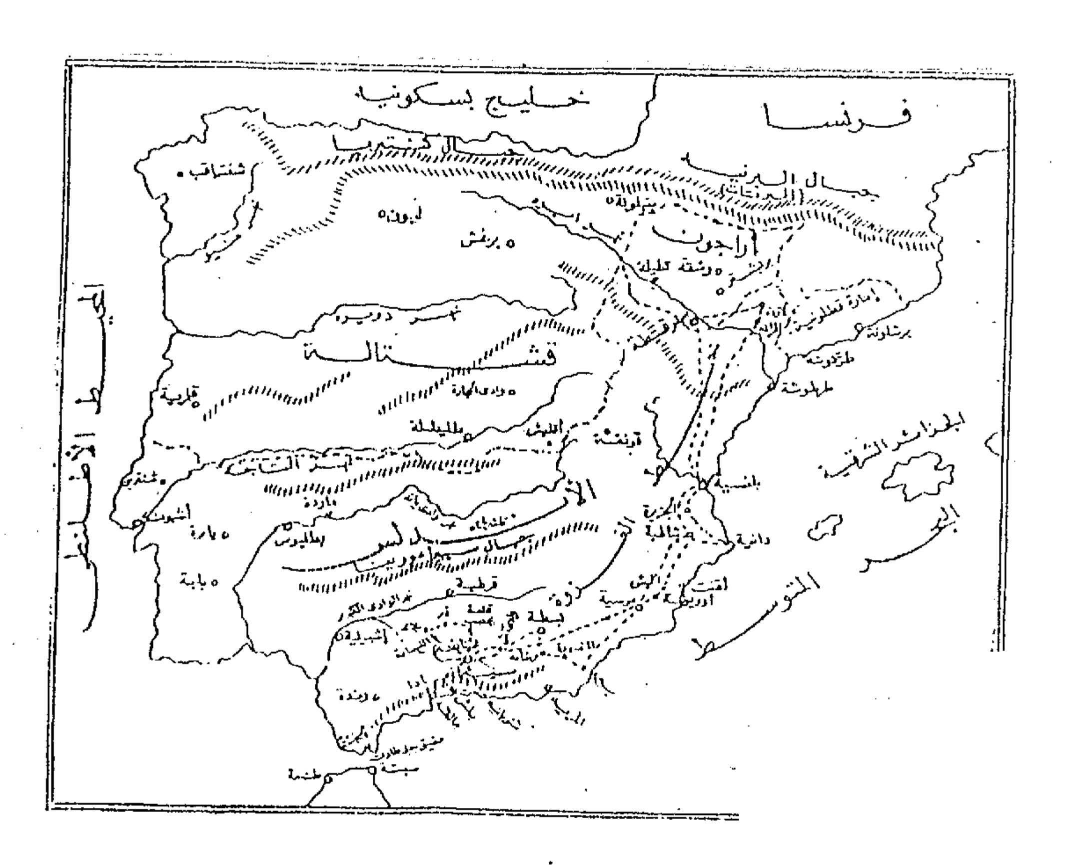
١١- خريطة تبين فتح الموحدين لافريقية

عن : عبد الله عنان : المرجع السابق ، ق١



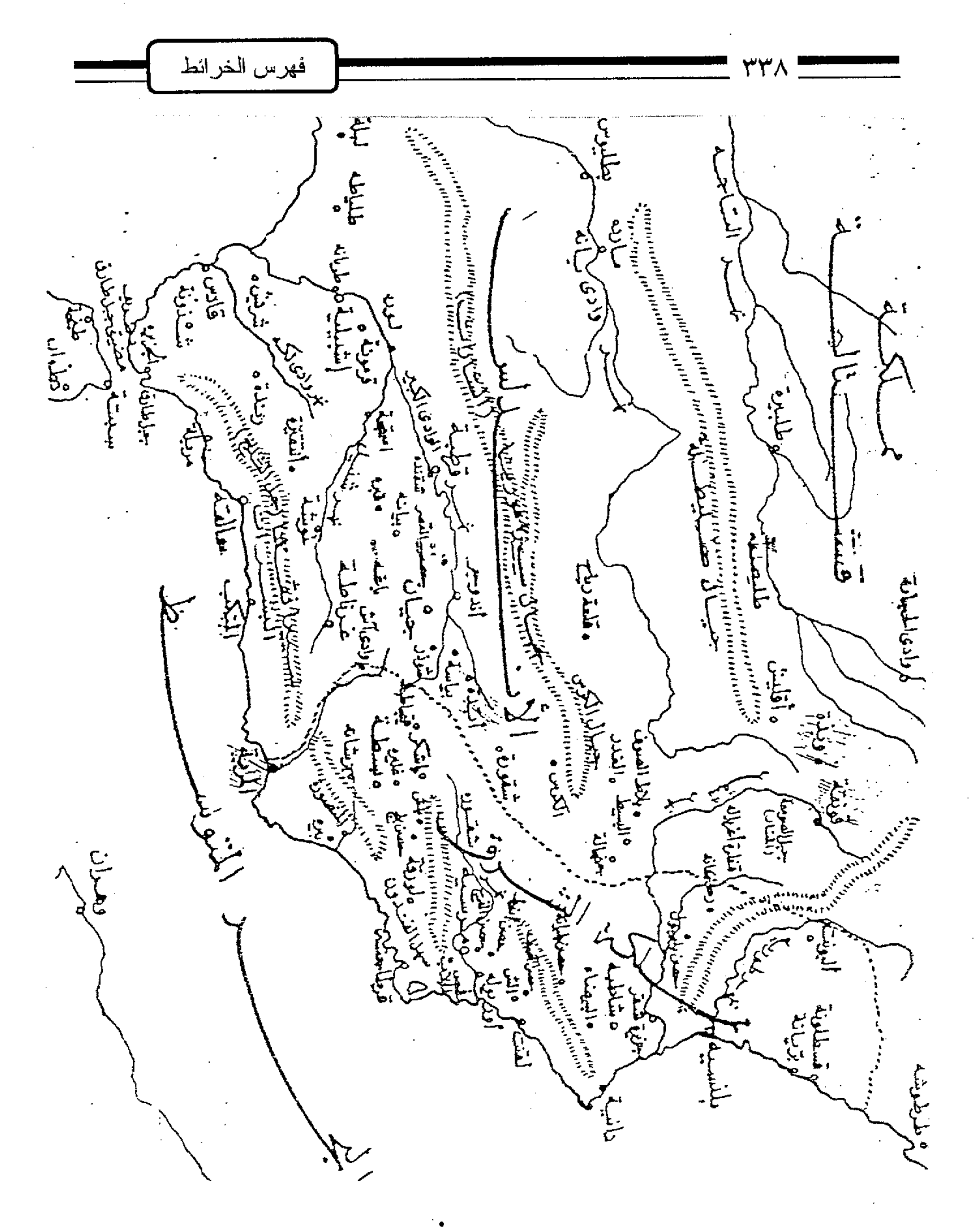
١٢- خريطة تبين الصراع بين بنى غانية والموحدين فى افريقية .

عن عبد الله عنان : المرجع السابق ، ق٢



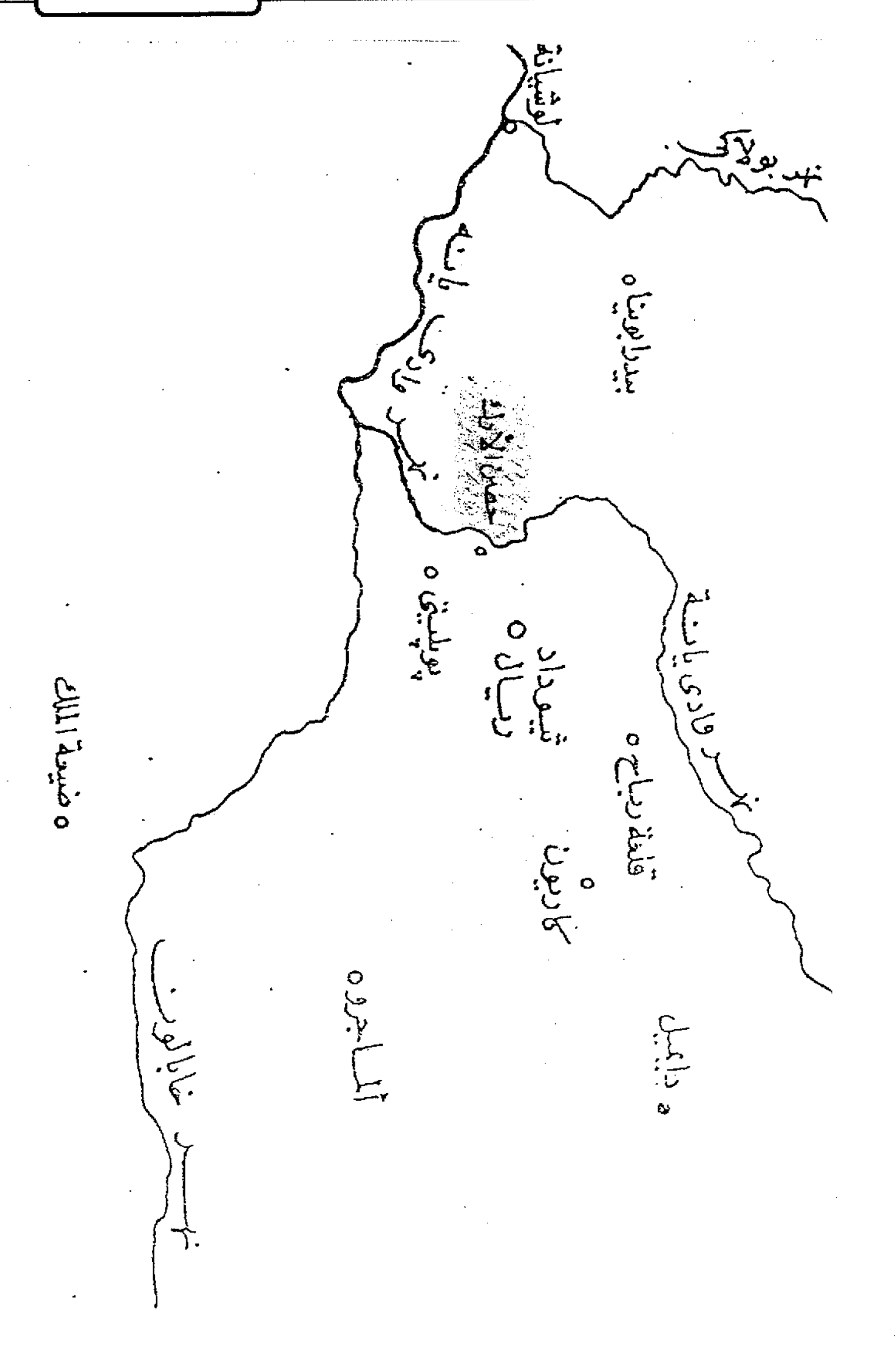
١٣- خريطة تبين الممالك النصرانية فى عصر القيصر الفونسو ريمونديس.

عن عبد الله عنان : المرجع السابق ، ق١



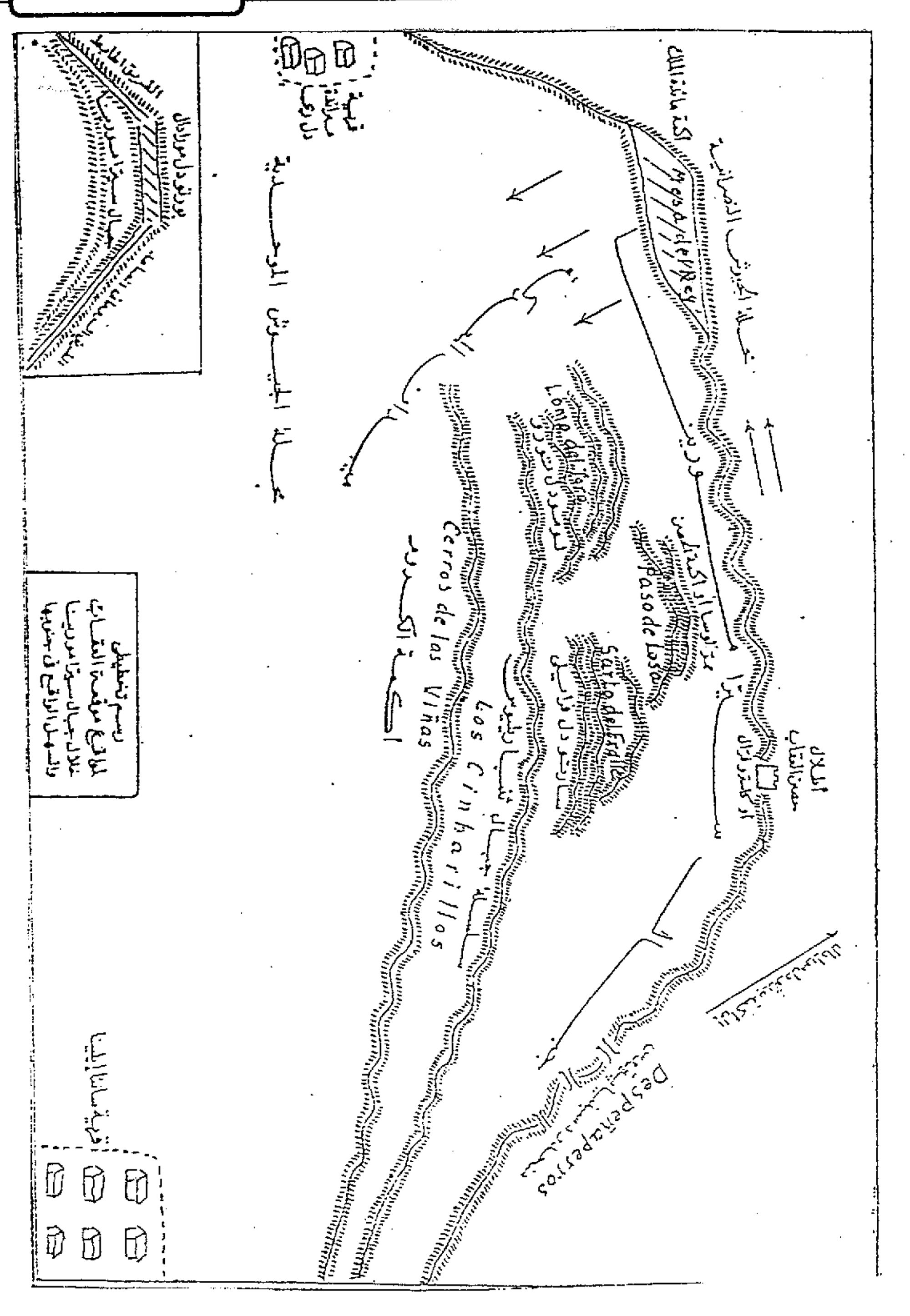
١٤- خريطة تبين سيطرة الموحدين على قونقة ووبذة .

عن عبد الله عنان : المرجع السابق ، ق١



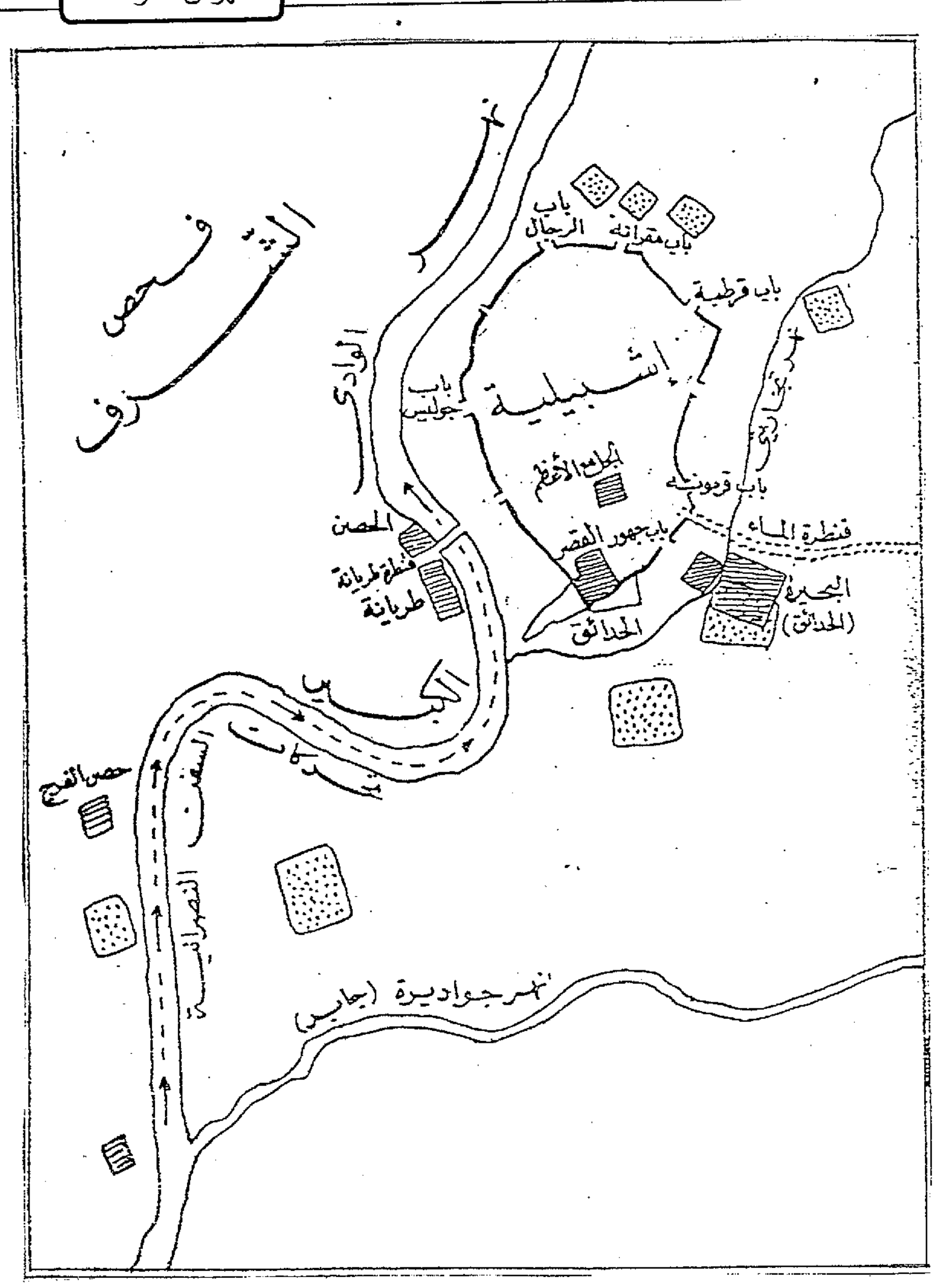
١٥- خريطة تبين موقعة الارك سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م .

عن عبد الله عنان : المرجع السابق ، ق٢



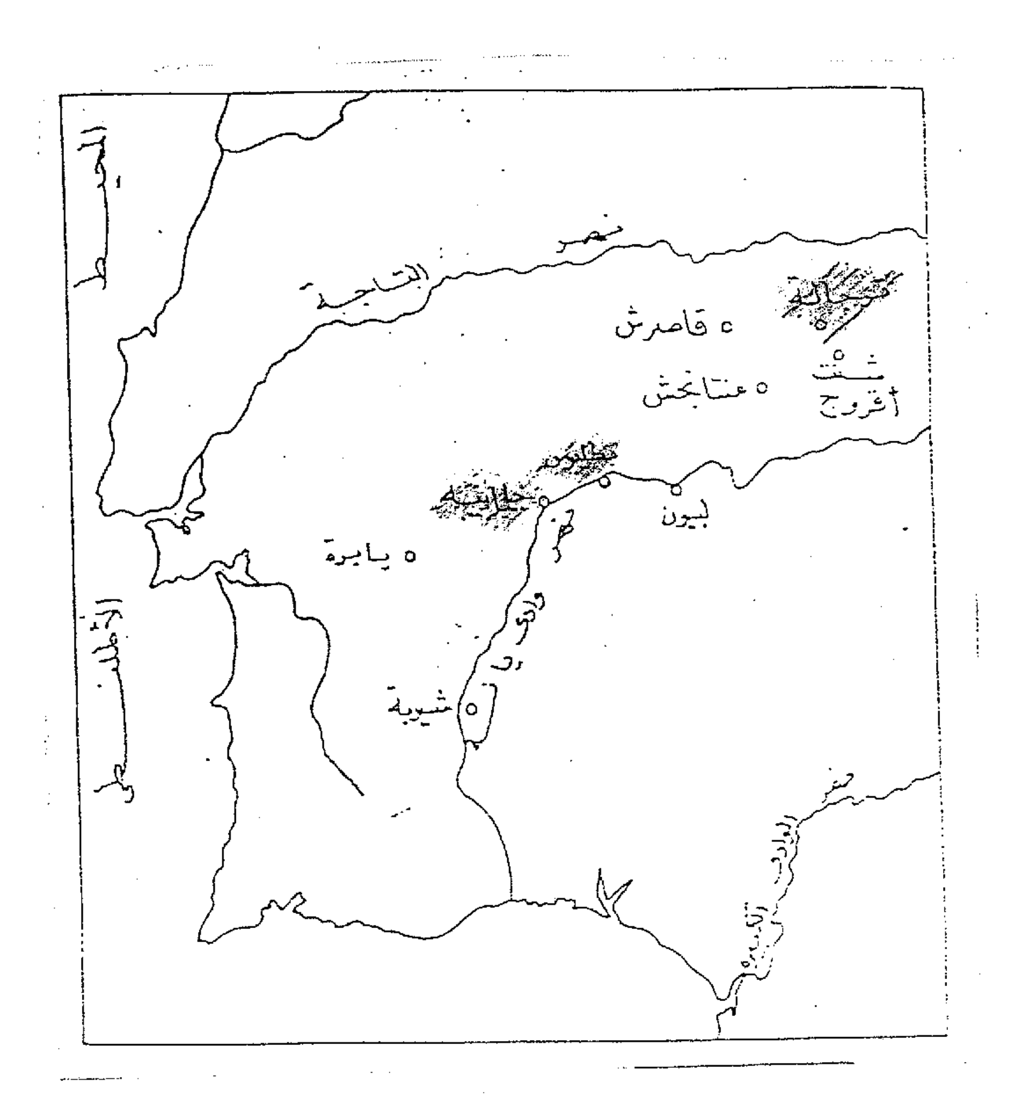
١٦- خريطة تبين موقعة العقاب .

عن عبد الله عنان : المرجع السابق ، ق٢



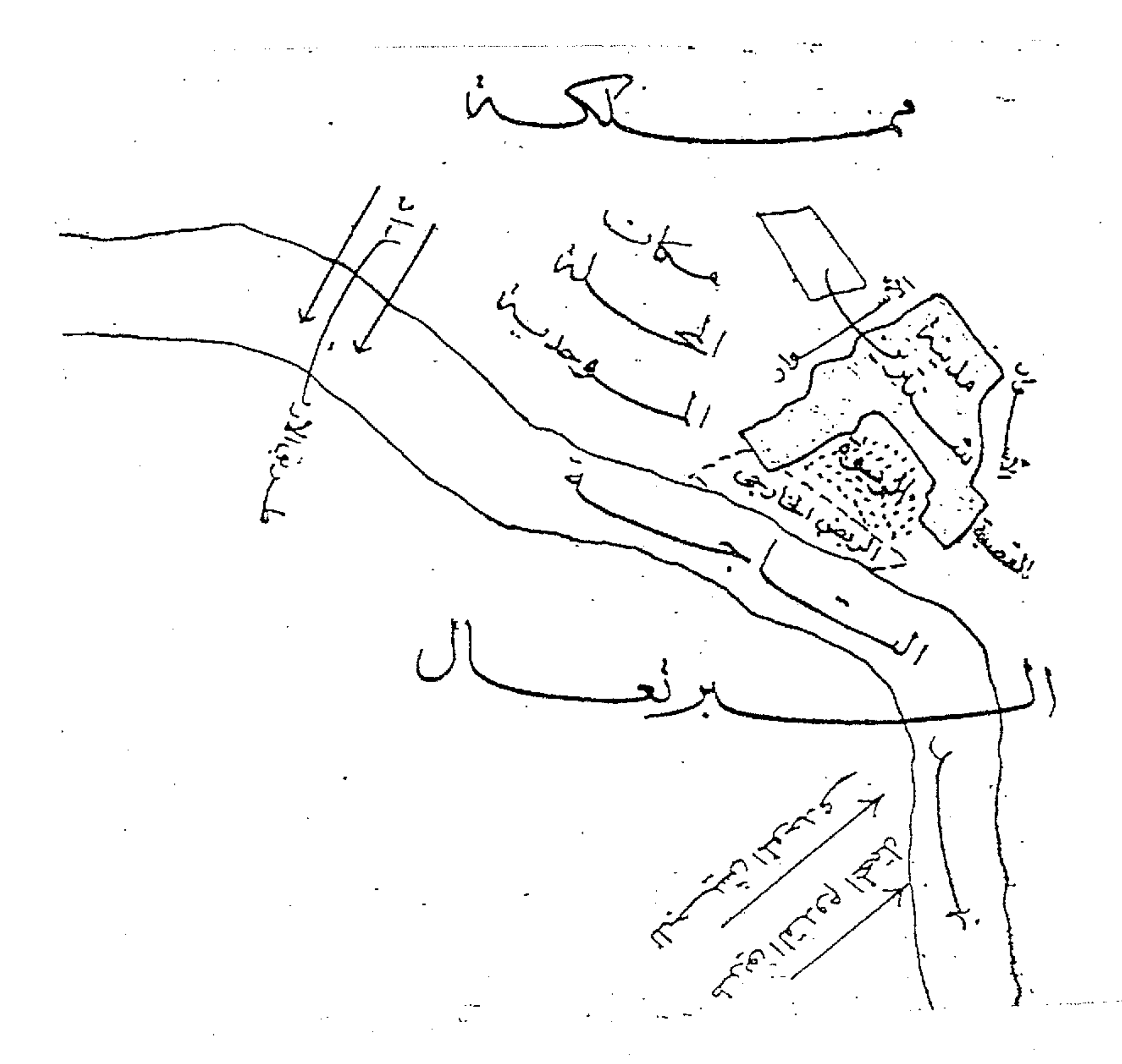
١٧- خريطة تبين حصار وسقوط اشبيليه ٦٤٥-٦٤٧هـ/٤٧-١٢٤٨م .

عن عبد الله عنان : المرجع السابق ، ق٢



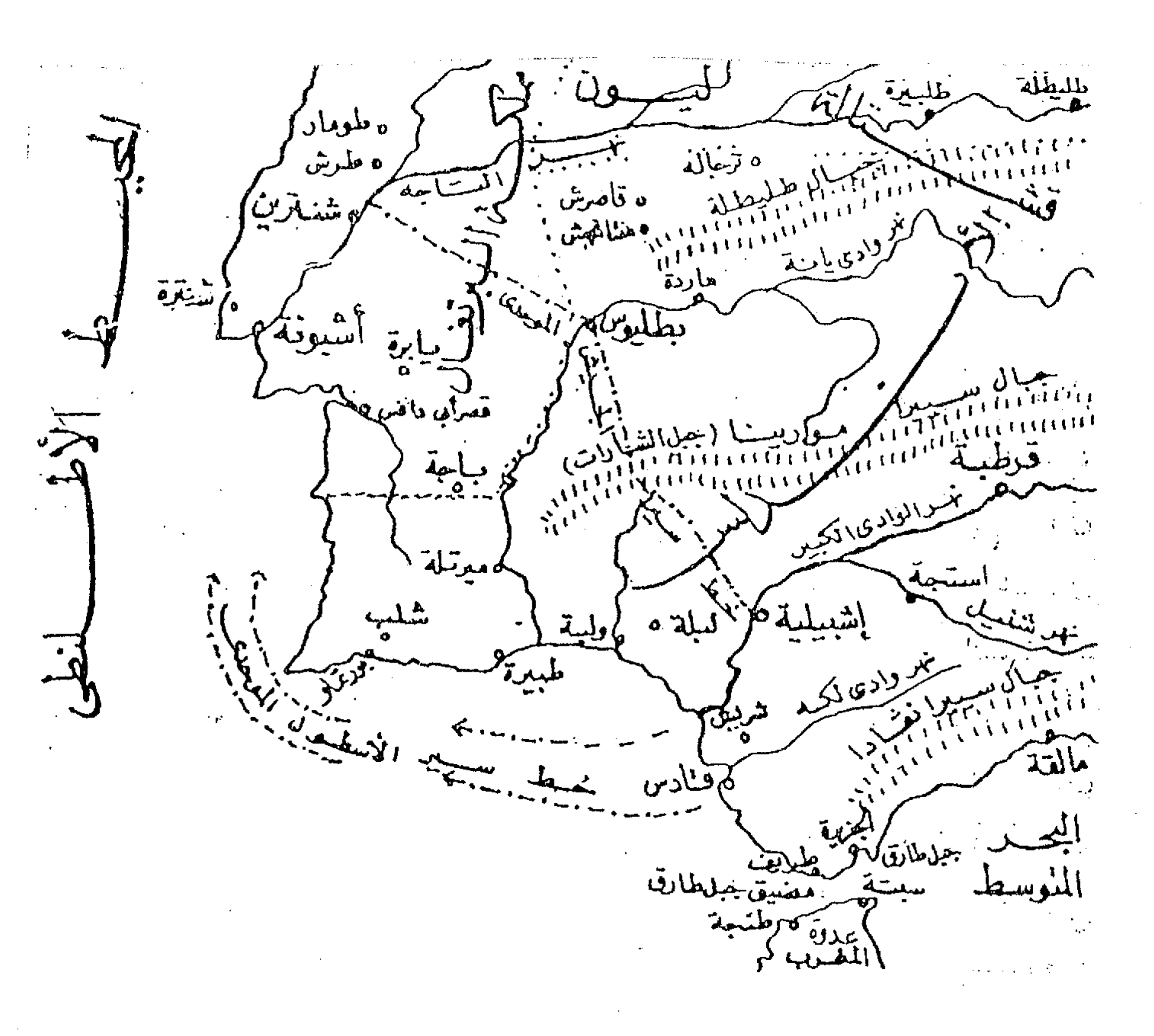
١٨- خريطة تبين الحصون التى استولى عليها جرانده الجليقى .

iranda : Historice politica



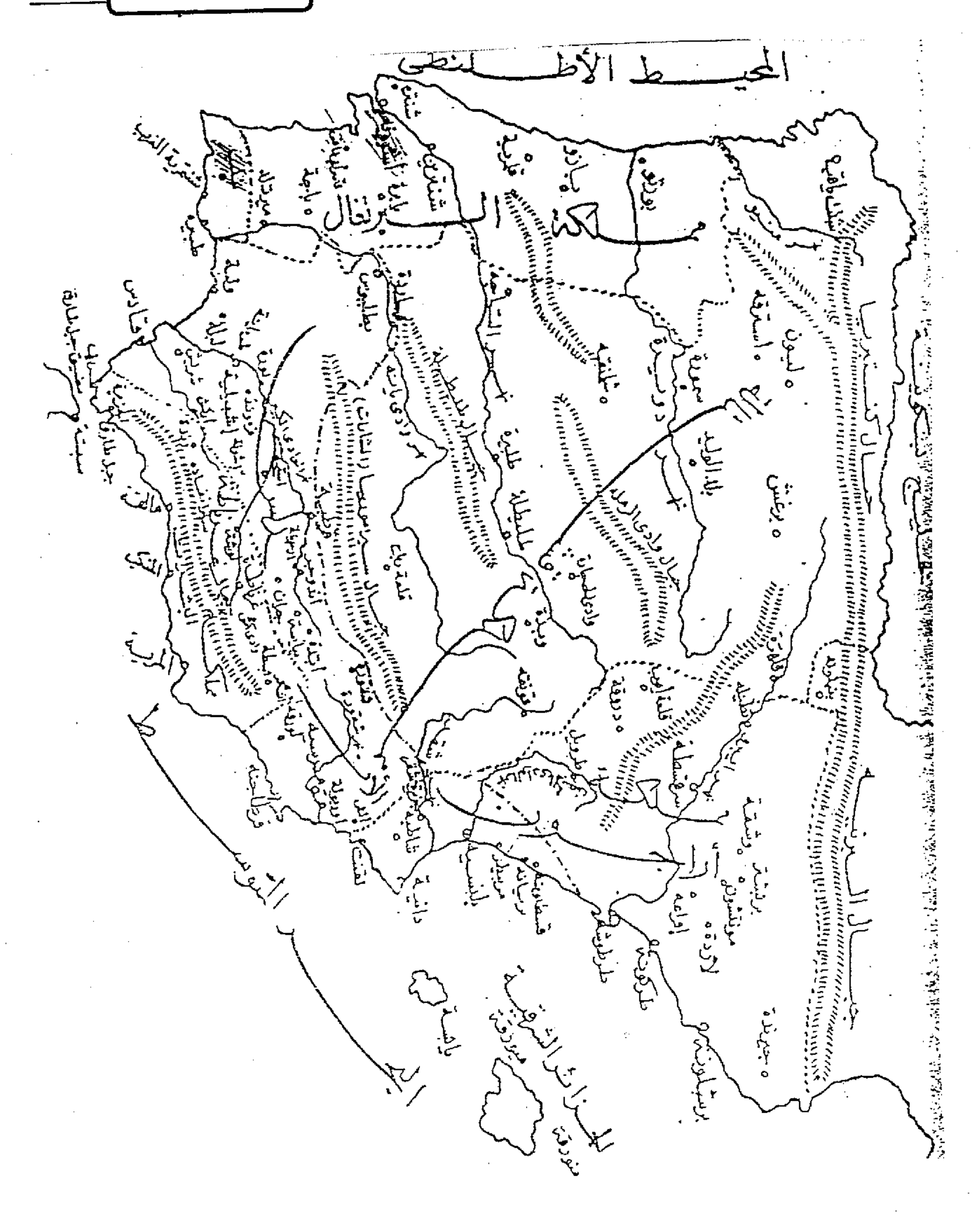
١٩- خريطة تبين موقعة شنترين سنة ٥٨٥هـ/١١٨٤م .

عن: عبد الله عنان: المرجع السابق، ق٢



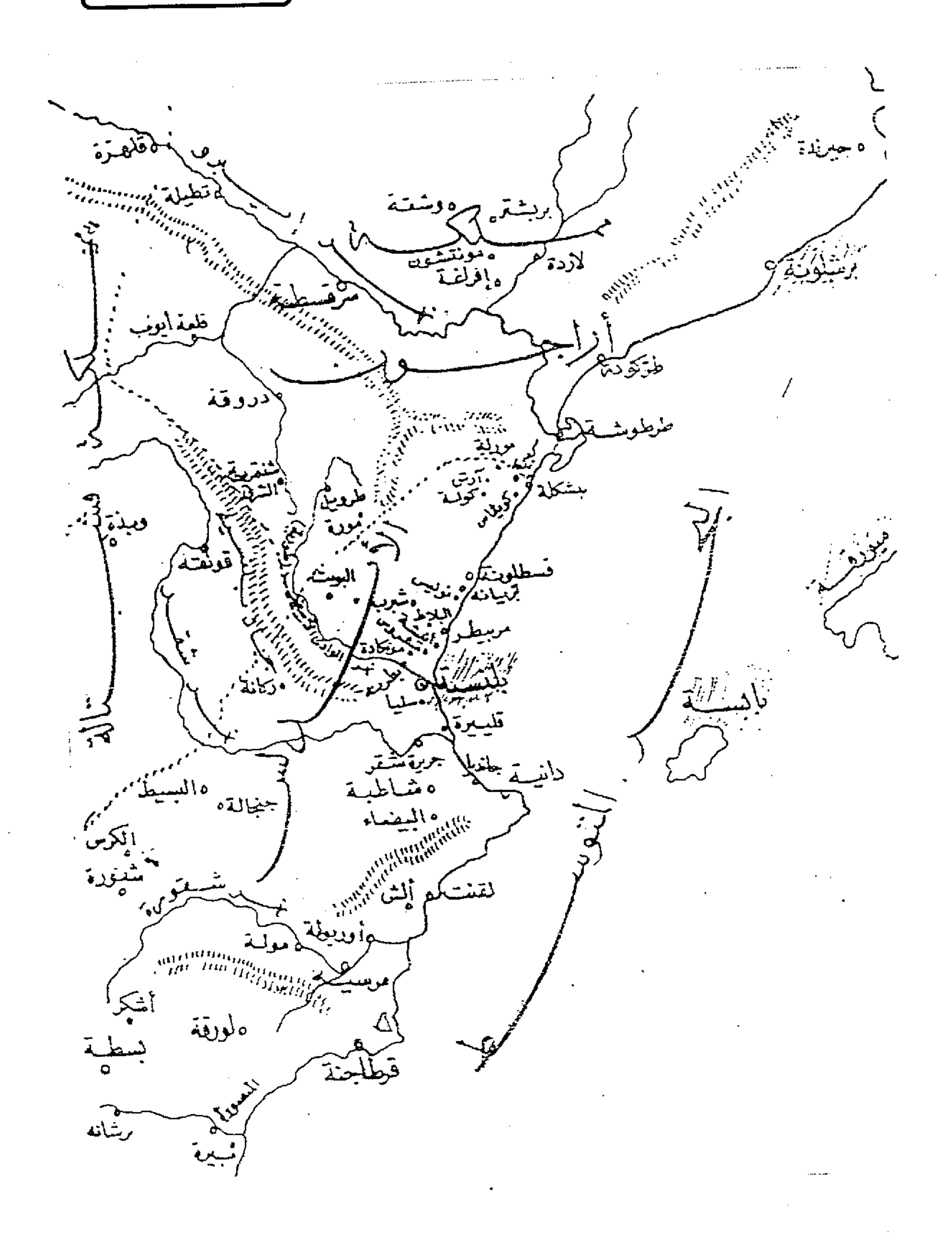
٢٠- خريطة تبين خط سير الجيش والأسطول الموحدى الى شنترين .

عن عبد الله عنان : المرجع السابق، ق٢



٢١- خريطة تبين موقعة شلب .

عن عبد الله عنان : المرجع السابق، ق٢



٢٢- خريطة تبين سقوط بلنسيه وجزر البليار في أيدى الأرغوانيين .

عن عبد الله عنان : المرجع السابق، ق٢

في اخبار (١٧١) الدولتين

[illegible]

١- شكل يبين الرسالة التى بعث بها السلطان صلاح الدين الى يوسف بن يعقوب الموحدى

عن ابو شامة: كتاب الروضتين ص١٧١.

كتاب (١٧٢) الروضتين

٢- شكل يبين الرسالة التى بعث بها السلطان صلاح الدين الى يوسف بن يعقوب الموحدى

عن أبو شامة : المصدر نفسه ، ص١٧٢.

في اخبار (١٧٣) الدولتين

[illegible]

٣- شكل يبين الرسالة التى بعث بها السلطان صلاح الدين الى يوسف بـن يعـوق الموحدى .

عن أبو شامة : المصدر نفسه، ص١٧٣.